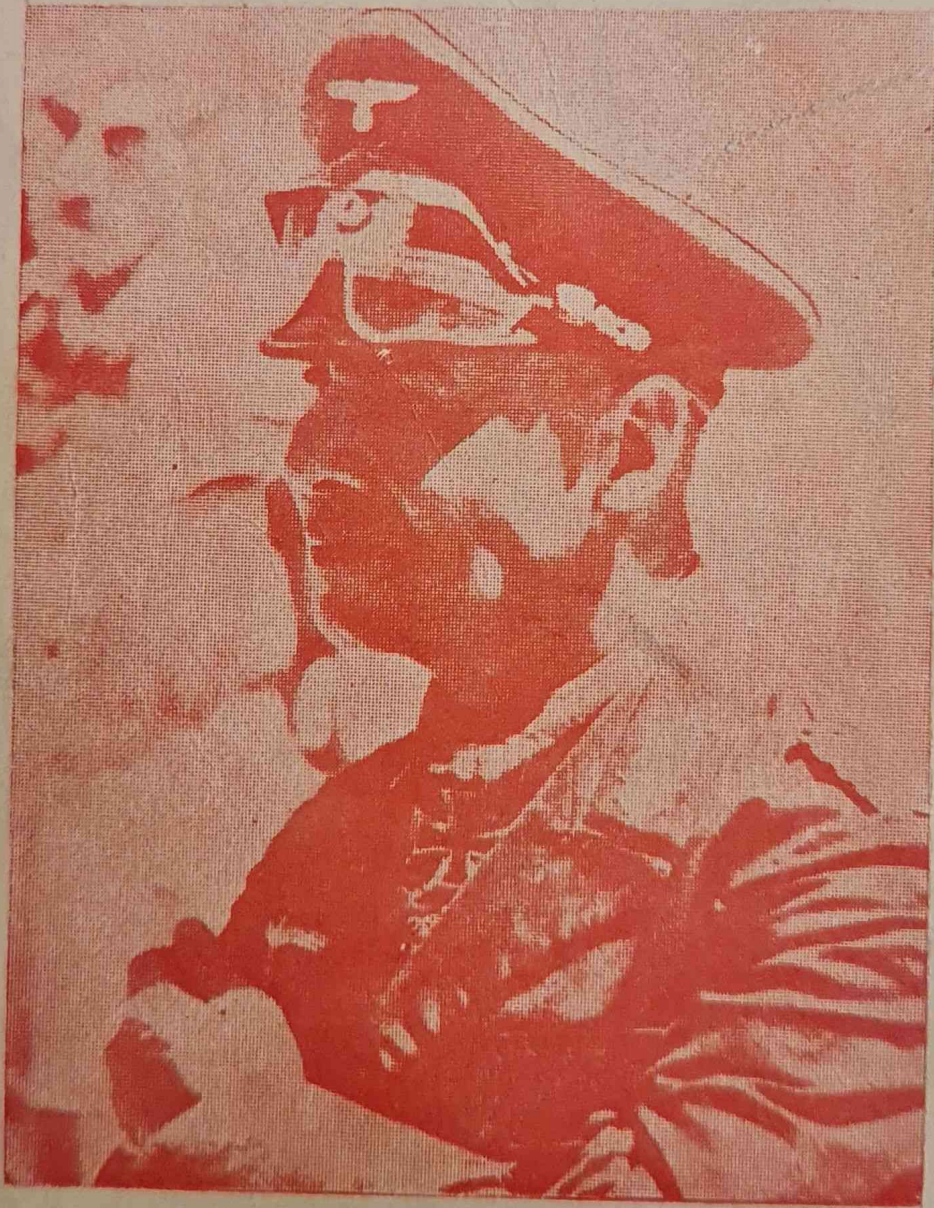


# مع رومل في الصحراء

تأليف  
هاينز ورنر شمت  
مرافق رومل الشخصي



تعريب العقيد الركن

حسن مصطفى



مذاهب المرافعة المرافعة  
بصدار

# مع رومل في الصحراء

تأليف

هاينز ورنر شمت

مرافق رومل الشخصي



تدريس المقيد المكن  
حسن مصطفى



سرمد حاتم شكر المصمري

۲. بزرگداشت شریعت



## مقدمة المطعرب

لقد أصبح اسم رومل أشهر من نار على علم ونال من الشهرة ما لم ينله اي قائد آخر من قواد الحرب العالمية الثانية . وقد اعترف بعظمته كقائد حتى خصومه فأثنى عليه المستر تشرشل في مجلس العموم البريطاني ابان الحرب . وبلغ اعجاب جنود الجيش الثامن البريطاني به الى درجة اقلقت قوادهم وجعلتهم يتخذون التدابير لازالة تأثيره من مخيلتهم . ولقد كتب عن هذا القائد العظيم ما لم يكتب عن اي من قواد الحرب الاخيرة وان هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القراء الكرام هو من احسن ما كتب عنه . وقد ألفه ( هاينز ورنر شمت ) احد مرافقي رومل في شمال افريقيا وهو يبحث عن أهم صفحة في حياة هذا القائد العبقري وهي التي نمت فيها شهرته وتوسعت حتى طبقت الافاق .

وبما اني سبق ان ترجمت كتاب ( من العلمين الى نهر سانتكرو ) الذي يبين وجهة النظر البريطانية — أو بالاحرى وجهة نظر مؤلفه المارشال مونتكري — في المعارك الرئيسية التي دارت في شمال افريقيا فقد وجدت من المناسب ترجمة هذا الكتاب ايضاً عند ظهوره ليقتنى لقراء العربية الاطلاع على وجهة النظر الالمانية في معارك شمال افريقيا على لسان المرافق الشخصي لرومل الذي لازمه مدة من الزمن وقاد بعض قطعاته الصغرى حتى نهاية الحملة الافريقية . ولا ريب انه من المهم جداً لدارسي تاريخ الحرب الاطلاع على وجهة نظر الفريقين المتحاربين لك نما يساعدهم على تكوين فكرة اتم عن الوقائع ويجعل حكمهم عليها



(ب)

صحيحاً . على ان لهذا الكتاب من ايا اخرى الى جانب قيمته التاريخية فهو يرينا بعض أساليب القيادة واعمال الاركان في الجيش الالماني الذي كان الى عهد قريب من اعظم جيوش العالم واعرقها بالمجد العسكري . وفيه أيضاً كثير من الدروس التعبوية والسوقية التي لا يستغني عنها كل ضابط كما ان فيه وصفاً ممتعاً للمعارك التي اشترك فيها المؤلف وتصويراً رائعاً لمختلف المشاعر والاحاسيس التي تفتاب الانسان في المعركة وقصة ملذة عن حياة المؤلف الخاصة وعلاقاته الشخصية .

وسيجد القارئ ان هذا الكتاب قد كتب بروح طيبة خالية من التحزب والعصب والتهجم الامر الذي يزيد في قيمته من الناحية التاريخية .

واتماماً لفائدة القراء اضفت اليه بعض الخرائط المهمة التي توضح المعارك الرئيسية . اذ ان خرائط النسخة الأصلية لا تؤمن هذا الغرض . وأخيراً اود ان اقدم جزيل شكري الى الاخوان الذين ساعدوني في اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود . واخص بالذكر منهم العقيد الركن جلال فضلي الذي تفضل فاناب عني في الاشراف على طبع الكتاب والسيد توفيق زين العابدين الذي راجع لغة الكتاب والسيد بولس رزق البنا . بولس الرسام في شركة النفط الذي اعانني في رسم الخرائط .

العقيد الركن

حسن مصطفى





« يومع هذا يظهر ان ذلك لم يضر بجسمك »

رومل مع الرئيس الاول الايطالي البدين من فوج انشاء الطريق  
الذي تدمر من الطعام والشراب . يرى المؤلف واقفاً في اليسار وهو  
يحمل محفظة خرائط رومل .





## الباب الأول

# التحافى بهيئة اركانه رومل

### ١

« نزلت مفارز من قوة حملة المانية الى شمال افريقية بقيادة قائد مجهول يسمى رومل »

ان طريقة اعلان هذا الخبر لا تنطوي على المبالاة ولكنها مما تثير الاهتمام .

وقد نشر في نشرة استخبارات اصدرتها القيادة البريطانية العليا في اوائل مارت سنة ١٩٤١ وانى قرأتها في رقيقة استولت عليها القطعات الايطالية في ( كيرين ) في جهة ( اريتريا ) التي كانت اقود فيها مفرزة مختلطة من القطعات الالمانية ( كانت مؤلفة من بحارة سفن المانية حاصرتها البحرية البريطانية في ميناء ( مصوع ) الايطالي في البحر الاحمر )

ولم يكن ثمة سبب يجعلنى ان افترض - عندما لاحظت هذا الخبر بدون مبالاة - اننى سأواجه هذا القائد بعد مدة لاتزيد على الثمانية أيام اول اننى سأكون بجانبه في الصحراء الغربية شهوراً طوالا حيث سنهاجم هجومًا عنيفاً مراراً عديدة .

كان رومل شخصاً مجهولاً فى ذلك الحين ولم يكن قد أصبح بطلاً بعد .  
اما ما بعد هذا فاليك ما حدث .



اكملت وأنا لا ازال تلميذاً في الجامعة حصتي من التدريب العسكري واحتفظ بي في الخدمة فقدت فصيل مشاة اثناء غزو بولونيا سنة ١٩٣٩ . وبعدئذ خدمت في خط ( سيففرد ) خلال اشهر « الحرب الصوتية » (١) حتى دعيت الى برلين . وهناك كلفت بواجب خاص في جبهة ( اريتريا ) . وافترضت هذا التعمين شرفاً لي لأن اوراقى تبين اني ولدت في جنوبي افريقية ، ولم أجد ثمة داعياً عاجلاً لأن احتج بأن أبوي قد تركا افريقيا الجنوبية عندما كنت في الرابعة من عمري بل قبلت ضمناً بأن اكون خبيراً معترفاً به في شؤون افريقية لعلني أجد في هذا الطريق المغامرة التي أنشدتها .

وفي اواسط مارت استولت قطعات ( ويفل ) البريطانية والهندية (٢) على مواضع تستر ( كيرين ) . وبدا من الواضح ان هذا الباب المؤدي الى ( اريتريا ) والذي كان يظهر منيعاً لا يقتحم لابد وان يتشم وينفتح . وكانت قوة الفريق كاننكهام [ وبضمنها لواء افريقية الجنوبية الأول الذي يقوده الزعيم ( دان بينار ) ] تتقدم أيضاً بسرعة عبر الصومال وانها ستوجه ضربتها بعد حين نحو الحبشة . وقد وردت أوامر من برلين تقضي بحل قوتي المؤلفة من متطوعي البحرية التجارية وعودتها الى سفنها

---

(١) " PHONEY WAR " وقد اطلق ذلك على الفترة التي استخدم فيها مدافعوا خطى ( سيففرد ) الالماني و ( ماجينو ) الفرنسي مكبرات الصوت لغرض الدعاية والتأثير في معنويات الخصم [ المرب ] .

(٢) الفرقتان الرابعة والخامسة الهندية .

التي عليها ان تحاول التخلّص "من" الحصار البحري والعودة إلى ألمانيا ،  
وكان علي أن أطيّر إلى شمال أفريقيا والتحق بقوة الحملة الألمانية التي  
نزلت في طرابلس .

وقد افلت من الأسر في ( اسمره ) ( ١ ) بسفيرة انيحت ليرة بطاً من  
نوع ( سافوايه ) التي كانت الطائرة الإيطالية الأخيرة التي تركت ( أسرة )  
حسبما علمت . وقد طرت ليلاً ( مع ثلاثة طيارين إيطاليين سكارى )  
إلى مطار قرب ( ماربل ارج ) الواقع على خليج ( سيرت ) . ومن هناك  
أخذتني طائرة إيطالية صغيرة من نوع ( كبلي ) إلى طرابلس .

وفي أثناء الطيران نحو الغرب كانت مدافع مقاومة الطائرات البريطانية  
تطارده ( السافوايه ) مطاردة مزعجة . فوجدت أن خير وسيلة اتسلي  
بها هي التفكير في أمور أخرى منها أن أتذكر ابن وماذا سمعت في السابق  
عن هذا الرجل ( رومل ) الذي قيل أنه الآن في طرابلس . وكان مما  
يضايقني أن يظل هذا الاسم متجايلًا على شفاذا كرتي . والغريب أنني  
تذكرته في نفس الوقت الذي تصاعدت فيه أضواء قذائف مدافع مقاومة  
الطائرات الشاقولية التي كانت تقترب منا بشكل مزعج .

استغرقت في التأمل وأنا مستسلم إلى القدر وخائف قليلاً ، ورحت  
أسرح فكري في خيال عميق ، فإذا بي أتذكر « فرقة الشبح » في فرانسه .  
كان هذا الاسم قد أطلق على الفرقة الألمانية المدرعة السابعة لاشتعارها  
في الظهور بغتة ، ليس أمام الخطوط الأفريقية فحسب بل وخلفها أيضاً ،  
خلال فترة حرب الصاعقة القصيرة الرائعة .

نعم لقد تأكدت الآن . أن قائد هذه الفرقة كان أمير لواء يدعى



( رومل ) . وسأملت نفسي هل سأراه في شمال افريقية ياترى ؟  
بعد ساعات قليلة من وصولي راجعت مقر القطعات الالمانية في طرابلس  
بناء على الأوامر التي سبق ان تلمقيتها لاسلكيا من برلين . وكان المقر في  
فندق ( ودان ) الفخم . فامرني رئيس الاركان المقدم ( فون هم بورنه )  
ان اراجع الفريق رومل شخصيا .

وانتظرت في غرفة عامة - ويظهر ان معظم الضباط في اوتيل  
( ودان ) كانوا قد اتخذوا راحة القيلولة اذ ان شمس ليبيا كانت ترسل  
اشعتها الحارة بعد ظهر ذلك اليوم من شهر مارت . ومر بي الملازم الأول  
( الدنجر ) ( الذي علمت بعدئذ انه المرافق الشخصي لرومل ) فدخل الى  
ردهة داخلية كتب على بابها ببساطة كلمة « القائد » ثم ظهر ثانية وقال  
بصوت خافت « ان القائد يرغب ان يراك » . فتنفست الصعداء وعدلت  
ملابس العسكرية التي لم تكن تبدو ، بعد بضعة اشهر قضيتها في ( اريتريا )  
انها جاءت توا من خياط ( بوتسدام ) ( ١ ) ، وطرقت الباب واستجابة الى  
كلمة « ادخل » التي انبعثت عميقة وقوية فادخلت الى غرفة فسيحة .

اديت ارشق تحية تمكنت منها وحاولت ان اتكلم بدقة عسكرية فقلت  
« الملازم ( شمت ) من سرية متطوعي الالمان الآلية في ( اريتريا ) يعود

---

( ١ ) بوتسدام بلدة عسكرية قرب برلين فيها خياطون يجيدون خياطة الملابس  
العسكرية . ( العرب )

من واجبه هناك حسب التعليمات الصادرة اليه من قيادة الجيش العامة (١) ويضع نفسه تحت تصرف القائد . »

كان القائد واقفاً امامي بقامته المحكمة القصيرة . فاكتمست شبتا من الثقة عندما لاحظت قصر قامته . ومع اني متوسط القامة وجدت القائد اقصر مني . وصافحني مصافحة قصيرة وقوية وظلمت عيناه الشهلوان ترمقان عيني بثبات . ولاحظت ان في وجهه تجمعات غير اعتيادية تنحدر من زاويتي عينيه الى نهاية وجنتيه . امافه وذقنه فهما مكونان تكويناً جيداً وقويان مما أيد انطباعي الاول فيه بأنه شخصية نشيطة وفعالة .

« هل جئت من اريتريا يا ملازم . »

« نعم سيدي — وقد وصلت بالطائرة قبل ثلاث ساعات » . ثم أشار رومل بسبابته الى الزاوية الشمالية الشرقية من خريطة افريقية وقال :  
« ما هو الموقف هناك » .

كنت اتوقع هذا السؤال فأجبت بدون تردد « ردى . يا سيدي » .  
وشعرت انه يجب ان الطف هذا الجواب . فأضفت اليه بعد وقفة قصيرة قائلاً « لا اظن انه في الامكان عمل اي شيء لانقاذ الموقف هناك » .

لا ادري هل ان مقامي العسكري الضعيف أم تقديري المتشائم للموقف في ( اريتريا ) هو الذي أدى الى تبديل اللعان في هيئة عيني رومل بسرعة البرق . إذ ان نظراته واتجاه ذقنه الى أعلى مما جعلاني اشعر بانقباض .

---

(١) بصطلاح عليها بالالمانية بـ ( O . K . H ) التي هي مختصر .

( Oberkommando Des Heeres ) العرب .



« وعلى كل حال فانك لا تعلم كل شيء عن الموقف إيا حضرة  
الملازم » (١) .

قال القائد ذلك ببرود ثم اضاف « اننا سنصل الى النيل ونقوم  
باستدارة الى اليمين وسنستعيد كل شيء » .

لم أتمكن من ان أتفوه بشيء ونسيت حتى عبارة التلص البسيطة  
« أمركم يا حضرة القائد (٢) » ، وأدبر عني رومل بغتة ثم ارسل الى  
من فوق كتفه بصوت هادئ، الكلام التالي :

« راجع رئيس الاركان المقدم ( فون دم بورنه ) الذي سيقرر ما يجب  
ان تفعله . هيه تقريراً عن فعاليتك في ( اريتريا ) » ثم اوما برأسه  
مشيراً علي بالانصراف .

سبق ان قابلت رئيس الاركان كما يعلم القارئ . و كان (فون دم بورنه)  
رجلاً قوي الجسم متوسط البدانة وذا وجه مستدير . و كان في وسع  
الرجل الذكي ان يكتشف روح الدعابة التي يتصف بها كما ان ذلك بدا  
واضحاً من أقواله عندما قدمت اليه نفسي — إذ قال لي « ابق معنا  
ردحا من الزمن فلا بد وانك انجزت حصتك الكافية من الركض الى الورا .  
في الحبشة » . واني لم اقرر بعد الواجب الذي سنستخدمك فيه ولكن  
بما انه لديك نوع من ( الخبرة الافريقية ) ولو انها لا يمكن ان تعتبر  
ممتازة فاننا قد نستفيد منك فيما بعد » وبعد وقفة اضاف قائلاً : « راجع

---

(١) ان هذا ترجمة Herr Leutenant ( ومع ان معنى ( هير ) ( سيد )

فليس من المناسب ان يقال « يا سيد ملازم » « المغرب »

(٢) " Ja Wohl Herr General " وهي عبارة تقليدية في الجيش

الاماني يقولها الرؤوس لرئيسه بعد تلقيه أي أمر منه . ( المغرب )

الرئيس الأول ( شريبلر ) ( ٢٢ ) وقل له ليجعلك تحت تصرف شعبة الاستخبارات ( ١ ج ) لاماكان الاستفادة منك لأغراض نافعة « (١) وفي الخارج اقيت الملازم الاول فون ( هوسلن ) ضابط ركن العينة فأخذ على عاتقه ان يفسر لي تعريف واعمال شعب الاركان بدقة وانتقان. وها انذا الخص ذلك فيما يلي :

- ١ أ — ضابط ركن للحركات (للقدرات التعبوية الخاصة بقواتنا)
- ١ ب — ضابط ركن للتموين
- ١ ج — ضابط ركن للاستخبارات ونظام حرب العدو .
- ٢ أ — ضابط ركن للإدارة والامور الذاتية .

واخبرني ( فون هوسلن ) ايضا انه في الساعة ١٥٠٠ — اي بعد نصف ساعة — سيخاطب الفريق رومل ضباط الفرقة الخفيفة الخامسة الذين وصلوا الى طرابلس قبل مدة قصيرة وانه ينبغي على جميع ضباط الركن ، وانا منهم ، الحضور في ذلك الوقت . وهكذا فبالرغم من اني لازت بلا منصب بعد ، صرت اعتبر نفسي المرة الاولى عضواً في هيئة اركان رومل .

اجتمع نحو ثلاثين ضابطاً في احدى الغرف العامة الكبيرة في اوتيل ( ودان ) و كان بعضهم يتكلم بصوت عال بينما كان الآخرون مشغولين في حديث هادي. وقد طرق سمعي مزيج من اصوات مختلفة عندما

---

(١) يسمى ضابط كهذا في الجيش الالماني ( F . U . P ) وهو مختصر : ( For Useful Purposes ) وهذا يقابل عندنا وضع الضابط « بالامرة » أو في « القائمة العامة » . [ العرب ]



دخلت القاعة وأديت التحية العسكرية . وبالنظر لصغر رتبتي وقلة  
اهميتي لم أثار اي انتباه . على انني استطعت ان اميز من بين الحاضرين  
واحداً او اثنين من معارفي واقفين مع جماعة من ضباط الركن الذين  
كانوا يحملون اوسمة الشجاعة الرفيعة على ستر بزاتهم العسكرية السوداء  
التي يرتديها ضباط جحفل الدبابات . وقبل ان تسنح الفرصة لرئيس  
الاركان ( فون دم بورنه ) لتدقيق عدد الضباط الحاضرين دخل رومل  
بغثة فاستعد الضباط حالا واعلن ( فون دم بورنه ) بصوت داو قائلاً :  
« الضباط الاركان وضباط كتيبة الدبابات حاضرون للمؤتمر » .  
ففوجئت بطريقة ( التقديم ) هذه التي بدت غير رسمية على العموم ( إذ  
ان العادة المتبعة في الجيش الالماني تقضي باخبار القائد مختصراً عدد  
الضباط الحاضرين والوحدات التي ينتمون اليها وعدد الغائبين وهكذا ) .  
وبدون اية مراسيم اخرى شرع رومل يلقي خطابه فقال :

« أيها السادة — سرني ان علمت ان قوة الافرا - المحترمين للكتيبة  
المدرعة الخامسة قد اوشكت ان تتكامل الآن في طرابلس . وبوصول  
دباباتكم سيصبح موقفنا راسخا في شمال افريقيا . لقد تمكنا من توقيف  
اندفاع العدو نحو طرابلس الغرب ، ووصلت وحداتنا الاستطلاعية  
( فوج من المدرعات ) بقيادة المقدم ( فون ويكر ) مواضع الطليان  
الامامية في خليج ( سيرت ) في ( العقيلة ) واستطاعت ان تقوى الجبهة  
من الوجهتين المعنوية والمادية . وان من واجبنا ثقة اعادة الشعب الابطالي  
بجيشه ودعم روح القتال في حلقاتنا .

وكان رومل يقف بين جملة واخرى ويحرك قبضة يده ومرفقه  
منحني وجسمه مندفع الى الامام قليلا . ان هذا الصدر القوي وملامح

وجهه التي تنم عن النشاط واسلوبه العسكري المقتضب والدقيق في التعبير عما يريد بوضوح ، كل ذلك يدل على ارادة قوية وعزم جبار . وكان جميع الضباط وافقيين مصغيين بامعان الى استعراضه الموقف .

فرفع رومل صوته وهز قبضة يده بخفة وقال « لا بد لنا من انقاذ طرابلس الغرب من هجوم الجيش البريطاني . وسنصدم حتما » ثم توقف برهة واستمر يقول : « في وسعنا ان نفعل ذلك كما يلي :

يجب ان نخدع العدو بشأن قوتنا الحقيقية — او ضعفنا — حتى يتم انزال الفرقة الخفيفة الخامسة بكامل قوتها في طرابلس . ثم تتبعها فرقة اخرى . وحالما يتم تفريغ جميع دبابات الكتيبة المدرعة الخامسة تستعرض هذه مع دبابات فرقة ( اريدت ) الابطالية بشكل ينبغي ان يجلب انتباه السكان المدنيين الايطاليين اولا وجواسيس العدو ثانيا . ان تفاصيل ذلك نوقشت مع آمر الكتيبة المدرعة ( ١ ) . وبعد انتهاء الاستعراض تتحرك الكتيبة فوراً الى الجهة حيث تبقى في الاحتياط هناك . ولكي تضرب مثلاً للقطعات الابطالية أنوقع من الضباط والجنود معا ان يظهروا ضبطاً قوياً تقتدي به تلك القطعات .

اشكركم أيها السادة — هايل هتلمر .

ترك رومل غرفة الاجتماع حالا ويتبعه رئيس اركانها وضباط ركن شعبة ( ١ آ ) الرئيس الاول ( اهلبرت ) وهو شخص طويل القامة اسود الشعر ومن الذين رأيتهم كثيراً فيما بعد .

---

( ١ ) الكتيبة في الجيش الالماني معادلة الى لواء في جيشنا .



والتفت نحوي مرافق رومل الشخصي بسرعة ( وكان الدنجر قصير  
القامة نحيل الجسم في نحو الخامسة والاربعين من عمره ، ذا وجه ضعيف  
وشوارب صغيرة تشبه فرشاة الاسنان . وكان حاملا لوحه خرائط القائد  
تحت ابطه ) فلمست يده الخالية الزر الاعلى من سترتي وقال : « سيد  
( شمت ) خذ غرفة في الجناح المخصص لشعبة ( ٢٢ ) وانصل ايضا  
بالملازم الاول ( هملر ) الذي ستجده مع شعبة ( ١ ج ) وستتمكن  
بلا شك ان تجد لك مكانا ملائما فيما بعد — وكان يتكلم بطريقة ودية  
وبلمحة [ سوابيه (١) ] ثقيلة . وقد انجذبت اليه حالا ، خاصة وانني  
لا زلت اشعر بأنني وحيد وشارد أتى من جهة بعيدة ومغلوبة .

نقذت تعليمات ( الدنجر ) وفي المساء ( يوم ١٤ مارت تقريبا ) بينما  
كنت اهيا تقريري لرومل تعرفت على الملازم الاول ( بهرندت ) .  
وكان هذا شابا رشيقا ذا فكر نشيط ، خدثني عن السنوات التي قضاها  
في مصر وكيف كان مع ( رودلف هس ) في مدرسة واحدة في القاهرة  
ولم يكن يدرب بخلدنا في ذلك الوقت ان ( رودلف هس ) هذا سيقوم  
بسفركه الجوية الغربية الى ( سكو تلندة ) بعد اقل من شهرين ( ١٠ مايس ) .  
وكان ( بهرندت ) يتكلم الانكليزية بطلاقة ويصغي كل ليلة الى اخبار  
الاذاعة البريطانية التي كان يترجمها لرومل .

وبينما كنت لا ازال اكتب تقريري واصفي نصف اصغاه الى اخبار  
الاذاعة الانكليزية التي كان ( بهرندت ) يدونها اذ التقطت كلمة جعلتني

---

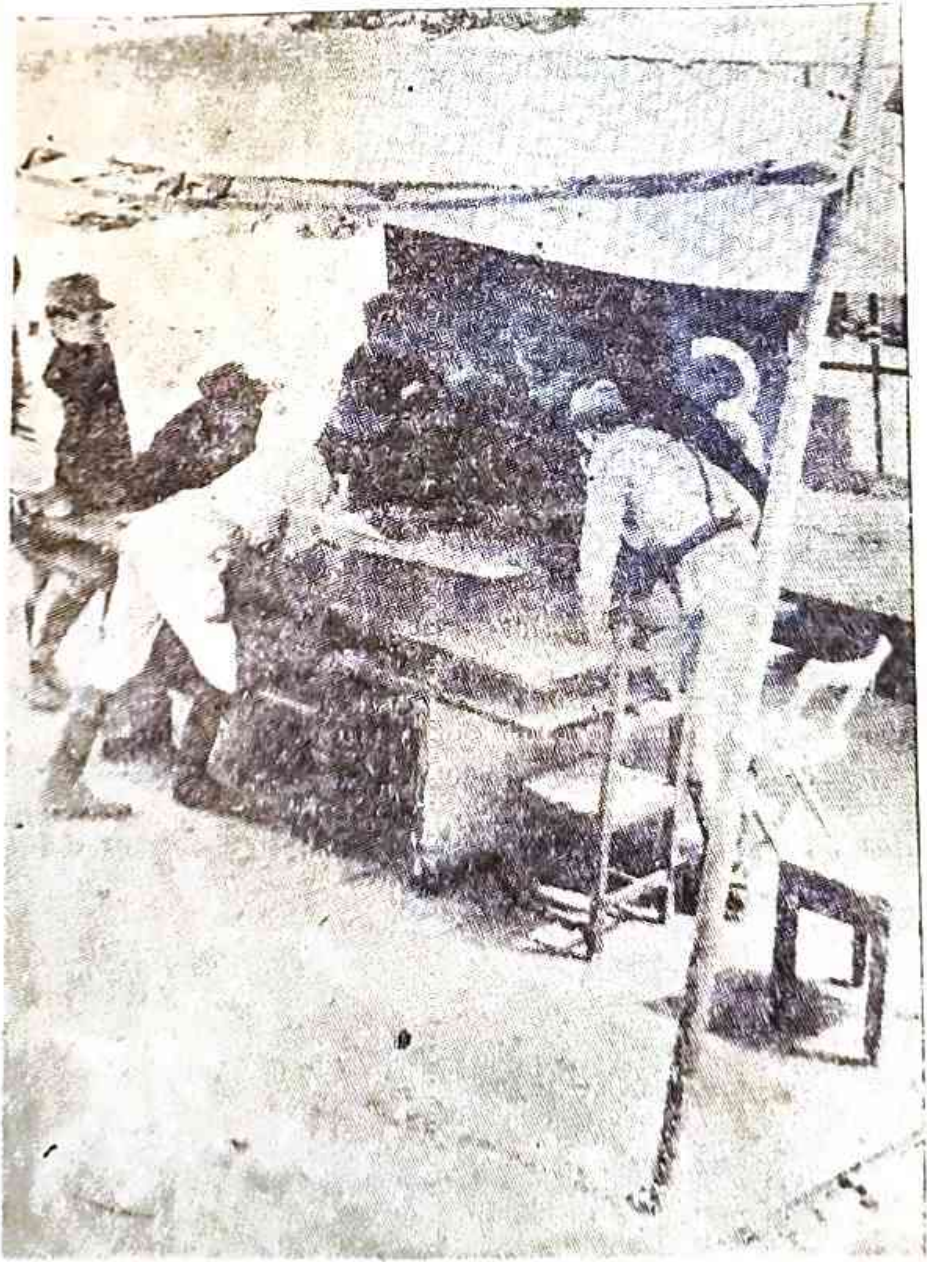
(١) نسبة الى « سوابيه » وهي مقاطعة المانية بنفب اليها الدنجر  
ورومل معاً .

اعتدل في جلستي واضع قلبي ، تلك هي كلمة ( كوبرغ ) ( Coburg ) واستمر المذيع يقول « ان سفينة الحمل الالمانية ( كوبرغ ) ذات حمولة ( ٩٠٠٠ ) طن والتي غادرت ميناء ( مصوع ) محاولة الوصول الى المياه الاوربية بطريق البحر الاحمر ورأس الرجاء الصالح قد اغرقت . اذ اعترضتها البحرية البريطانية قرب جزيرة ( موريشيوس ) فغرقها بجارتها الذين قبض عليهم مع الركاب المسافرين واخذوا الى جنوبي افريقية . »

فاستولت علي صبغة كآبة ممزوجة بشيء من الراحة لأنني كنت قبل بضعة اسابيع عائشاً في هذه السفينة ( كوبرغ ) وكنت موقناً بأنني سأكون عليها عندما ستحاول شق طريقها الى المانيا عبر الحصار البحري ولكن هيأني القدر امراً مباشراً من برلين فاعادني للقيام بواجبات في البر . وكان عدده كبير من اولئك المسافرين اعضاء في سريتي المؤلفة من المتطوعين - وقد قبض عليهم الآن واحتفظ بهم كأسرى في البلاد التي ولدت فيها . وتذكرت ان خطيبي في المانية لا تعرف الاكن شيئاً عن مصري ولذلك فكرت في ان ارسل لها رسالة لاسلكية في الصباح ان امكن .



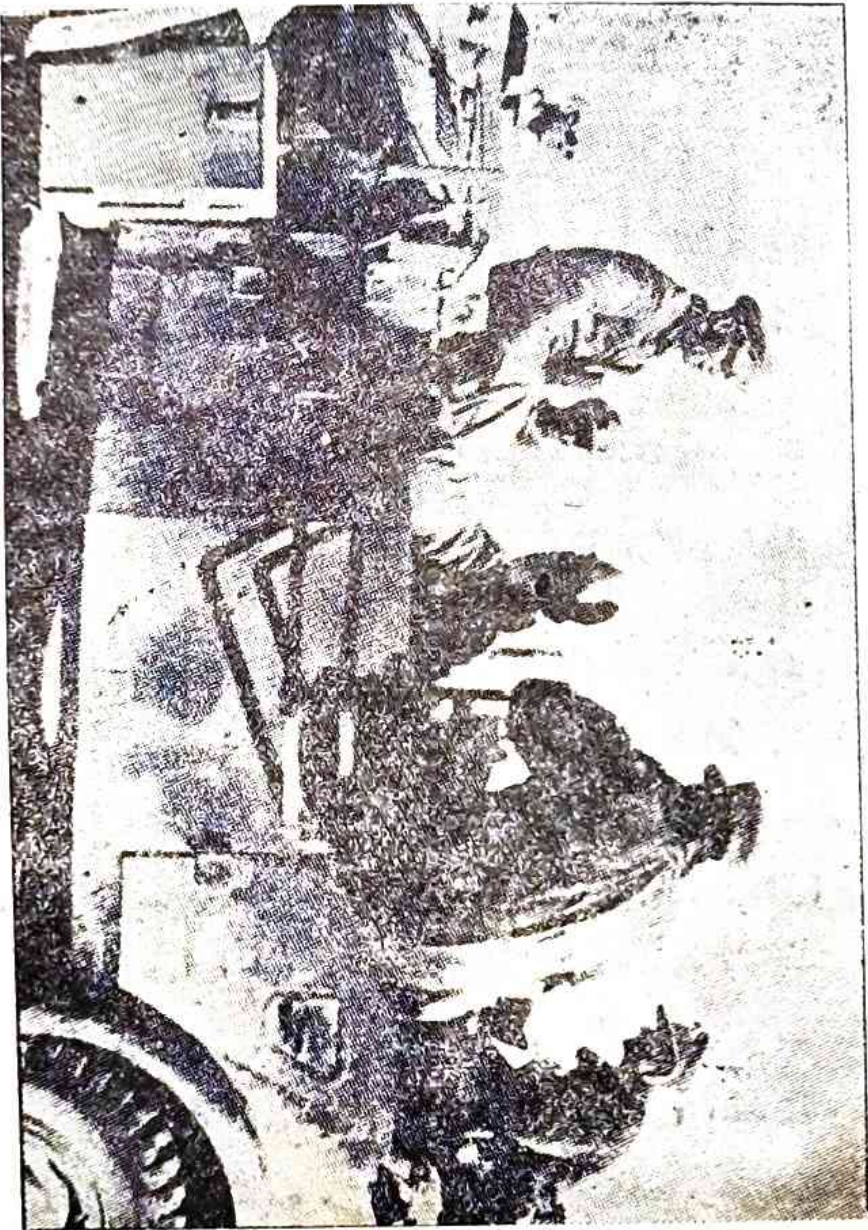




## مؤتمر جنب الماموث

رومل في المركز يرتدي قبعة عالية . الشخص المنحني على المنضدة  
هو الفريق (إيكالثن) . المؤلف واقف في اليسار جنب (الدنجر)





رمل جالس في سيارة

## الباب الثاني

### البلف في طرابلس

جرى استعراض دبابات رومل في الشارع الرئيسي لطرابلس في اليوم الثاني . وكانت شمس ذلك النهار ساطعة الا ان الايطاليين لم يبدوا اهتماماً كبيراً بهذه المظاهرة التي كانت تهدف الى اظهار القوة . ولم يكن هنالك جمع غفير من المدنيين المتفرجين غير الواقفين حول قاعدة السلام حيث كان رومل واقفاً يرد السلام على القطعات المستعرضة ويحيط به عدد من القواد الطليان . وكنت واقفاً قريباً من رئيسي الجديد .

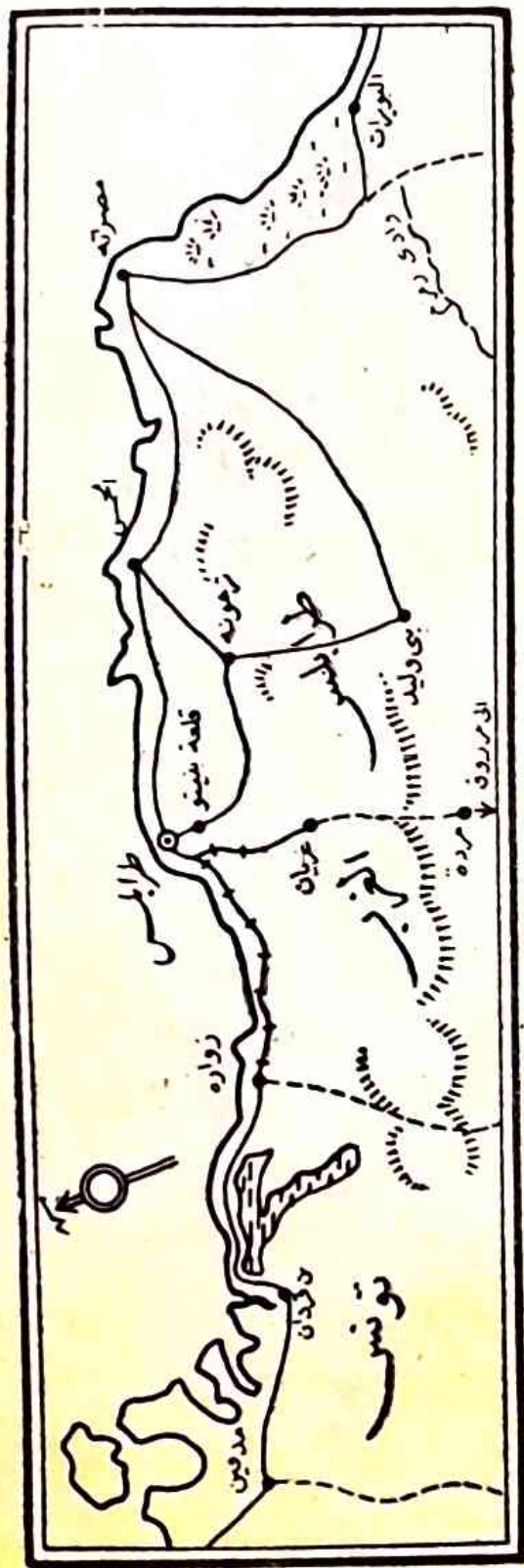
مرت الدبابات على انفراد وبفاصلات منتظمة وهي تقرقع وتجلجل . وقد احدثت اصواتاً مزعجة في سيرها على الشوارع المبلطة . وعلى مسافة ليست بعيدة من قاعدة السلام استدار الرتل نحو شارع جانبي بزئيق وصريف (١) عظيمين - وبدأت افكر في عدد الدبابات الكثيرة التي مرت واسفت لانني لم احسبها منذ البداية . وبعد ربع ساعة لاحظت خلافاً في سرفة (٢) احدى الدبابات الثقيلة العلامة ( ٤ ) التي بدت بوجه مامعروفة لدي مع انني لم أر سائقها من قبل . عندئذ ادركت الحقيقة ولم اتمالك نفسي من الابتسام . وتتابع مرور الدبابات وكانت تزعق وتصرف عند دورانها في المنعطف . وبدأت تظهر في الشوارع آثار الحفر التي احدثتها

---

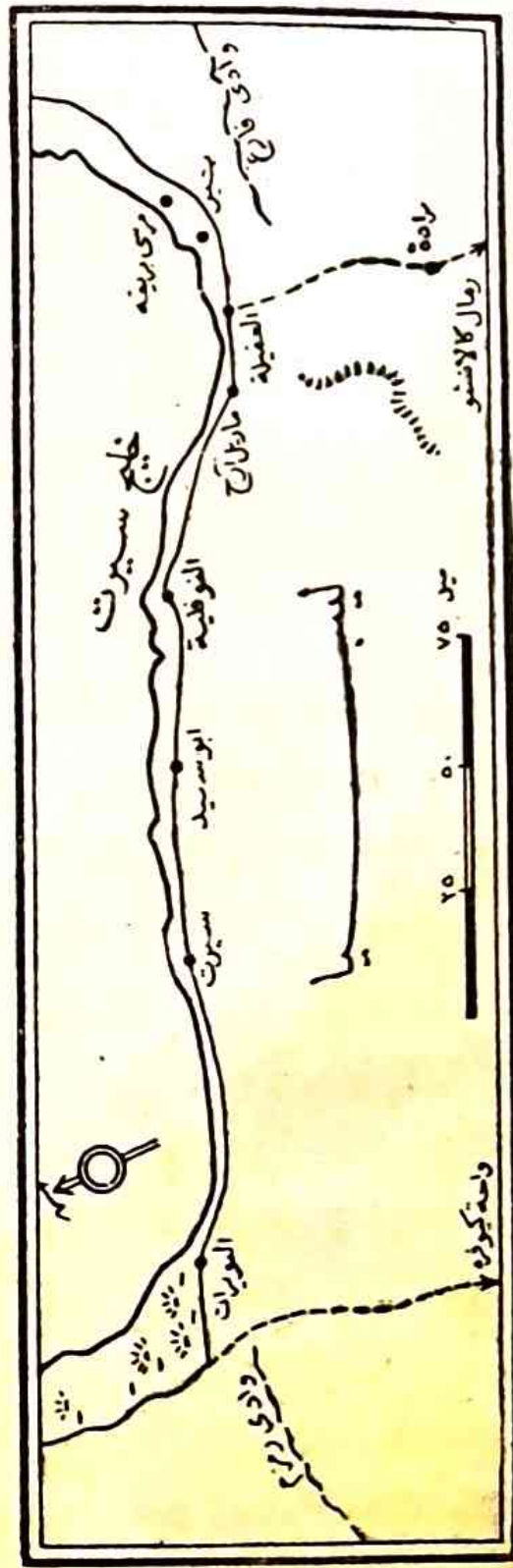
(١) الصريف - صوت الدبابات .

(٢) سرفة الدبابات - هي المسألة الموضوعة حول دواليبها .





حریطہ رقم (۱۱)



خريطة رقم (٢)



سرفاتها . وحملق الايطاليون نظرهم وقد استولى عليهم الدهول - فسألت نفسي ماذا حل ياترى بحماسهم الذي يضرب به الامثال ؟ ولكنى سرعان ما ادركت سر ذلك :

فبعد ان مرت الدبابات الالمانية من قاعدة السلام مروراً تاماً حدثت فجوة في الرتل . ثم تبعها صف طويل من الدبابات الايطالية التي كانت اقل سرعة واخف ضوضاء . وكان آمل الدبابات يظهر انفسهم بأوضح ما يمكن وقد تصنعوا في ملاحمتهم علامة الجرأة والاقدام والتجهم - وعندها تعالى الهتاف من كل مكان ولوحت الجماهير بأيديها وهذرت بشكل جنونى . وكانت صرخات ( فيفا ايتاليا ) أي ( فلتحيا ايطاليا ) تملأ من كل مكان .

فكرت مع رفاقي الضباط الاركان في الاستقبال البارد الذي اظهره الاهلون للقطعات الالمانية التي لم تأت إلا كحليفة تساعد في الدفاع عن المدينة . فبدأ لنا انهم يحتملوننا على مضض اكثر مما يحبوننا . اما شبانهم المتباهون فهم الابطال الميامين في نظرهم .

وبعد ان مرت الدبابة الايطالية الاخيرة التي رومل اول خطاب عام له في شمال افريقية . وبجمل المانية قصيرة ابدى ثقته في ان الجهود المتحدة للطلليان والالمان ستثمر في ايقاف تقدم القوات البريطانية . وقد ترجم الخطاب الى الايطالية جملة فجملة المقدم ( هيكنرينر ) ضابط الارتباط مع القطعات الايطالية - وهو الضابط الالماني الوحيد الذي اشترك في كارثة الانسحاب الايطالي من ( سيدي براني ) عندما قام ( ويفل ) بهجومه الاندفاعي في اواسط كانون الاول . وكان صوت رومل واضحاً وجهوريا . ولم تصفق الجماهير إلا عندما سمعته يشير الى انجازات القطعات الايطالية .

وبعد ساعتين من انتهاء خطاب رومل تحركت الكتيبة المدرعة الخامسة ( التي لم تكن كبيرة العدد كما كنت اتوقع ) صوب الصحراء من الضواحي الشرقية لطرابلس متجهة الى ( العقيلة ) وجهة القتال التي ترابط فيها قوات ( ويفل ) . وهكذا فلمرة الاولى كانت الدبابات الالمانية تتحرك على تربة افريقية لغرض تعرضي .

ومع ان استعراض الدبابات لم يؤثر في السكان الايطاليين إلا قليلا ، على ما يظهر ، فانه احدث انطباعا لا يستهان به لدى الجواسيس البريطانيين . فقد ذكرت الاذاعة البريطانية بوضوح ان مقر القيادة العامة في الشرق الاوسط اندهش من قوة قطعات الحملة الالمانية في طرابلس الغرب .

وفي اليوم التالي راجعت ضابط ركن شعبة الـ ( T ١ ) الرئيس الأول ( اهليرت ) فوجده رجلا فظاً ومغترأ بنفسه كثيراً على ما يظهر . وبالرغم من انني كنت منهمكا في اعداد تقريري الى رومل في ذلك الحين فانه استدعاني الى غرفته وزودني بسرعة بتقدير للموقف وبأوامر فقال : « قرر رومل ان يخدع العدو - وخاصة الافرنسيين الديغوليين بقيادة ( ليكلير ) المرابطين في الجنوب بين الواحات والذين يحتمل قيامهم باعمال تعجزية - وقد صمم رومل ان يقوم بهجوم كاذب نحو الجنوب برتل آلي سيقوده المقدم ( فون شويرن ) وهدف الرتل ( مرزوق ) . » وبما انني متخصص « خبير في الصحراء » كان علي ان ارافق الرتل كاستشار . وكان من الواضح ان الحياة في طرابلس ستكون مملة بعد حين ولذلك عندما سئلت عن رأيي في هذه المهمة قبلتها بدون تردد مدعيا بأنني الشخص الملائم لها .

وقصفت القوة الجوية البريطانية طرابلس في تلك الليلة - فتحولت

بجدران غرفتي الى انقاض وغبار . ومن المحتمل ان هذا الغبار هو الذي سبب تسما في الجرح البسيط الذي حدث في خدي بتأثير شظية .

وامرت بالذهاب الى المستشفى وعلمت انه حل محلي في حملة (مرزوق) الملازم الاول ( هوهمير ) الذي كان على كل حال « اختصاصيا » حقيقيا في الصحراء وعاش في مصر مدة طويلة كمدني وكان رجلا عظيما في استكشاف الواحات .

واسفت طبعا لاضاعتي هذه التجربة على الرغم من انني كنت مبتدئا وادعي الخبرة في امور الصحراء . غير انني بعد ان قضيت أياما قلائل في المستشفى قال لي ( الدنجر ) ستحصل قريبا على عمل لائق في هيئة اركان رومل وسيطرد هذا عنك الضجر . وقد كانت كلماته في الواقع اصدق مما ظننت .

وبدأت اتعرف تدريجيا على الضباط الاركان الآخرين فوجدت ان شعور ( هيكتريز ) نحوي وديا بالرغم من اختلاف رتبنا . اذ كنا متشابهين في ناحية واحدة الا وهي الانسحاب مع الطليان من قبل . فقد اشترك هو في التقهقر الابطالي من مصر وانسحبت أنا مع الطليان المندحرين في ( اريتريا ) . وانني اتذكر ان ( هيكتريز ) اكد لي في حديث لي معه في ذلك الوقت ان البطل الوطني الايطالي المارشال ( بالبو ) اسقطته مدافعه المضادة للطائرات عندما طار من طريق . وكان ( هيكتريز ) يعيش في طرابلس مع القواد الايطاليين في ( الفيللا ) الفخمة العائدة للمارشال القليل .

وبدأ ضباط الاركان العامة يطالبون بمحلات اقامة اشد راحة ونعماً ألد من ذوى قبل ، وسرعان ما تطورت معيشتهم الى حياة ترف



ونعومة تعطلب شراب الليمون المثلج نهراً وارتداء البزات العسكرية البيضاء الانيقة في ساعات المساء غير الرسمية .

على ان رومل كان ( سبارطيا (١) ) ولا يأبه لمثل هذه الكماليات فأصدر اوامر فجائية تقضي بحركة هيئة الاركان الى طرابلس الشرقية لكي تكون اولا قريبة من الاحتياطات السيارة خلف خانق ( العقيلة ) حيث كنا نقف امام العدو ، ولكي تعتاد ثانياً نفس المناخ وحالات المعيشة التي تحياها فرقة الميدان . وكان هنالك سبب ثالث وهو الخطر الحقيقي المحدق بهيئة أركان القيادة من جراء هجمات العدو الجوية العنيفة التي كانت تسهلها شبكة التجسس الواسعة في المدينة .

## ٢

لقد عهد الي منذ ايام عديدة بأن احرس القائد . وكان رومل ، ذلك الحين يستشير باستمرار ضابط ركن شعبة ( ١ ب ) في مقره وهو الرئيس الاول ( اوتو ) الذي كان مسؤولاً عن جميع تدابير التموين . وكان رومل يداق كل تقرير عن وصول القطعات والمواد ولم تكن هذه التقارير مما تبعث على سروره دوماً اذ كان البريطانيون يرسلون كثيراً من السفن مع حمولتها المهمة الى قاع البحر المتوسط . فقد وصلت سفينة كبيرة الى ميناء طرابلس محملة بالعتاد غير انه تعذر تفريغها بالسرعة اللازمة فقصفت وانفجرت وحطمت مجموعة كاملة من المباني بالمهداد وبتأثير الانفلاق كما انها انشقت الى نصفين . وكان رومل يترشح من هذه الحوادث كثيراً إلا أنها لم تكن لتثبط من عزيمته . وكان يصلي

---

(١) نسبة الى سبارطه التي كانت تعود رجالها على حياة الخشونة المربى .

نفسه قائلاً — شكراً لله لقد وصل كل من فوجي كتيبة الدبابات على الأقل إلى سلام .

ومنذ ان وصل رومل الى افريقية كان اسم الدبابات لا ينفك عن لسانه وكانت هذه عنده ( كالزبدة للخبز ) .

وجاء أمر من القيادة العليا للجيش في برلين بتعيين رومل قائداً لفيلق افريقيا الالماني . إلا انه مضت اسابيع عديدة على ما اتذكر قبل ان يأتي أمر بتثبيت ترفيعه الذي جرى حديثاً من رتبة امير لواء الى رتبة فريق . اما الفيلق الافريقي فلم يزل من قوته إلا اقله حيث لم تكن حتى الفرقة الخامسة نفسها قد نزلت بكامل قوتها بعد .

ولقد لخص الرئيس الاول ( اهلبرت ) ( ١٠ آ ) الموقف في احدى التقارير كما يلي :

« انحصرت فعالية العدو في الاستطلاع فقط . وبدل استطلاعنا الجوي على انه جاد حسبما يظهر في تقوية تشكيلاته وتجديد دروعه .

اما من جانبنا — فلا تزال وحدات المشاة الإيطالية تمسك الجهة . وقد امتاز من بينها فوج ( سنته ماريا ) بصورة خاصة في دفاعه عن موضع الستار . وللإيطاليين علاوة على ذلك فرقتا ( اريبت ) المدرعة و ( بريسيا ) . وأمنت وحدة الاستطلاع الألمانية ( فوج المدرعات ) التماس مع العدو . ووصلت الكتيبة المدرعة الخامسة الى مواضعها كاحتياط سيار . وفي الوقت نفسه وصل فوجان من كتيبة رشاشات الفرقة ( وهي آلية ) وفوجان او ثلاثة افواج من مدفعية الميدان ونصف

فوج الهندسة ( هندسة القتال ) وسرايا التموين والعناصر المتقدمة من  
الفرقة المدرعة الخامسة عشر .

ثم استمر التقرير يقول : « لقد تحسن الموقف الجوي الى جانبنا  
بالنظر لورود التقويات الى طائراتنا المقاتلة والى مدافعنا ضد الطائرات  
وقد اشغلت هيئة أركان الفرقة الخفيفة الخامسة التي يقودها الفريق  
( شترايخ ) موضعاً في ( ماربل أرج )

وأمر القائد هيئة الاركان العامة لفيلق افريقيين باشغال موضع  
في منطقة ( سيرت ) اعتباراً من هذه الليلة .

### ٣

بدأ المسير في ذلك المساء . وقاد رومل الرتل في سيارة كان فيها  
« الذنجر » علاوة على سائقها مع مراسل القائد وهو ضابط صف يدعى  
( كينثر ) ذو جسم صغير وشعر اشقر و كان يبدو هادئاً في جميع  
الاحوال رابط الجأش بشكل يثير سخط الانسان . وكان يتبع القائد  
مباشرة ثلاثة من السعاة الراكبين على الدراجات البخارية ثم تأتي عجلة  
( ١٢ ) المعتمدة التي كان فيها ( اهليرت ) والملازم الاول ( هوسلن )  
يدققان الطرق ومواضع العدو حتى في حالة حركتنا . وقد اعقبت  
عجلتهما سيارة الاركان العائدة لي . وكان معي ملازم اول يقود  
المخبرة ويؤمن الاتصال في كل وقفة مع سيارات مخبرته الموزعة على  
طول الرتل .



وبعد يومين تم تأسيس مقرنا الجديد في ( سيرت ) واستقررنا فيه  
وكادت هذه البقعة ان تكون خالية إلا من بضعة بيوت مكشوفة  
وارض نزول رملية واسراب من الذباب . فقلت لنفسي « لا مشروبات  
مثلجة في فندق ( ودان ) بعد الآن ! »

ولم تسرني ( سيرت ) غير ان وقتي لم يكن ليتسع للتفكير فيما يزعني  
وجاءني أمر فوري مفاده « تراجع الملازم ( شمت ) ضابط ركن شعبة  
( ٢١ ) في سيارة القيادة » .

ذهبت الى سيارة ( اهليوت ) فاذا برومل جالس تحت مظلة خارجها  
يتكلم مع الفريق ( فروهليش ) القائد الجوي فأديت تحية عسكرية رشيقة  
إلا ان كليهما لم يهتما بي . فشعرت ان كرامتي البالغة من العمر خمس  
وعشرون عاما قد اهينت . على انهما لم ينويا الاستخفاف بي - وقد  
استنتجت ما طرق سمعي من حديثهم انها كانا مهتمين بامور ذات  
شأن أعظم .

كان ( رومل ) يقول :

« أمرني ( الفوهرر ) ان اقوم باستطلاع سريع بالفرقة الخفيفة  
الخامسة - وأنا الآن بحاجة الى مساعدتك في الجو ..... »  
ورن صوت التلفون في السيارة فحال دون سماعي نهاية الجملة وجواب  
( فروهليش ) لرومل - و كان هذا يبيدي الاعتراضات او يظهر  
الصعوبات .

« فروهليش ... » اعترضه رومل بشيء من الحدة . لكن  
( فروهليش ) استمر في حديثه قائلاً : « سأعمل كل ما في وسعي  
يا حضرة القائد ولكن ... »

وفي هذه اللحظة سمعت صوت ( اهليوت ) الغضوب ينادي ( شمت )  
نعال الى هنا حالا »





## الباب الثالث

### مفامرة الواحات

كان ( اهليت ) جالسا امام كتلة مبعثرة من خرائط الحركات - فبادرنى قائلا « ( شمت ) تهيأ حالا لواجب خاص عينه لك القائد . وعليك ان تذهب فوراً الى مقر الفرقة الخامسة الخفيفة وتراجع ضابط ركن ( آ.١ ) هناك . »

ثم اومأ الي ان اقرب وقال « انظر الى هذه الخريطة . يحتل فوج الماني موضعاً امام ( العقيلة ) مباشرة - هنا في الجنوب واحة ( مرادة ) التي يظهر انها ليست محتلة من قبل العدو . واجبك ان تأخذ مفرزة آلية مع بضعة مدرعات وتحتل الواحة . ومن هنا عليك ان تتحقق وتخبر فيما اذا كان في الامكان ان تتحرك مفرزة قتال قوية من ( مرادة ) وتقوم بهجوم ناجح على واحة ( جالو ) التي يحتلها العدو . »

واضاف ( اهليت ) بأن هذا الواجب مهم وانه اذا انجز بنجاح فقد تكون له نتائج بعيدة الاثر ثم اردف قائلاً « اذا كان العدو يحتل ( مرادة ) فعليك ان تسترجعها . واذا هوجمت بعدئذ عليك أن تدافع عنها مهما كلف الامر . ستحصل على معلومات وتفاصيل اخرى من هيئة اركان الفرقة في ( ماربل أرج ) هل فهمت كل شيء . »

كررت باختصار الاوامر التي استلمتها . غير انني لم املك الشجاعة لاسأل أي سؤال لأنني كنت اعلم مقدماً أن ( اهليت ) سوف

لا يرحب بها . ولما استدرت لاقرك السيارة ناولني ( اهليت ) خريطة  
حركات للصحراء قائلا « اعتن بهذه اذ ليست لدينا منها غير ثلاث نسخ .  
وراجع القائد قبل الذهاب . »

كان هنالك شعور يوخز في قلبي . وقد تولاني احساس مزيج  
من الفخر والفرح من توقع المجازفة مضافا الى ذلك اثر من الخوف .  
وبينما كنت احزم عفشى واحتياجاتى الاخرى امرت سائقى بأن يملا  
السيارة بالوقود وبعد عشر دقائق كنت جاهزا للحركة - وقد اخبر  
القائد بسفري فاكتفى رومل بإيماءة من رأسه .

كانت السياقة الى ( ماربل آرج ) مجهدة لاننا كنا نراقب باستمرار  
طائرات العدو ذات الطيران الواطى . وفي المساء شاهدت القوس العظيم  
في الصحراء و كان في جنوبه حائط من الصخور الخفيفة وعجلات نخبة  
في حفر وخيم وملاجي . وكان ذلك مقر الفرقة الخفيفة الخامسة .  
فراجعت حالا ضابط ركن شعبة ( ١ آ ) للفرقة الرئيس الاول ( هاوسر )  
الذي اصبح بعدئذ فريقا ورئيسا لاركان الجيش الرابع عشر في ايطاليا  
وبعد هنيهة دخل خيمة ( هاوسر ) قائد الفرقة الفريق ( شرايخ ) .

لقد احببت كلا هذين الضابطين اذ كانا يتحاشيان الرسميات  
ويظهران الود - وقد قدما لي قدحا من البيرة ، وهي من نوع الكماليات  
التي لا وجود لها في مقر رومل الصحراوي . وكانا يعرفان كل شيء  
عن مهمتى وقد اتخذوا التدابير اللازمة لها . وتناقشنا التفاصيل ثم استدعى  
( ١ ج ) ( ضابط ركن الاستخبارات ) - فكان هو الآخر ودبا مع  
شيء من التلطف ، كان هذا يسمى ( الكابتن فون كلوكه ) ابن القائد



الشهير الذي كان يكنى بـ ( هانس الماهر ) ( ١ ) . على انني لا اظن أن الابن سينال شهرة أبيه .

وكان مطعم الفرقة مريحا ومترفا أكثر من مطعم رومل بكثير وقد وجدت أنه في وسع المرء ان يشتري فيه المشروبات والسكريات حتى الحلويات التي كانت تلذلي بوجه خاص لانني لا ادخن .

ودار الحديث في ذلك المساء عن السياسة . فذممت ، ربما بدون حذر ، دفاع ( غوبلز ) عن الغدر باليهود في سنة ١٩٣٨ مدعيا بأن ذلك كان مظاهرة قام بها الشعب الالماني من تلقاء نفسه . ووصفت دفاعه هذا بأنه تشويه للحقائق . وعلى الرغم من انني است صديقا لليهود فاني قلت ان سياسة ( ضد السامية ) شيء معيب . وسر لما فهمت به على ما يظهر ضابط من الاحتياط في منتصف العمر وصاحب ارض في ( ميكليمبرغ ) فقال « يسرني ان اسمع هذا من ضابط شاب ولكن اسأل جارك فانه يخالفك في هذا الرأي . »

وكان جاري ايضا ملازما قد قارب الاربعين من عمره قوي الجسم ذا ملامح تنم عن حب الاعتداء وحاجبين كثيفين كان يتركها دائما لينحنيا قليلا كأنها ثقلان بدرجة انه لا يطيق حملها او كأنه مشغول دوما في تفكير عميق . ولم لاحظ عليه رد فعل ما فقدمت نفسي اليه . وفي اثناء الحديث الذي جرى بعدئذ والذي كان يشوبه شيء من التوتر علمت انه الملازم ( بيرندت ) الذي كان في الحياة المدنية مستشارا في وزارة الدعاية التي يرأسها ( غوبلز ) وانه مؤلف كتاب حربي يسمى

---

( ١ ) ان كلمة ( كلوك ) الالمانية تعني ( ماهر ) .

( صبادو الدبابات يخرقون ) . على ان ( بيرندت ) لم يعلق على حملاتي التي شنتها على ( غوبلز ) وعندما درج السماء اصبحتنا كصديقين تماما . ولم يتنبأ احدنا في ذلك الحين اننا سنعيش معا شهوراً طوالا .

وفي تلك الليلة رعى علينا الانكليز المشاعل ( التي كننا نسميها اشجار عيد الميلاد ) وقنابر ضد الاشخاص . وقد مزقت شظية سقف خيمتي وفتحت لي فيها منظراً جميلاً ارى منه نجوم افريقية .

اخذت مكاني في رأس رتل ( مرادة ) قبل طلوع الشمس بوقت طويل وخرجنا بنحو ( ٣٠ ) عجلة و كانت من ضمنها اربع مدرعات وعجلة لاسلكي وست سيارات ركوب ( من نوع فولكسواكن ) ( ١ ) وسيارتان ركبت عليهما اسلحة ضد الطائرات الخفيفة واثنتان اخريان عليهما مدافع ضد الدبابات . وكانت العجلات الباقية سيارات مكشوفة تحمل جنود بندقيات وعتاد وارزاق . ورافق رتلي ثلاثة ضباط احدث - وهم امر سرية وملازم يدعي ( شمت ) ايضا ، وقد شاركني هذا في مدرعتي التي كانت في المقدمة ، وملازم مسؤول عن مفرزة اللاسلكي .

وتحرر كننا نحو الشرق حتى اصبحتنا على بعد بضعة اميال من ( العقيلة ) فانصبحت علينا عندئذ رشقات من تار المدفعية البريطانية استدللنا منها ان الوقت قد حان ان ننحرف جنوبا مبتعدين عن الطريق الساحلي . واتجهنا نحو النياسيم المؤدية الى ( مرادة ) وظللنا نبحث عن المدرعات الالمانية التي علمنا انها تتجول في المنطقة . وبعد مسيرة ساعتين في الصحراء



انصلنا مع مفرزة الاستطلاع . فاعطانا أمر مدرعة ضخمة ذات ثمانية دواليب اتجهاً جديداً وتبرع ليرافقنا الى النيمم المؤدي الى مرادة ثم تابعنا المسير .

وارسلت المخبرة رسالة الى الامام تقترح فيها الوقوف . فقد التقطت رسالة بالانكليزية مفادها « ان رتل العدو يتحرك نحونا » . فبحثنا في الافق وافترضنا ان راصد العدو يجب ان يكون مختفياً وراء مرتفع من الارض قريب جداً الى طريق (مرادة) الذي صرنا نميزه الآن بوضوح . فاستدعيت ست سيارات وامرتها بان تنتشر على ارض الصحراء الوعرة وتقدم باتجاه الجنوب . فاخبرتنا عجلة اللاسلكي بعد قليل انها سمعت جملة انكليزية أخرى « ست سيارات استطلاع خفيفة للعدو تتحرك جنوباً . »

وتبرع آمر المدرعة ذات الدواليب الثمانية ان يهجم على المرتفع المشتبه به . غير انني خفت من الالغام وأمرته ان يتقدم مائة ياردة فقط ثم يقف ففعل ذلك . وعندئذ التقطنا رسالة اخرى تفيد « ان مدرعة ضخمة تتقدم نحوي . فاذا تقدم العدو الى مسافة اقرب سأضطر لأن اغلق المرصد »

فاخذت مدرعتين خفيفتين الى الامام للاتحاق بالمدرعة ذات الثمانية دواليب وبعد تبادل المعلومات مع آمرها باختصار قمنا بهجوم تام على المرتفع إلا أننا لم نكد نقطع ميلاً واحداً حتى رأينا غيوماً من الغبار وثلاث مدرعات بريطانية صغيرة تنسحب بسرعة .

وبدا الميدان خالياً الا اننا لم ننفك عن التقدم بحذر وفطنة ، وقبل ان نصل النيمم المؤدي الى الجنوب مست احدي العجلات لغا فخرجنا

لحسن الحظ بنجسارة واحدة فقط . وبدأ آمر المدرعة ذات الثمانية دواليب يفقد اهتمامه في حملتنا بعد ان وجدنا الطريق فزودنا ببعض الارشادات ثم تركنا ليلتمتع برفاقه بينما شرعت هندستي تظهر ثغرة في حقل الالغام ولم يستغرق هذا الواجب اكثر من نصف ساعة

وحل علينا الظلام بسرعة فرحبنا بذلك . وبما ان طائرات العدو ذات الارتفاع الواطي . كانت اشد خطراً علينا من الالغام قررنا الاستفادة من ضوء القمر والسياسة في الليل ، وعندما لاحت تبشير الفجر وصلنا واحة ( مرادة ) فوجدناها خالية من العدو واحتللناها بدون ان نرمي اطلاقاً واحدة ، واخبرنا الاعراب في الواحة بواسطة مترجمنا ان مفرزة آلية ضعيفة من القطعات البريطانية انسحبت نحو الشمال قبل يومين .

وسرنا ان نجد ينبوعاً يتدفق منه جدول ماء عذب . فقضينا النهار نهياً . المواضع الدفاعية ضد الهجمات المحتملة . وفي المساء استمعنا الى اخبار الاذاعة البريطانية — وكانت اخبار الحرب كالعادة تبحث عن حوادث اليوم الماضي . فسمعناها تقول « تحركت مدرعات المانية من ( العقيلة ) نحو الجنوب » — فتأكدنا ان ذلك يشير الى مفرزتنا وشعرنا بفرو لا موجب له

وبدأت مهمتنا الحقيقية في الصباح المبكر من اليوم التالي ، إذ قررنا استطلاع الطريق الى واحة ( جالو ) التي تقع نحو ١٥٠ ميلاً الى الشرق . وتركنا آمر السرية مسؤولاً عن ( مرادة ) وأخذت لواجب ( جالو ) سيارتين في كل منهما ثلاثة من الجنود . وكانت كل سيارة مسلحة برشاشة خفيفة ضد الطائرات وفيها اربعة صناديق عتاد ، وكان

المقدم الرابع محملاً بصفائح البانزين التي كانت من نوع بسميه الانكليز (جريكز) ، وقد حملنا صفيحتين من الماء العذب في الامام ، وكانت السيارات اعتيادية من نوع الادراج الخلفي (١) وذات مبردة هوائية وتحمل حزاماً من الحطب على الجانبين للاستفادة منها عندما تطمس في الرمل الناعم ، وقد أمرت الملازم ( شمت ) ان يرافقني وتركت له اختيار اثنين من سعاة الدراجة البخارية المتطوعين واثنين من جنود الرشاش

وفي الساعة الاولى من رحلتنا بدأت افكر - ونحن نتجه جنوباً في اننا سوف لا نصل الى غايقتنا اذ كنا نطمس في الرمل العميق مرة بعد اخرى في كل بضع دقائق . على ان لون الرمل بدأ يتغير الى اصفر فاتح وصار يزداد صلابة فأصبح التقدم اسهل من ذي قبل على شرط ان نسير بسرعة متساوية وزائدة نسبياً . وبعد ثلاث ساعات ظهر لنا خيال تل مسطح الرأس في الافق الجنوبي فعلمت انه آن لنا ان نغير الاتجاه الى الشرق إلا ان كشبانا رملية جسيمة لا يمكن اقتحامها - وهي مرتفعات بحر الرمل المسمى ( كالانشو ) - اعترضت طريقنا . وكان شكل الارض يرتفع بانحدار شديد نحو الهضبة الشرقية ، فشعرت انه يتعذر علينا ان نتقدم حسب الخطة التي وضعناها .

وعندما وصلنا الى التل المسطح الرأس أشار سائقي الى الاعمدة العالية التي رآها مغروزة في الارض بقاصبات نحو ميل بين واحد وآخر وموازية للارض المرتفعة الواقعة في الشرق . فظننا ان هذه

---

(١) اصطلاح في وضع للتعبير عن عبارة « Rear Wheel Drive »

( العرب )

الانكليزية



تدل على وجود طريق نحو الجنوب وقررنا ان نتبعها علنا نتمكن من الوصول الى اسفل الارض المرتفعة ونقترب الى الهضبة . غير ان مساعيها ذهبت ادراج الرياح طيلة النهار ، فتلقت سيراً على القدم الى اعلى الهضبة فوجدت عليها آثاراً جديدة لعجلات بريطانية ذات دواليب واسعة

ذهب النهار وتلاه ليل ذو نجوم لامعة . فتناولنا طعاماً خفيفاً ناشفاً وشربنا معه عصير الليمون ثم أقمنا الربايا وجلسنا نستريح بالتناوب وفي خلال الساعات التي كان علي ان اكون فيها يقظاً فكرت في المعضلة التي نجابهها فأيقنت بأننا كنا في الواقع على الطريق المؤدي الى ( كفره ) فكان علينا الآن ان نجد اولاً طريقاً عبر الكثبان الرملية ثم نجتاز الجانب المرتفع الجسم المؤدي الى الهضبة .

وتابعنا المسير فجراً وكانت سيارتنا تسيران جنباً الى جنب وليس احدهما اثر الاخرى فاذا توقفت احدهما اندفعت الاخرى ما استطاعت الى ذلك سبيلاً . وقد تمكنا بهذه الطريقة ان نتقدم تقدماً مطرداً اذ ان سيارات ( فولكسواكن ) خفيفة بدرجة يمكن معها حملها باليد من الاخايد الرملية التي تطمس فيها من حين لآخر . وكان السائق يبقى وراء السكان فيرفع راكبو السيارة احد جانبيها اولاً وبعد وضع قضيب خشبي تحته يفعلون نفس الشيء مع الجانب الآخر .

وخمنت اننا وصلنا الى نقطة هي اقرب الى ( كفره ) منه الى ( جالو ) وصارت الارض تزداد صعوبة عن ذي قبل — وتحدثت رؤيتنا الى كل اتجاه من جراه الكثبان التي كانت تكتنفنا من جميع الجهات . وانزلت السيارتان معا من فوق الذروة الى وادي كثيب عظيم وقضينا ساعات طوالاً في العمل الشاق لاجراجهما الى الارض المستوية ثانية . وقد نفذ

نصف كمية البنزين الموجودة لدينا فلم نر بداً من الرجوع الى (مرادة) -  
وقد وصلناها ظهر اليوم التالي .

وبعد يوم قت بمحاولة ثانية وبجنود جدد وعجلات أخرى بغية إيجاد  
طريق عبر الكثبان الرملية التي كانت تبدو غير قابلة للمرور والتي كانت  
شمال شرق التل ذي الرأس المسطح . فوجدنا الطريق الى ( جالو )  
واكتشفنا ان الواحة محتلة من قبل العدو - غير انني كنت استطيع  
أن اقول في تقريرى أن الطريق كان ملائماً لنوع خاص من العجلات  
فقط - وانه يتعذر على المدرعات الثقيلة ان تطرقه بالمرّة . وعدت الى  
( مرادة ) وأنا اشعر ببعض الرضى على الرغم من ان نجاح حملتي كان  
محدوداً . وكانت في الواحة مفاجأة تنتظرني .



## الباب الرابع

### مهمة في طائرة القاتل

استلمت رسالة لاسلكية عند وصولي الى الواحة مفادها :  
« انه واجب ( مرادة ) - راجع الفريق رومل حالا »

ومع اني لم انم إلا ساعة او ساعتين منذ ليال بلا انقطاع فاني سافرت  
من مرادة في نفس المساء في سيارتين خفيفتين اذ أن اسرعتها في هذه  
الحالة قيمة كبرى . وكان هدي في المقر الامامي الذي هو الآن شرق  
( العقيلة ) وذلك حسب الرسالة الرمزية التي استلمتها عجلة اللاسلكي .

لقد جابهنا قبل اسبوع نيران القنابل في هذه المنطقة فكيف تبدل  
الموقف ياترى ؟ . كان للانكليز مرصد ملائم للمدفعية على ارض مرتفعة  
شمال الطريق الساحلي . وان وجودهم فيه ساعدهم على تعجيز تنقلاتنا في  
المنطقة الامامية فكان لذلك مصدر ازعاج تام لنا . فأمر رومل بالهجوم  
على هذا المرصد بسريتين من جنود الهندسة المقاتلين لاحتلاله . وقد نجح  
هجوم هاتين السريتين وكان رومل يرقبهما اثناء الهجوم من طيارته  
الصغيرة (١) فرأى أن القطعات البريطانية تنسحب شرقا . فتمزق وأمر  
مجموعة استطلاع المدرعات بازعاج جناح العدو الجنوبي بالتعاون مع

---

(١) كانت من نوع ( فيسيلر ) وكانت تدعى ( القلق ) - وهي عبارة عن  
طائرة استطلاع صغيرة العرب



دبابات فرقة ( ارييت ) الايطالية . وامر ( فروهليش ) قائد القوة الجوية بأن تترصد قوته تأثير هذه الحركة . فكان تقريرها محيراً اذ جاء فيه « ان العدو يتحرك الى الخلف بمقياس كبير باستقامة ( اجدابية ) و ( بنغازي ) . »

طلب رومل حالا من ( فروهليش ) ان يزوده بمعلومات أخرى عن المنطقة الواقعة قرب ( الخيلي ) وشرق ( بنغازي ) . فكان التقرير الجوي الجديد يبدو بعيد الاحتمال اكثر من ذي قبل اذ كان يشير الى تنقل عام لقطعات العدو شرقاً عبر برقة .

وسائل ( رومل ) نفسه هل كان لي الوقت للقيام بتعرض عام ياترى ؟ فهل في الامكان ان دباباته ( الدمى ) المصنوعة من الخشب والجنفاص قد بلغت حقاً استطالاع العدو الجوي وجعلته يعتقد اننا ننوي القيام بهجوم كبير . وهل ظن العدو ان الحركة المحدودة التي قمنا بها ضد مرصده وان المحاولة الاستكشافية في الجناح الجنوبي دليل على اننا ننوي اجراء حركات مدبرة جبارة ؟

لم يكن رومل بالرجل الذي يضيع الوقت عبثاً في تفكير غير مثمر بل كان عملياً يؤمن بالواقع . فاستثمر الموقف الى اقصى حده فارتجل هجومين أحدهما على الساحل نحو بنغازي وقامت به القطعات الايطالية والآخر اندفاع الماني نحو ( الخيلي ) . واتضح لرومل ان ويفل قدر قوة تشكيلات المحور أكثر من حقيقتها . اذن فان استعراض طرابلس لم يكن عبثاً . واصبح لزاماً الآن أن لا نكتشف الحقيقة . لذلك أمر رومل أن تكون الدبابات على رأس جميع التشكيلات وعلى العجلات الخلفية أن

تثير من الغبار ما استطاعت الى ذلك سبيلا — فمن يستطيع ان يميز في الصحراء غير العجلات الامامية اذا كانت سحب الغبار في الخلف ترتفع كثيفة هائلة ؟ .

و كان رومل لا يطبق الاستقرار في مكان واحد فكان من شأنه ان يكون في اماكن عديدة في آن واحد — و كان يستخدم طائرته باستمرار و يقتل من محل الى آخر فتراه تارة هنا واخرى هناك و يكون عادة حيث لا يتوقعه الناس إلا قليلا .

اقتربت من الساحل شرق ( العقيلة ) بقليل فوجدت هناك عدداً من سيارات الاركاز — ولما كنت مجهداً من عناء السياقة ليلا من (مرادة) فاستلقيت لأنام ساعة او ساعتين . وفي الفجر استيقظت منتعشا على الرغم من الرمل الذي لم يزل ملتصقا بحاجبي عيني . وفي الساعة السابعة صباحا عثرت على علم المقر المتقدم قرب مطار ( اجدابية ) .

لقد اصبحت تقريري عن استطلاع ( مرادة - جالو ) زائداً اذ لا احد يهتم الاآن في امكانيات التقدم على ( جالو ) . وقد تلقاني ( اهليوت ) وهو نافذ الصبر فقدم قائلاً « في أية بقعة من الارض كنت مختفياً » ولم ينتظر مني جواباً بل انحنى على خرائطه وتجاهلني برهة من الزمن . وكانت تبدو على عجلة القيادة اثار التوتر الذي يدل على وجود الحركات . كان الضابط الخفر الملازم الاول ( هوسلن ) في العجلة أيضاً وقد بذل جهده طبعاً ليجتنب اعاقة ( اهليوت ) عن عمله . فخذوت حذوه ولم انبس ببنت شفة . و كان ضابط خفر اللاسلكي يندفع خارجاً وداخلاً ويده الرسائل . و ( اهليوت ) يضع علامات حمراء وزرقاء على ( باغة ) خريطة

الحركات . وفي الخارج لاحظت سحب غبار كثيفة تتصاعد من اتجاه الشمال الشرقي فوق ( مسوس ) .

وظهر رأس الملازم ( هملر ) من الباب فقال « هل ان ( آ ١ ) هنا ( فصاح به ( اهليوت ) بدون ان يرفع رأسه » اذهب الى حيث لقت رحلها . . . . » فتمنيت ان لم اكن في الصحراء .

وتكلم ( اهليوت ) مع رئيس الاركان بالتلفون — فبدأ لي من حديثها انها لا يعرفان محل رومل . فقال ( اهليوت ) :

« رغب القائد ان يطير الى ( مسوس ) بالقلق لكن الطائرة لاتزال في محلها »

وبدأت عاصفة رملية ترتفع في الجو — كان الايطاليون يسمونها ( كبلي ) ( ١ ) والانكليز يدعونها ( خمسين ) — وكان الرمل ينفذ حتى بين الاسنان ، كما كان الجو حاراً والذباب يزعج الانسان . واصفي ( اهليوت ) بالتلفون برهة الى رئيس الاركان ثم أجاب قائلاً « ربما ذهب القائد في سيارته المفتوحة و كان معه الرئيس الاول ( شريبلر ) و ( الدنجر ) . . . »

ثم يظهر ان ( فون دم بورنه ) استفسر عن التقارير الجوية فاجاب ( اهليوت ) قائلاً « بالنظر لوجود عاصفة رملية لا يمكن الاعتماد على

---

( ١ ) وهي عبارة عن كلة ( قبلي ) العربية التي يطلقها أهل ليبيا على الريح التي تأتي من جهة ( القبلة ) . اما اسم ( خمسين ) فقد أخذ الانكليز من المصريين الذين يطلقون هذا الاسم على الرياح الجنوبية الشهيرة . العرب



التقارير الصباحية - على انه يبدو من المؤكد ان القطعات البريطانية قائمة بانسحاب عام نحو ( طبرق ) . »

وشرح رئيس الاركان الموقف الى ( اهليوت ) من وجهة نظره فاصغى اليه هذا وهو ينقر باصابعه على المنضدة بحركة عصبية . ثم اردف قائلا « انني اتفق معكم يا حضرة المقدم في ان الاندفاع يجب أن يجتاز ( المخيلي ) ويتجه نحو ( طبرق ) قبل ان يتسع الوقت للعدو ليتحصن هناك . ان الاوامر الحالية للفرقة الخفيفة الخامسة تقضي « بالاندفاع نحو ( المخيلي ) » - وبالنظر لغياب القائد فهل توافقون على اجراء تغيير في الاوامر وتوجيه الهجوم ضد ( طبرق ) مباشرة بدلا من ( المخيلي ) ؟ »

فوافق ( فون دم بورنه ) واتمت المكالمة التلقونية .

فاتجه ( اهليوت ) نحو وارسل الى نظرة شاردة وكانت عيناه قد فقدتا غموضهما فكأنهما تصوبان النظر في شكل تميزانه شيئا شيئا . وعندما صرت أبدو له بوضوح تام قال : « لاشك انك سمعت الحديث . . . خذ سيارة - لا ، استخدم طائرة وطر الى ( المخيلي ) واعط الى كل رتل الامر الجديد وهو ( تندفع جميع الارتال تواء نحو طبرق ) . »

ثم اكن قد سمعت عن ( المخيلي ) قبل هذا الصباح . وبدت لي عبارة استخدم طائرة شبيهة لقولك عرضا « خذ بيضة » .

فسألت ( اهليوت ) « اية طائرة تستطيع ان استخدمها يا حضرة الرئيس الاول » . وكننت على وشك ان اطلب ايضا خريطة جيدة إلا

انني تركت الفكرة ببراعة حيث ان وجه ( اهليرت ) تخضب بالدم وفتعت عيناه فجأراً قائلاً « ويلك ماذا تحسبني ؟ هل انا مربية اطفال » .

« كلا يا حضرة الرئيس الاول » أجبت متلعثماً ثم حيث وانسحبت من عجلة القيادة بسرعة . وبينما كنت اغلق الباب خلفي فتحها ( اهليرت ) ثانية وناداني قائلاً « خذ لقلق القائد »

لاشك انني قدرت الآن وزن وخطورة الاوامر الصادرة لي بعد ان امرت ان استخدم طائرة القائد الخاصة التي هي أهم وسائل نقله .

ووجدت ضابط الصف الطيار المسؤول عن طائرة رومل فأني ان يصدق في بادئ الامر ان ملازماً صغير الشأن مثلي مصرح له باستعمال طائرة القائد . لكنني بعد ان اقنعت به بأنني است مجنوناً لكي ارتكب مخالفة ركوب هذه الطائرة بدون امر ، ادعى بأن من الجنون محاولة الطيران في عاصفة رملية . وربما كان محقاً في قوله غير ان حديثنا انقطع فجأة في تلك اللحظة واستطعنا ان نسمع ونرى خلال سحب الدخان قنابر العدو تنفلق على مقربة منا وقد تعذر علينا ان نكتشف اقتراب طائرات القوة الجوية البريطانية من جراء هدير العاصفة .

ان هذا مما يجعل ضابط الصف يقتنع على ما يظهر ان الطيران ممكن بل ربما كان آمناً من البقاء قرب المقر . فأخرج خريطة صغيرة استطعنا ان نجد عليها الخيملي بشيء من الصعوبة ثم امتطينا الطائرة وكنتم مرتدياً ثوباً طويلاً اكمامه من تأثير الحر ، وبدون ان آخذ في جيبى ماكنة حلاقة او فرشاة اسنان رحلت الى الجهة في طائرة القائد

وبدأ لي ان طيار رومل يجد بعض الصعوبة في الحصول على الارتفاع على انه بعد استدارات عديدة شعرت بشيء من الراحة عندما لاحظت اننا ترتفع تدريجيا - وكانت تصادفنا ثغرات بين سحب الغبار ، حينما بعد آخر ، فكنت انتهز الفرصة والتي نظرة خاطفة على الارتمال المتحركة . وكان الامر القاضى باجتياز ( المخيلي ) والتوجه نحو ( طريق ) يتردد في رأسي ، وقد عجبت كيف ان رئيس الاركان استعمل ابداعه الذاتي باصداره الامر لتغيير خطة مهمة كهذه بدون علم رومل

وظللت أتمنى ان تخمد العاصفة غير اننا طرنا مدة ثلاثة ارباع الساعة والعاصفة تزداد شدة - ولم يبق لضابط الصف الطيار غير سيطرة قليلة على هذه الطائرة الصغيرة التي كانت تتمرجح يمينا وشمالا بشكل جنوني كأنها طائرة من الورق ربطت بخيط واطلقت في ربيع عاتية

وصحت في الطيار « لا بد من وصولنا الى المكان الذي نقصده فانك تقدر خطورة ذلك بلاشك » فأجابني « أجل يا حضرة الملازم ولكن المستحيل مستحيل »

وكان أحد اراد ان يؤكد ما قاله الطيار فانرفعا عموديا ثم هبطنا وظللنا نهبط حتى بدا لنا الموت المحقق .

على ان هبوطنا توقف أخيراً واعتدلت الطائرة في طيرانها وصاح الطيار وقد بدا عليه انه قرر امراً ما « اننى المسؤول عن هذه الطائرة - وقد قررت النزول » فلم أبدأ اي جواب ولكنني كنت اسائل نفسي كيف يستطيع النزول ونحن لا نرى الارض ، إلا انه تمكن مع ذلك بطريقة ما ان يهبط بالطائرة في عتمة الغبار فلمست عجلاتها



ارض الصحراء الوعرة لمسافة بضعة ياردات . حقا ان طائرة اللقلق هذه  
تستطيع الهبوط في ساحة ( تنس )

قفزت من الطائرة وانا اشعر بدوار في رأسي و كان اعظم ما يختلج  
في فكري — أهمية رسالتي ، إذ لم اكن اجراً على الفشل ، و كان الطيار  
يحاول ان يثبت طائرته في الارض ويربطها بوجه الريح — فصحت به  
ان يبقى في مكانه حتى تسكن العاصفة ثم ذهبت ابحث عن واسطة نقل .

ركضت كالأعمى ، داخل الزوبعة الرملية وأنا أشعر ان الوقت  
نمين وان كل دقيقة تمر تؤثر في الموقف فقلت في نفسي « هل سأظل على  
هذه الحال ساعات يا ترى ؟ » وتملكني احساس بالوحدة وشعور بالضعف  
وصرت اشعر وانا اتعثر بأني . بعيد عن كل مكان ، وبينما انا كذلك إذ  
نحت وسط الغبار الاحمر المتصاعد شبح سيارة ( فولكسوا كون ) يتقدم  
ثم حجبتة دوامة من الغبار الكثيف ولكنني عدوت نحوها وصحت بأعلى  
صوتي ... فرآني السائق وخفف السرعة ونظر الي مستغربا وانا اقفز  
في السيارة واغطس في مقعدها ، ونهني قائلاً « اهتم بالطهاطة رجاء »  
غير ان تنبيهه مع الاسف جاء متأخراً . وقدمت نفسي اليه وأنا ألهت من  
التعب ذا كراً له الورطة التي وقعت فيها .

كان هذا السائق مراسلاً حربياً ألمانيا شهيراً يدعى ( البارون  
فون ازيك ) و كان هو ايضا قد اضاع اتجاهه فقال لي يظهر ان لا أثر  
للحياة لمسافة بعيدة حول هذه المنطقة ، و كان من الصعب تعيين جهة  
الشمس خلال الرمل المتصاعد — غير اننا خمننا انها تكون في الجنوب  
في مثل هذا الوقت من النهار ، لذلك اتجهنا الى اليسار و كان من المستحيل

ان نقدر هل العدو امامنا ام خلفنا لكنه كان من الواضح اننا نسوق  
السيارة نحو الشرق

وقبيل غروب الشمس صادفنا مدفعا ذا عيار كبير تجره ساحبة ،  
ولاقينا جماعة مؤلفة من ثمانية من جنود المدفعية الالمان الذين كانوا قد  
تاهوا ايضا في الصحراء مع مدفع عيار (٨٨) ملم ضد الطائرات وجرارة  
ضخمة وعجلة تموين . فلم نبدأ من ان نقضي الليلة معهم

وفلت لسان احد الجنود بخبر سار وهو ان عجلة التموين مملوءة  
بالبيض الطري . فسلمت ثلاث بيضات احداها الى (فون ازبيك) واخرى  
لسائقه والثالثة لنفسه ، هذا بينما كان المراسل الحربي يغلي القهوة وبدأت  
العاصفة تهدأ . ومع ان الرمال كانت لا تزال ملتصقة بأسناننا فقد كان  
الطعام ممتازاً والقهوة مثل الرحيق

وصفا الهواء عند الفجر فأصبح كالبلور فصرنا لا نرى مدى  
البصر اثرأ للبشر او العجلات . ولحنا حوض ملح يابس في جنوبنا الشرقي  
فحاولت عبثا ان اجد مكانه على خريطة ( فون آزبيك ) وكانت  
الصحراء مملوءة بالصخور فقررنا ان نتجسه نحو الحوض الملحي لكي  
نسرع فوق سطحه الناعم . وكانت فكرة صحيحة لم يشوهها غير انذار  
بخطر انقضا طائرة ( هاريكين ) علينا من ارتفاع واطى .

وبعد سياقة بضع ساعات رأينا رتلا من بعيد متجها نحو الشمال  
الشرقي وكان ( فون ازبيك ) يخشى ان يصل ( المخيلي ) متأخراً فلا  
يستطيع ان يخبر عن سقوطه كشاهد عيان . ولم نكد نترك الحوض

الماحي ونقرب من مرتفع بسيط حتى شاهدنا في الشمال الغربي طائرة  
تطير بارتفاع واطي . وقد اصيبت باصابة مباشرة فسقطت على الارض  
وهي تلهب . ولم نعرف هل كانت هذه صديقة أم عدوة فاسرعنا نحو  
حطامها للتحقق من هويتها . ومررنا في طريقنا على موقع دفاعي - وكان  
لحسن حظنا موقعا ألمانيا - وهو عبارة عن موضع مدفع خفيف ضد  
الطائرات . فسالنا ضابط الصف المسؤول عن المدفع « اين الطريق الى  
( المخيلي ) » فاجابنا « انكم آتون من اتجاهه » ثم اردف قائلا « ان الهجوم  
على ( المخيلي ) اوشك ان يبدأ » .

وكان من دواعي سروري وارتياحي ان أجد بعد بضع دقائق  
هيئة اركان الفرقة الخفيفة الخامسة - فودعت ( فون ازبيك ) على  
عجل شاكرآله مساعدته وراجعت الرئيس الاول ( هاوس ) مبلغا له  
رسالتى . فاصغى الى بهدوء وقال : « هذا مانعهذه في ( اهليت ) . انه  
يفكر في امور كهذه دوما . » ثم تذاكر مع ( الفريق شترايخ )  
حول الامر الجديد غير ان قائد الفرقة هذا كان قد استلم اوامره من  
رومل شخصيا قبل بضع ساعات فكان لذلك على وشك الهجوم على  
( المخيلي ) .

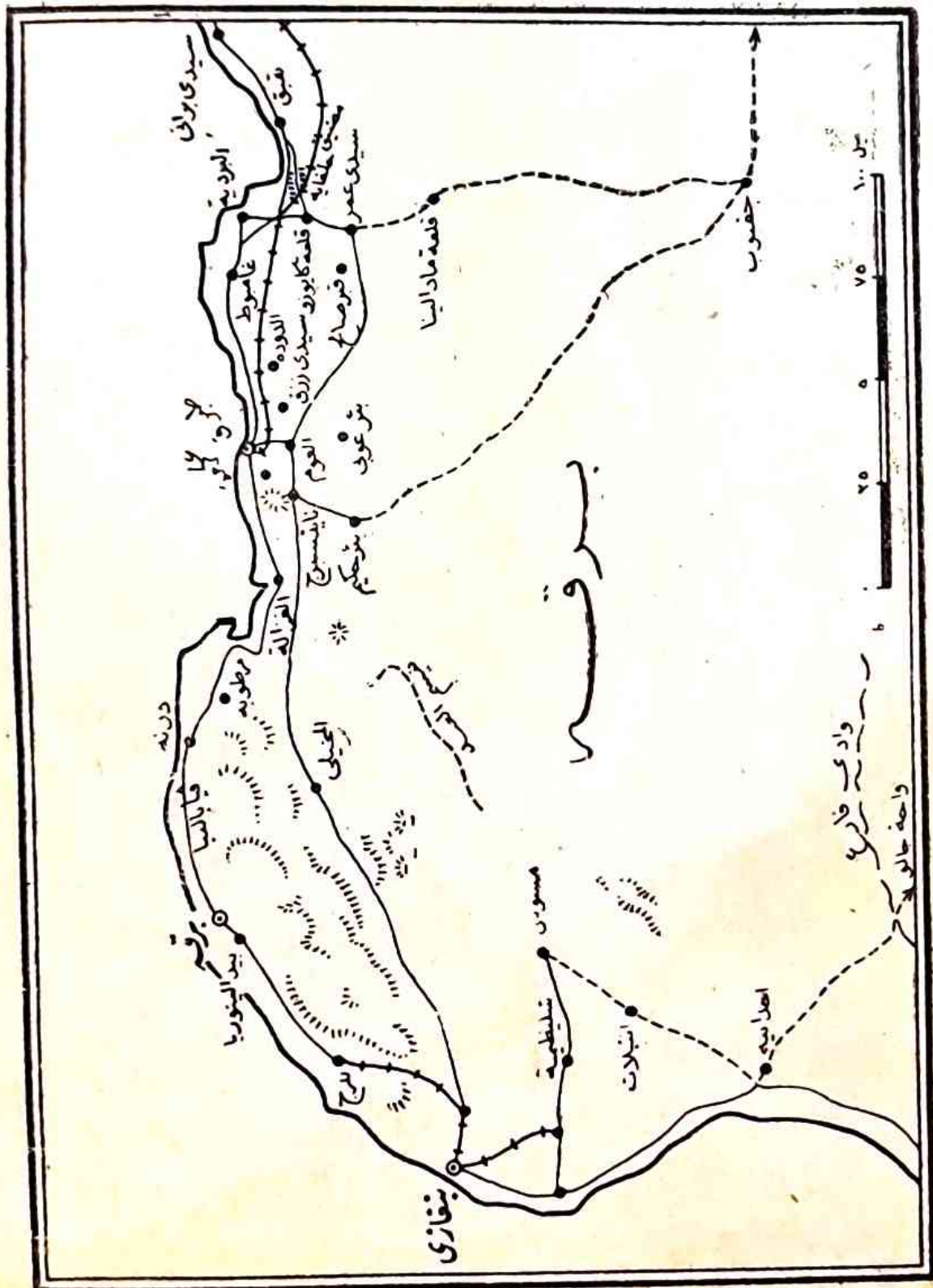
وذهبنا الى القلعة الصغيرة في الصحراء المحاطة بالمواضع البريطانية  
من ثلاث جهات . وكانت المعركة شديدة الا انها لم تستمر غير ساعتين  
فقبضنا بنتيجتها على القائد البريطاني امير اللواء ( كامبير باري ) وهو  
في خيمته . وبلغ عدد الاسرى نحو ( ٣٠٠٠ ) اسير . وحصلنا على نجاح  
رائع آخر اذ استطاعت قوة سيارة من راكبي الدراجات البخارية ان



تلتحق رتلا بريطانياً كان يتحرك شرقاً عبر الصحراء بالقرب من أسفل  
الجلب الاخضر . واستطاعوا والدهشة تغمر نفوسهم ان يأسروا بطلي  
التقدم البريطاني نحو بنغازي - وهما الفريق السير ( ريشارد او كونور )  
الذي لم يمض على منحه هذا اللقب غير مدة قليلة تقديراً لانتصاراته على  
الطليان والفريق السير ( فليب نيم ) حامل ( وسام فكتوريا ) . وهكذا  
كان في جعبتنا ثلاثة من القواد .

كانت أرض النزول في الخيلي مملوءة بالطائرات المحطمة وكانت  
الطائرات البريطانية تنقض عليها من حين لآخر انهاجمها من جديد .  
وفي ذروة احدى الهجمات هبطت ( طائرتي ) المقلق من السماء قفز  
منها رومل وهو يتسم مبتهجا وقد عاد نشيطاً من استطلاعه  
الصحراء .

وكانت سيارات القيادة للقواد البريطانيين الأسرى واقفة على مرتفع  
صغير . وكانت هذه عجلات واسعة ذات ابدان زاويوية محمولة على  
دواليب كبيرة ومجهز داخلها باللاسلكي وبالتسهيلات اللازمة للأعمال  
الكتابية . وقد سميناها فيما بعد ( الماموث ) غير انه لم يخطر ببالي وقتئذ  
ان رومل وهيئة اركانهم وروسيه سيستعملون هذه العجلات المفيدة  
طيلة النضال الطويل الذي كان قد بدأ الان في الصحراء . وفحص  
رومل هذه العجلات باهتمام شديد بعد ان واجه القواد البريطانيين  
الأسرى مواجهة قصيرة ، وراقبها وهي تفرغ من معداتها البريطانية .  
فاكتشف من ضمن الاشياء التي اخرجت من العجلات زوجاً من النظارات



خريطة رقم (٣)





الكبيرة التي تلبس للوقاية من الشمس والغبار . فاستلطف هذه وقال  
مبتسما « غنائم ، سأخذها ! مباحة حتى للقائد . »

ووضع النظارات على حافة قبعته المزركشة بالشرائط الذهبية  
واصبحت هذه النظارات بعد ذلك العلامة المميزة لـ ( ثعلب الصحراء ) .



## الباب الخامس

### على أبواب طبرق

قاد رومل سير التقدم نحو ( طبرق ) قبل طلوع النهار — وكانت هيئة ار كان فيلق افريقيا الالماني قد وصلت الى ( المخيلي ) قبل ليلة . فخصص رومل احدى عجلات ( الماموث ) الى الفريق ( شترايخ ) قائد الفرقة الخفيفة الخامسة واحتفظ باثنتين منها لنفسه وهيئة ار كانه وأمر برسم الصليب الالماني عليها .

ولما كنا قد استولينا على عدد لا يستهان به من عجلات العدو فقد خصصت لي سيارة ار كان مفتوحة تشبه السيارات التي كان يستعملها رومل .

وقد زودني ( الدنجر ) الذي كان على وشك ان يذهب في السيارة الامامية مع رومل بالتعليمات اللازمة قائلا : « يا سيد ( شمت ) يجب عليك من الآن فصاعدا ان تعقب سيارة القائد وان تكون تحت تصرفه دوماً » .

## ٢

كانت تلك أياماً مشهودة — ففي ٢٧ من شهر مارت تولى الملك ( بطرس ) السيطرة على يوغوسلافيا بعد ثورة القصر التي حدثت في الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم ، وفي ال ( ٢٨ ) من هذا الشهر ضربت البحرية البريطانية حلفاءنا الطليان في معركة رأس ( مانابان ) . وفي اليوم

التالي وصل لواء جنوب افريقيا الاول الى ( ديريداوا ) في الحبشة فأصبح من الواضح ان مصير ( اديس ابابا ) قد انتهى . وسقطت ( اسمره ) بعد يومين (١) — وفي ٣٠ مارت بدأت حركة رومل في (العقيلة) وكان يشوبها شيء من التردد ، وفي ٢ نيسان طردنا البريطانيين من ( مرسى بريقة ) على الساحل ومن ( اجدا بية ) ايضا - وفي اليوم التالي اخلوا ( بنغازي ) التي كان الاحتفاظ بها صعباً على الدوام .

وفي الوقت نفسه حدث انقلاب موالي للمحور في العراق من قبل ( رشيد عالي ) فغدا ( ويفل ) امام معضلة اخرى . وكان كل من (ايدن) وزير خارجية بريطانية والعميد ( السير جون ديل ) رئيس اركان الجيش الامبراطوري في ( اثينا ) وقد ذهبوا اليها بعد ان طلبت اليونان المساعدات العسكرية . فاضطر ( ويفل ) بأن يتعهد بارسال قطعات من الشرق الاوسط الى اليونان التي غزتها المانية صباح يوم ٦ نيسان ودخلت يوغوسلافيا في نفس اليوم .

وفي ٧ نيسان تم الاستيلاء على ( درنه ) وسقطت ( اديس ابابا ) واصبح مأواي السابق ( مصوع ) (٢) على وشك الاستسلام — اما في الصحراء فقد كان رومل منتصراً .

### ٣

وفي احدى الوقفات القصيرة تلقى رومل رسالة لاسلمكية من الملازم

---

(١) دخلتها الفرقة الهندية الخامسة ( بقيادة امير اللواء هيت ) في ١ نيسان

(٢) استولى عليها اللواء آن الهنديان الساييم والعاشر ولواء الشرق افرائسه

الحرة وذلك في ٧ نيسان ١٩٤١



الاول ( بهرندت ) مفادها « وصلنا ( درنه ) » . وكان هذا الضابط مساعداً لـ ( ١ ج ) وقد ولاه رومل قيادة مجموعة مختلطة من القطعات مع مدافع ضد الدبابات تألفت منها موقعا مجموعة قتال وأمرها رومل بالتقدم نحو ( درنه ) . وقد سبقت هذه القوات الايطالية المتقدمة على طوال الطريق الساحلي وقبضت على عدد من الاسرى .

و كانت القوة الجوية الالمانية قد بدأت قبل ايام بنقل سرايا تقوية للفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) عبر البحر المتوسط . وكان قائد هذه الفرقة الفريق ( فون بريتويز ) اول من نزل في افريقيا من رجال فرقته وبعد ان واجهه رومل مواجهة قصيرة ثم قاد ( فون بريتويز ) القطعات المتقدمة نحو ( طبرق ) فاصطدم بدفاعاتها الامامية وقتل — فكان اول قائد الماني يسقط قتيلا على رأس قطعاته في افريقيا .

وعندما حل الظلام وصل رومل وباقي هيئة اركانها الى بيت مطلي بالكلس الابيض يقع غرب ( طبرق ) وكان هذا البيت في زمن السلم بيت مهندس الطرق . وكان احد الاستراليين قد رسم على جدرانه الخارجية رسوما فنية بمجد بها مزايا شرابه المفضل وزينها ايضا بمناظر سباق الخيل البهيجة . وكانت اعمدة البرق منصوبة عبر الصحراء بين هذا البناء وقلعة ( عكرمة ) . وعلى مقربة من هذا البناء دفنا ( فون بريتويز ) والالمان الاخرين الذين سقطوا معه .

وتأسست هيئة اركان المقر في واد جنوب غربي البيت الابيض وجعل ( اهليوت ) احدي عجلتي ( الماموث ) ( التي كانت من عجlan القيادة المدرعة ) كدائرة حركات واحتفظ بالاخري لرومل نفسه .

وفي صباح اليوم التالي رحل رومل الى ( عكرمة ) - وكانت سيارتي وعجلة مدرعة خفيفة تحرسان سيارته . فانطلقنا نسير على نيسم ( عكرمة ) الذي ظل لمدة طويلة بعدئذ خط موصلات معروفا ومتعباً الى ان تم تأسيس ( طريق المحور (١) ) الجانبى عبر الصحراء الى القلعة الصحراوية البسيطة . ومن ( عكرمة ) اتجه رومل نحو الجنوب الشرقى باستقامة (العدم) فانصببت حوالينا نار المدفعية فافزعت الغزلان التى اخذت تشب بين سيارتنا الثلاث - وظلت القنابل تعقبنا ، وهي مسجلة تسجيلاً جيداً ، الى مسافة معينة .

وبعد سيطرة نصف ساعة صادفنا سرايا من المشاة الالمان الذين كانوا يحتلون مواضعاً على الارض المرتفعة بالقرب من (العدم) . فوقف رومل ليتكلم قليلاً مع ضباط هذه السرايا التى وصلت هناك قبل بضع ساعات وقد صادفت بينهم الملازم ( شمت ) الذي كان رفيق فى حملة ( مرادة - جالو ) . وبينما كان القائد يتكلم اذا برشقة من قنابل العدو تسقط بيننا فقتل ملازم حديث وفقد صديق ( شمت ) إحدى يديه .

وبعد مسير ميلين نحو الشرق وجدنا الفريق ( شترايخ ) مع عجلة ( ماموث ) وهيئة اركانها وهم منقشرون فى واد عريض . وقطعت بطريات طبرق نيرانها الآن فعلق رومل على ذلك قائلاً ( شترايخ ) وهو يغمز بعينه :

---

(١) لقد اضطر رومل الى تأسيس هذا الطريق لان الطريق الاصلي كان يمر من داخل قلعة ( طبرق ) وهى الطريق الجديد ( بطريق المحور ) نسبة الى دول المحور وكان يمر من جنوب طبرق .

« ربما كان الافضل للانكليز ان يقتصدوا بعنادهم فقد يحتاجون فيما بعد الى كل مالههم . »

وكأنما شاء الانكليز أن يكذبوا ما قاله رومل اذ سرعان ما سمعنا زعيق رشقة جديدة انفجرت بالقرب منا وكانت تستهدفنا طبعاً . إلا اننا ادركنا بسرعة ان هذه القنابل لم تأت من طريق بل من الجنوب . فنظرنا في نواظيرنا الى قمة ارض مرتفعة عليها بناء منخفض طويل ووصف من اعمدة البرق « هذا هو ( العدم ) » قال ذلك رومل بصوت منخفض وهو ينظر في خريطته بسرعة ثم يعاين الارض ثانية بمنظاره .

ولمح رومل مدرعة منفردة فاستنتجنا انها لابد ان تحتوي على ضابط رصد لمدفعية العدو ، وبينما نحن نحاول اتخاذ التدابير ضدها اذا بها بعد نحو ربع ساعة تذهب فانقطع بذهابها نيران القنابل .

وفي الوقت نفسه تباحث القائدان في الموقف التعبوي - وقبل ان تغادر مكاننا كرر رومل الى قائد الفرقة قوله ينبغي لنا ان نهجم طريق بكل قوانا حينما تأخذ دباباتك مواضعها وقبل ان يتسع الوقت للانكليز للحفر . »

وعند طلوع الشمس تركنا معسكر العراء غرب البيت الابيض وتحركنا ثانية خلال الغبار الكثيف الى ( عكرمة ) وكانت الارتال القادمة من الجهة المعاكسة والعجلات التي في الامام قد احدثت سحبا كثيفة من الغبار لدرجة تعذر معها ان نميز غير الاتجاه التقريبي للآثر بواسطة اعمدة البرق الممتدة على طواله . وهكذا لم تكن ثمة عجلات على



الطريق غير عجلائنا الثلاث وهي سيارة رومل وسيارتي والمدرعة الخفيفة .  
وفي ( عكرمة ) وقف الملازم الاول ( واهل ) مع دباباته الاربع  
في وضع الاستعداد للقائد عند وصوله . وقد تحدثت مع ( واهل ) -  
وكان شخصاً جذاباً مملوءاً بالمرح والروح السامية - بينما كان رومل ينظر  
بامعان الى نقاط ( طبرق ) القوية في الشرق في منظره . وكان صامتاً  
كأنه قد سحر - وكان بدنه المكتنز منتصباً فوق رجله المتباعدتين .  
ومرفقاه منحنيان وهو ماسك منظاره ( زايس ) قريباً من عينيه . وكان  
ذقته مندفعاً الى الامام ونظارات ( الخيلي ) على حافة قبعته .

« حضرة الملازم لنذهب » قال رومل ذلك فجأة واردف قائلاً « قل  
لذلك الضابط ان يتبعنا مع دباباته » ثم قفز في سيارته وساق الى الامام .  
فبلغت اوامره فاعطى الضابط الى دباباته اشارة الحركة رافعاً - ذراعه  
الى اعلى عدة مرات - ثم تسلق ( واهل ) دبابته الخاصة وابتسم قائلاً  
« الى طبرق . »

وتحركنا شرقاً لمسافة عدة اميال وكانت تنفجر حولنا نيران القنابل  
من حين لآخر . ومررنا ببطرية ايطالية اتخذت موضعها في واد  
وكانت تجاوب باضطراب النار الاتية من ( جيرنك كروس )  
داخل طبرق .

فوقف رومل ودرس خريطته . والتفت الى الخلف واذا بالدبابات  
قد عجزت عن ان تجارينا في سرعة المسير وكانت سحب غبارها تندفع  
الى الامام من مسافة بعيدة في الخلف . واوماً القائد إلي فركضت الى جانبه

فقد اصبعه النشطة مشيراً بها الى قسم من الخريطة وهو الجناح الغربي من الجهة ثم قال :

« ان موضع البطرية صحيح ولكن اين فوج ( بير ساكليري ) اذ يجب ان يكون هذا في موضع على الارض المرتفعة الواقعة امامنا مباشرة . »

ونظر رومل الى الخارطة مرة أخرى و اضاف يقول بغضب « يبدو ان القيادة الايطالية ذكرت لي موضعاً مغلوفاً » ثم اردف قائلاً « اذن يظهر ان الامر الايطالي لم يصل الى جنوده بعد . »

وفي هذه اللحظة وصلت الدبابات الى خلفنا — واذا بالوادي كله يعج بانفجارات القنابل وقد انفلقت رشقة فوق رؤوسنا تقريباً فصاح بي رومل عد الى الخلف وأمر الدبابات أن تبقى حيث هي الآن حتى تستلم وصايا اخرى ثم اردف يقول « اننى ذاهب الى هذا المرتفع . »

لم تكن السياقة الى الخلف عبر الوادي الى حيث الدبابات من الامور السهلة لأن النار هناك كانت على اشدها . ولقد شعرت بارتياح عندما بلغت الامر وصار في وسعي ان اطلب من سائقي ان يستدير ويعود الى الجهة ثانية . وتركت السيارة في اسفل المرتفع وركضت على سفحه صاعداً الى حيث رومل . فوجدته مضطجعا على الارض والقنابل تنساقط يمينه وشماله . كان وحيداً بالمرّة اذ كان قد ترك ( الدنجر ) في الخلف ليجيب على الرسائل المتراكمة .

وراقبت رومل وهو منبطح على بطنه يدرس الارض التي امامنا بامعان في ناظوره . كانت شفتاه الصلب مطبقتين الآن . وعظام خديه

البارزة تبدو بيضاء وقبعته تجثم خلف رأسه . فقدم قائلاً : « قلعة ( بلاسترينو ) » فنظرت بسرعة في خريطة ثم قبعته خلف كومة من الحجر وصرت افحص ايضاً الارض الامامية وكانت هذه تنحدر امامنا ثم ترتفع ثانية ارتفاعاً تدريجياً الى مضافة مماثلة ، وكانت توجد على ذروتها خربة حجرية مثلثة الشكل تحيطها شبكة قريبة من الاسلاك الشائكة . ويرى على مسافة بعيدة وراءها مرتفع من الحجر أعلى منها فخمنت ان هذا هو ( بلاسترينو ) الذي كان مرصداً للعدو .

وكان رومل ينظر الى دفاعات ( طبرق ) الحقيقية للمرة الاولى إلا انه لم تكن لدينا وسائل لقياس قوتها . وشاهدنا بعد حين صوراً تتحرك حول الخربة ويبدو ان ذلك استقر في رومل رغبة ( الصيد ) فأمرني قائلاً « أيها الملازم ! . اوامر الى الدبابات ! . اهاجم على الخربة الحجرية في الامام دبابتان من الوادي الشمالي واخريان عبر الوادي الجنوبي القريب الى الخربة . »

فأجبت : « امركم يا سيدي القائد » وكررت الامر الذي اعطاه وبما انني رصدت قبل هذا وادياً أعمق من الوادي الجنوبي وغير بعيد عنه فقد تجاسرت واقترحت قائلاً : « ألبس من الافضل ان تتقدم الدبابات من الوادي الاعمق يا سيدي القائد » .

فلعبت عينا رومل كالبرق واحمر وجهه غضباً وقال « أيها الملازم افني لست غيباً بالدرجة التي تعتقدها » فأديت التحية ومضيت بسرعة لانجاز تعليماتي وانا ألوم نفسي على تجاسري ، وشعرت برهة من الزمن ان ليس لانفجارات القنابل حولي اهمية كبرى .



ووصلت الى الدبابات واوضحت الاوامر الى الملازم بعد ان  
وصفت له الارض باختصار . فبلغ بدوره الاوامر الى آمري الدبابات  
الآخرين بواسطة ( مكرفون ) جهاز تلفونه اللاسلكي ، ثم ابتسم لي  
بهدهو وأشار بيده علامة الوداع قبل ان يغلق البرج واندفعت دباباته  
تزجر تتبعها الدبابات الاخرى .

فراقبنا هجوم الدبابات التي اطاعت الاوامر واقتربت الى هدفها  
وهي الخربة . الا انه انصبت عليها نار قاتلة بصورة فجائية . وبعد  
لحظات قليلة توجهت على مرصدنا نيران عدة بطريات من المدفعية فركضنا  
فنشد ملجأ في السفح الا ان النيران كانت تزداد شدة ، وتساقت  
القنابل على بطرية المدفعية الايطالية فأبادت احدى الاصابات المباشرة  
مدفعا واحداً مع قذاحيه (١) واستمرت هذه النار الجهنمية تنصب علينا  
حتى غابت الشمس فانقطعت عنا . ثم عدنا الى المقر المتقدم قرب البيت  
الابيض .

وبعد مضي اسابيع على هذه الحادثة عثرت جماعة من المهندسين  
المقاتلين الذين هاجموا ( رأس ميداوا ) على الاشلاء الممزقة للملازم الدبابات  
وهي تتدلى عبر دفاعات الاسلاك الشائكة امام الخربة .

## الباب السادس

### (١) قائم على جمل

وضع فيلق افريقيين يده في ذلك اليوم على خرائط دفاعات طريق للمرة الاولى ، وبما ان حلفاءنا الطليان هم الذين هبوا هذه الخرائط فقد يتوقع القاري. انه كان لدينا منها كميات غير محدودة . ولكن الواقع خلاف ذلك إذ لم نتمكن ان نحصل إلا على نسختين منها فقط . وقد أخذ رومل احداها وارسلت الاخرى الى ( شترايخ ) قائم للفرقة الخفيفة الخامسة .

وقد اعجب رومل بالتوزيع الماهر للمواضع الدفاعية والعمق غير المتوقع للدفاعات بوجه عام ، وأيدت الخرائط حقاً دقة تقارير الاستطلاع الجوي التي كننا نشك فيها في بادىء الامر .

ولم يظهر ( شترايخ ) حماساً كبيراً للواجب الشاق الذي كان يتطلبه الهجوم على طريق .  
وأرخصى الظلام سدوله قبل ان نعود الى محلنا .

## ٢

كان رومل ينادي في الايام الباقية من نيسان ( ليتقدم كل جندي

---

(١) "A General on His Camel" وهو اصطلاح في الجيش

(المعرب)

الالماني يطلق على القائد الموزول عن قيادته

الى طريق ) و كان باقي الفرقة الخفيفة الخامسة قد وصل في ذلك الحين كما كانت الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) تنقل على عجل عبر البحر المتوسط ، وقد هبطت من الجو في ( درنه ) مفارز من مجموعة اسناد المشاة ، وأخذت التشكيلات الايطالية تصل ايضا ، و كانت الحلقة حول ( طريق ) تنسد يوما بعد يوم .

و كان رومل مع القطعات في الجهة من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل و كانت نيران المدفعية البريطانية والاسترالية تعقبه على ما يظهر اكثر من اي شخص آخر ، وبعد ايام قلائل لم يكن في فيلق افريقيامن يضاهي رومل في معرفة النياسم الصحراوية ومديات مدافع ( طريق ) حتى نحن ضباط ركنه المباثرون .

كان من ضمن ضباط ركن رومل الا ان الملازم ( بيرندت ) احد رجال ( غوبلز ) والذي عرفته في ( ماربل أرج ) ، و كان المقدم ( كراف شويزن ) قد استدعى من حملة الى ( مرزوق ) - وهي الرحلة التي اضعتها - وولي قيادة موضع على جانبي الطريق الساحلي المؤدي الى طريق من الشرق ، و كان قد تقرر قيام الهندسة المقاتلة بهجوم في هذا القاطع .

واستعمل رومل في بعض الايام ( ماموئه ) لزيارة الجهة اذ كانت تؤمن حماية مدهشة ضد القاصفات النارية والرشق الجوي والمناشرو. و كنا نجابه كثيراً من هذه الهجمات خلال سفراتنا اليومية ، الا ان رومل كان قد اعتاد الجلوس فوق سقف الماموث مدليا رجله خلال بابه



المفتوح و كان يرافقه في اغلب الاحيان ( الدنجر ) الذي كان معه ايضا في الحرب العالمية الاولى .

و كان القائد يوحى الى جميع المراتب بالحماس والنشاط أينما ظهر و كان بضيق ذرعا بمن ليس بحماسة وفعاليته من المرؤوسين . كما انه كان قاسيا في معاملته لكل من يعجز عن اظهار ابداعه الذاتي فكان يطردهم ويرسلهم الى المانية فوراً

و كانت سفراتنا الى الجهة تبدأ مبكراً في الصباح وتستمر غالباً الى مابعد حلول الظلام . و كان رومل يأخذ ( سكان ) السيارة من سائقه عندما يبدو عليه التعب . و كانت حاسته بالاتجاه مدهشة وله مقدرة خاصة على إيجاد الاتجاه الصحيح ليلاً مهتدياً بالنجوم .

و كثيراً ما كان يرسلني ( اهليرت ) حال وصولنا الى المقر المتقدم غرب البيت الابيض بأوامر تحريرية الى قواذ الفرق بحجة انني اعرف الطريق .

و كان رومل يتذاكر في مساء كل يوم مع ( فون دم بورنه ) و ( اهليرت ) وبعد ان يتناول طعاماً بسيطاً يطبخه له مراسله ( كستر ) يجلس ليكتب الى زوجته وابنه ( مانفرد ) الرسالة المشتركة الوحيدة التي يكتبها يومياً . وفي تلك الايام كان رومل يحضر شخصياً كل هجوم يشن على اية نقطة من النقاط الواقعة في نطاق طريق وقد اعتاد ان لا يكون مع هيئة اركان التشكيل المهاجم بل مع قطعات الخط الامامي . و كثيراً ما كان يصدر الأوامر بنفسه الى القطعات المهاجمة في حينه ويغير الخطط لتلائم الموقف

فكان ذلك مما يزعج الآمرين المسؤولين عن تعبئة القتال اذ كان هؤلاء يعتبرون ذلك تدخلا في واجباتهم ويستنكرونه بمرارة .

٣

وقد فشل هجوم ( كراف شورن ) على دفاعات طبرق الشرقية بعد قتال عنيف . ومن الغريب ان رومل لم يبد اهتماما في القاطع الشرقي بعدئذ بل صار يستهدف الهجوم على القلعة من قاطع ( العدم - عكرمة ) اما أنا فلقد كنت أفضل القاطع بين طريق الساحل شرق طبرق والطريق المؤدي جنوبا الى ( العدم ) . واسفت لان هذا القاطع كان يبدو مهما في خططنا الهجومية غير اني منذ ان قدمت مشورتي للقائد بلا مسوغ في ( بلاسترينو ) تعلمت ان اكون فطنا . فاحتفظت لذلك برأي لنفسي في هذه المرة .

ووزع الفريق ( شترايخ ) الكتيبة المدرعة الخامسة التي يقودها العقيد ( اوامرشت ) جنوب طبرق ولم تكد الدبابة الاخيرة منها تصل موضعها حتى اعلن رومل انه يريد هجوما على القلعة من الجنوب ويظهر انه لم يكن ليرتاح ان بقيت ( طبرق ) كخارج في جانب خط مواصلاته المؤدي الى الحدود المصرية .

« اننا نتوقع اثني عشر مدفعا سياراً آخر ياسيدي القائد » قالها ( هاوسير ) ضابط ركن ( ١١ آ ) للفرقة الخفيفة الخامسة لرومل ثم اضاف قائلاً « اني اقترح ان ننتظر وصول هذه المدافع قبل شن الهجوم . » ويبدو انه كان لرومل ثقة في الرئيس الاول ( هاوسير ) اكثر من

قائده الفريق ( شترايخ ) — فلوماً برأسه وقال « حسنا ( هاوسير ) —  
افعل ذلك . »

و كانت الخطة تشتمل على هجوم موحد بالدبابات والمشاة المؤتمنين  
من رماة القنابر والمهندسين المقاتلين الذين سبق ان برهنوا على انهم  
يتصفون بمزايا حربية جيدة . وقد تقور توسيع الثغرة التي ستفتح في  
مواضع العدو بواسطة وحدات من افواج الرشاشات نوا . و كانت  
على الدبابات أن لا تتقدم الى نهاية عمق الثغرة كله بل يجب ان تفتح على  
كلا الجانبين وتستثمر الفوز محاولة احاطة مواضع الخط الامامي للعدو  
من الخلف . وعلى الرغم من أن الثقة في هذه الخطة كانت كبيرة فقد  
فشل الهجوم . وقد استطاعت الدبابات ان تخترق الاماكن الامامية  
القصوى وتمكن المهندسون المقاتلون من الوصول الى الخنادق لكن  
القطعات الانكليزية والاسترالية قاتلت بعزم شديد فتمكنت بالنار الجانبية  
أن تدحر الدبابات مكبدة اياها بعض الخسائر وان تصد أي تقدم آخر  
قام به المهندسون المقاتلون . ثم انبرت دبابات العدو فقامت بهجوم مقابل  
واستولت على عدد لا يستهان به من جنود هندستنا المقاتلة وجنود المشاة  
قبل أن يتسع الوقت لهؤلاء ان يحصنوا المواضع التي وصلوا اليها .

وتميز رومل غيضاً لهذا الفشل . فلام الفريق ( شترايخ ) قائلاً « لم  
تبذل دباباتك اقصى جهدها وتخلت عن المشاة في اخرج وقت . »

فدافع الفريق ( شترايخ ) عن اعمال دباباته قائلاً « لو لم يكن القاطع  
كله محمياً بمصائد الدبابات العميقة والمغشوشة غشا جيداً لاستطاعت  
دباباتي ان تصل الى اهدافها بالرغم من النيران الشديدة التي انصبت عليها  
من اسلحة مقاومة الدبابات »



ولا شك ان الدفاعات كانت اقوى مما توقعنا . وقد علمنا فيما بعد انه كان على مقربة من مكان الهجوم قاطع يكاد ان يكون خاليا من مصائد الدبابات خلوا تاما . وكان الايطاليون قد اسسوا هذه المصائد إلا انهم تخلوا عنها عندما استولى ( ويفل ) على ( طبرق ) قبل اربعة شهور على ان رومل لم يقبل هذا العذر ولم يرد ان يسمع مثل هذه الايضاحات فاعتبر ان الفريق ( شترايخ ) والعقيد ( اولبرشت ) لم يبديا عزيمة كافية اثناء المعركة فصب عليها جام غضبه بصراحة ونفوه بعبارات خشنة كالتى لا يفترض ان يستعملها إلا قائد ضد آخر .

وفي ذات يوم بعد هذا الحادث زار رومل ايضا مقر الفرقة الخفيفة الخامسة وذلك قبل يوم من هجوم آخر بالدبابات ، و كنت انا و ( للدنجر ) ترافقه في هذه الزيارة وبعد انتهاء المؤتمر قال رومل ( لشترايخ ) بتأكيد ذى مغزى « أتوقع ان يجري هذا الهجوم بأشد عزم ممكن وبقية ادتك الشخصية . واني أترك تحت تصرفك مرافقي الملائم ( شمت ) » .

وفكرت لحظة ان ذلك قد يعنى اما انى سأكون مفيداً لهذا القائد الذى طلب منه ان لا يعود إلا منتصراً ، او ان الازمة ملازمة الظل ، واذا بقى حياً فعلى ان اقدم تقريراً عنه .

لقد احببت ( شترايخ ) الودود العاقل الذى كنت اعتبره رجلاً على جانب عظيم من الشجاعة وكذئ ( هاوسير ) وأسفت للعامالة القاسية التى يلقينها من رومل .

شعرت وانا في مطعم القرقة الخفيفة الخامسة كأننى فى بيتى ولاحظت فى الجدار الداخلى لـ ( ماموث ) ( شترايخ ) وسام صليب

كبيراً معمولاً من الورق المقوى لكنه كانت في مركزه صورة ذبابة سوداء كبيرة بدلاً من (السواستيكا) الاعتيادية . وقد اوضح لي (هاوسير) ان هذا الوسام يمنح باحتفال في مساء كل يوم الى ساكن (الماموث) الذي يسقط اكبر عدد ممكن من ذباب الصحراء المؤذي خلال النهار ومع اني اقدر ان افهم ترويحهم عن انفسهم بهذه التسلية المفرحة لكنني بدأت اقدر ايضاً وجهة نظر رومل في تشديده المستمر على مرؤوسيه بوجوب اظهار ابداعهم الذاتي وابداء روح العداء والصلابة ضد العدو . إذ لم يكن لديه وقت لتوافه الامور .

تحركت مع الفريق (شترايخ) قبل فجر اليوم التالي — وكان المقرر ان يبدأ هجوم الدبابات عند طلوع الفجر — وكان على شترايخ ان يقود الهجوم بنفسه في دبابه اخذت تعقب سيارتنا المكشوفة مباشرة وكان لدى (شترايخ) خريطة الحركات الوحيدة الموجودة في الفرقة كلها وكان يستعين بها في ايجاد اتجاه المسير وقد اوعز لي في الوقت نفسه ان اديم الاتصال مع الدبابات الآتية خلفنا .

وللاقتصاد في الوقت قرر (شترايخ) ان يستفيد من طريق (العدم — طبرق) الى اطول مسافة ممكنة شمالاً قبل ان ينحرف نحو الغرب ليلتحق بالدبابات التي كانت في موضع التهيؤ . ولم يتكلم الا قليلاً وكان يبدو مشغول البال — ربما بتوبيخ رومل له .

وتابعنا المسير الى مسافة ما ونحن ضامتون ، فشعرت ان الوقت قد حان لأن اقول (لشترايخ) « يا سيدي القائد اظن انه ينبغي لنا الآن ان نستدير » . فقال القائد وهو شارده الفكر :

« نعم نعم يا عزيزي سمح يجب أن نستفيد من الطريق الى اقصى ما يمكن . »

وبعد أن لمح خريطة على بصيص مصباحه اليدوي اضاف قائلاً « لازلنا نستطيع الاستفادة من الطريق لمسافة قليلة أخرى » على أن معذرتة في ايجاد اتجاهه لم تكن تضاهي - على ما يظهر مقدرة رومل ذلك لاننا وجدنا انفسنا بغتة وسط ضجيج شديد فابقنا اننا اصبحنا على مرأى من العدو لأن القنابل وقذائف ضد الدبابات تمزق بقربنا وهي تصفر فقفرنا من السيارة بسرعة البرق واندفعنا نحتمي خلف الدبابة فتعلقنا بها وسحبنا ارجلنا الى فوق لاجتناب رصاص الرشاشات التي كانت تنصب على سرفة الدبابة الى ارتفاع الركبة واني اتذكر كيف ان سائق الدبابة بدأ في ذلك الحين يستدير بسرعة بدون ان يفكر في نتائج ذلك علينا وكاد أن يكشف مكاننا خلفه الى العدو لولا أن انقطعت سلسلة خلفية من السرفة .

وكان الملك الوحيد الذي نستطيع اتباعه في هذا الموقف هو أن نمضي الى مجموعة عميقة من حفر القنابل خلف سائق الدبابة الذي سبق له ترك برجه وراح يعدو نحو جانب الطريق بسرعة .

وكان الظلام لا يزال مخيماً إلا أن الضوء كان على وشك الانبثاق فلم نجراً على البقاء في مكاننا بل قررنا أن نهرب باتجاه الجنوب الغربي وبينما نحن نهياً لترك حفر القنابل اذا برشقة جديدة تنفجر حولنا فسمعنا السائق يصرخ وصاح به القائد « ماذا دهالك هل جرحت . »

اجابه « كلا ياسيدي القائد لم اجرح بعد » فضحك القائد من جوابه بالرغم من الموقف المزعج الذي كنا فيه . وبقينا نقفز ونختبئ حتى



استطعنا ان نشق طريقنا عبر الصحراء الى حيث دباباتنا رابضة . وعندما وصلناها كان ضوء النهار قد انبثق انبثاقا تاما .

وهكذا تأخر وقت الهجوم ولم يعد في وسعنا أن نقوم به وكانت القنابل تنساقط حول الدبابات فتكبتها الخسائر . فطلب العقيد ( اولبرشت ) اذنا من القائد لسحب الدبابات الى مواضع مهيأة .

وطلبنا سيارة بالاسلوكي فاقبلتنا الى مقر الفرقة . بعد ساعات من ذلك اخبرت رومل بما حدث وأنا اشعر بخوف من رد الفعل الذي يحصل عنده لما اصابنا من فشل في الفجر . غير انني بوغت وشعرت بارتياح عندما علق على ذلك بهدوء قائلاً عد الى ( اولبرشت ) واوعز اليه ان يأخذ دباباته الى النقطة ( ١١٢ ) ( ١ ) . فعدت بسيارتي والفرح يملأ قلبي حيث انني احمل اخباراً اسر مما يتوقع .

ورأيت الدبابات في الافق واقفة في مواضع ضامرة وقد اغلقت فتحات ابراجها . وكانت القنابل الاتية من ( طبرق ) تقدم بركايتها اليومية فسأت السائق « من اين يأتي الانكليز بكل هذا العناد ياترى ؟ » - فلم يجبني - ولم اتوقع منه جواباً - ولكنه ساق بمرعة جنونية نحو المنخفض عندما اصبحنا تحت خطر القنابل ووصلنا الى دبابة فانفتحت نافذتها وأطل منها ( اولبرشت ) - ولما اخبرته بأوامر رومل قال وصوته يعبر عن ارتياح « شكراً لله - لقد اعطى لنا امر معقول اخيراً »

وبعد اسبوع او اسبوعين كان كل من الفريق ( شترايخ ) والعقيد

---

( ١ ) جنوب غربي طبرق وغرب طريق الدم .

( اولبرشت ) في طريقهما الى الوطن وهما « يرتديان القبعات » (١) كما يقول الانكليز او ( على جملتهما ) كما نقول نحن . ولم أرهما ثانية بعد تركهما الصحراء إلا انني لاحظت ان من بين الضباط الذين كانت لهم علاقة في مؤامرة ضد هتلر في تموز ١٩٤٤ ضابطا يدعى ( الفريق اولبرشت ) فهل كان هذا هو نفس الرجل يا ترى ؟

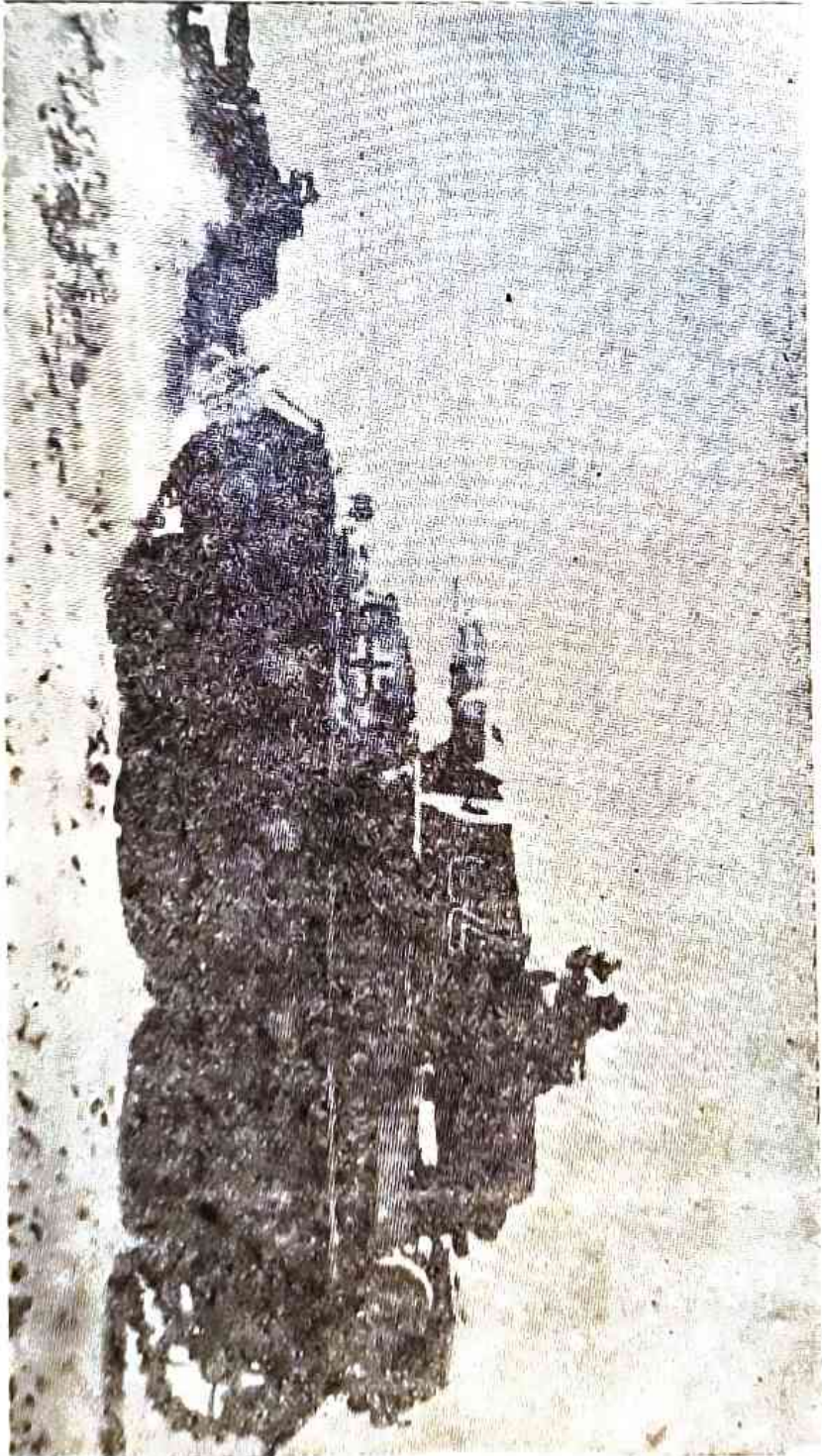


---

(١) ترجمة " Bowler - Hatted " و ( Bowler Hat ) نوع من القبعات سوداء اللون ومسديرة الشكل يرتديها طبقة الضباط في الجيش البريطاني عندما يلبسون الملابس المدنية - وقد اصطلح في هذا الجيش على القوادقين بعزلون من هنا صيغ لفصلهم بعبارة " Bowler - Hatted " كما يصطلح عليهم في الجيش الألماني بـ ( ركوب الرجل )



الدبابات الألمانية تهجم في برقه





## الباب السابع

### الرجوع على ( بيلستريانو )

في مساء يوم حوالي منتصف نيسان وصل جحفل (١) الاستطلاع المدرع الذي كان يحبه رومل الى منطقة المقر غرب البيت الابيض . فراجع أمره المقدم ( فون ويكس ) القائد وبينما كنت على وشك ان اتناول مع ( برنت ) فاكهة مجففة في علبة ثمينة كان قد حصل عليها كامتياز من ضابط المطعم إذ به ( كانثر ) خادم رومل يدعوني لمواجهة سيده .

كان قليل من الضباط ما عدا رومل وعداي ( إذ كنت ارافقه دوما في تلك الايام ) يعرف النياسم التي تحيط بطبرق وتؤدي الى قاطع المقدم ( فون كراف شويرن ) شرق القلعة ، فكان هذا هو السبب في دعوتي ، فقدمني رومل الى ( فون ويكر ) وقال « عليك ان ترافق جحفل الاستطلاع من اقصر طريق حول ( طبرق ) الى ( فيا بالبيا ) » وهو الاسم الذي يطلقه الطليان على الطريق الساحلي .

واستفدت من نجمة القطب لايجاد اتجاهي وفي منتصف الليل اوصلت جحفل الاستطلاع الى الطريق الساحلي وبعد ان صافحت ( فون ويكر ) مودعا عدت أدراجي الى المقر ، وقد كنت وسائقي منهوكي القوى عندما وصلنا الى المقر في صباح اليوم الثاني فتلقاني ( برنت ) باخبار مسرة قائلا

(١) « الجحفل » مصطلح عسكري يطلق على ابة قوة مختلطة

ان ( فون ويكر ) قد دخل ( البردية ) . ولم يدخل المحور هذه القرية الواقعة على الجرف الكائن قرب الحدود المصرية منذ ان اخرج ( وينفل ) منها ( بدون مراسيم ) القائد الايطالي ( بيركانزولي ) الذي سماه الاستراليون ( ذو اللحية الكهربائية ) طارداً اياه نحو الغرب

وبعد تعزيز جحفل الاستطلاع ببعض الدبابات تقدم بعد ايام قلائل واحتل ( فورت كابوزو ) على الحدود ثم اندفع نحو ( السلوم ) وفي ٢٧ نيسان احتلنا مضيق ( حلقاية ) وصرنا نشرف من جرفه على طول الحدود المصرية .

وعلى اثر ذلك منج ( فون ويكر ) الصليب الحديدي من درجة ( فارس ) .

## ٢

« ان كل من يحتل ( بلاسترينو ) يصبح في موقف يتمكن معه ان يقرأ اوراق الاخر فهذه هي النقطة الحيوية في دفاعات ( طبرق ) » — هذا ما قاله رومل في احدى مؤتمرات الاركان ، وكان رومل ينظر المرة بعد المرة الى ( عكرمة ) ومن هناك الى الشرق حيث ( بلاسترينو ) تلك النقطة العالية في الجنوب الغربي من القلعة . فقرر القيام بهجوم آخر وتذكر ما حدث للدبابات الاربعة فأمر بأن يحتل فوج ( بيرساكيري ) الايطالي المواضع الواقعة امام الارض العالية التي تواجه ( بلاسترينو ) حسبما أمر بذلك من قبل ليشن رومل من هناك هجوما بالمشاة .

واستطلع رومل الارض شخصياً واختار بنفسه احسن ( موضع وثوب ) ملائم للطليان .

وتركنا ( الماموث ) في المقر المتقدم وتقدمنا بجبهة القتال الصغيرة

المعتادة — المؤلف من سيارتين مفجوعتين ومدرعة واحدة ومعنا  
الدينجر وبيرنندت .

وورد تقرير يفيد ان الاستراليين في القاطع المواجه للطلبان ابدوا  
فعالية شديدة خلال الليل . فأراد رومل عندئذ ان يحصل على صورة  
حقيقية عن الموقف فذهب ليرى ذلك بنفسه ولما اقتربنا الى القاطع وجدناه  
هادئاً هادئاً تماماً وكدنا ان نستدل من ذلك على ان حلفاءنا قد بالغوا  
في التقارير التي ارسلوها عن فعالية العدو ليلاً كما حدث ذلك مراراً من  
قبل . وحتى مدفعية العدو في ( طبرق ) بدت هادئة .

على اننا سرعان ما كشفنا سر هذا اللغز ، فقد وجدنا القاطع كله  
خالياً من الايطاليين تماماً ما عدا قليلاً من بطريات المدفعية المنعزلة في  
الخلف والتي لم تكن محمية من قيل المشاة بصورة مطلقة . ولما صعدنا  
بحذر على مرتفع صغير شاهدنا منظر مئآت الخوذ الفولاذية المتروكة التي  
كانت مزينة بريش الديكة ذات الالوان المتعددة — وكانت تلك خوذ  
فوج ( بيرسا كليري ) التي لم نجد ما عداها شيئاً آخر الامر الذي استنتجنا  
منه ان الاستراليين قد اسروا فوج حليفتنا بأجمعه خلال الليل .

فأمر رومل حالا بتخصيص مجموعة من قطعات مختلطة من ( عكرمة )  
لتسد الثغرة في هذا القاطع الخالي . ثم اصدر امراً شديداً ( كان فيما بعد  
موضع نقاش وجدال طويلين في المحافل الايطالية العليا ) ينص على انه  
يتوقع في المستقبل اعدام الضباط الذين يظهرون الجبن امام العدو فوراً .  
وعندما عاد الى مقره تحدث بصراحة في هذا الموضوع مع ضابط  
الارتباط الايطالي سعادة الفريق ( كالفني ) صهر الملك فكتور عمانوئيل  
وهو ضابط طويل القامة نحيف البنية وذو وجه طويل ضيق وانف بارز



يعتبر نموذجاً للأنف التوسكاني (١) و كان يتكلم الألمانية بطلاقة و كان رومل ينظر الى سجيته بعين الاعتبار الا انه بعد حديثها الى انفس الذكر علب ( كالفني ) على امره وصار يتحفظ في تصرفاته مدة من الزمن .

ولقد استنتجت هيئة ركن الفيلق الافريقي وقتئذ ان الجندي الايطالي كفرد كان يرغب في التعاون ونافعاً بل و كان احياناً يفوق الجندي الالماني في هذا الخصوص . واذا كان كذلك فانه يقاتل بشجاعة اذا جهز تجهيزاً جيداً وقاده آملون قديرون . غير ان التجهيزات والقيادة كانتا نادرتين في الجيش الايطالي .

### ٣

كان ٣٠ نيسان هو اليوم المقرر للهجوم على ( طبرق ) عبر ( بلاسترينو ) واختار رومل خصيصاً لهذا الهجوم قطعات كان على تماس شخصي بها . فأخذ جنوداً من وحدات مختلفة وألف منهم جحفل معركة تقدر قوته بكتيبة واحدة تحت قيادة الرئيس الاول ( شويلر ) وجرت استحضارات متقنة للهجوم بالمصادر المتيسرة له .

وذهبنا الى الجبهة بالماموث — و كنت أنا ورومل والدنجر مراقب بدء الهجوم من نقطة رصد على ارض عالية . وراحت طائرات (اشتوكا) لتقصف مواضع العدو المختلفة واسندت مدفعيتنا التقدم بسد ناري . واذا أخذنا نباين نوع قطعات الجحفل المهاجم بنظر الاعتبار امكنا القول ان قطعات ( شويلر ) اظهرت احسن درجة من التعاون خلال

---

(١) نسبة الى ( توسكانيا ) وهي مقاطعة في ايطاليا .

التقدم . وكانت مدافع ( طبرق ) تصب نيرانها الحامية على المهاجمين .  
كما ان القناصة الاستراليين الموزعين توزيعاً جيداً قاموا بعرقلة التقدم  
خير قيام . ولم يتمكن المهاجمون الوصول الى الاسلاك الشائكة وحقوق  
الالغام إلا عصراً .

وتابع رومل مشهد المعركة من ناظوره باستمرار ثم التفت الى قائلاً  
» ( شئت ) اذهب الى شريبيلر في الامام وقل له يجب أن يحصن مواضعه  
الحالية ويحتفظ بها . سيعزز الهجوم ويستمر في هذه الليلة . »

وكان الذهاب على انفراد وبسرعة فوق الارض المكشوفة التي استغرق  
المشاة طيلة النهار لاجتيازها واجباً مخطراً . على اني بذات ما في وسعي  
لأن اسرع و كنت كلها أبطأت الحركة اشعر ان ناظور رومل ياتصق  
بمقعدي . واخيراً وصلت ( شريبيلر ) قبيل الظلام .

وقد قدمت خلال الليل مجموعات من هندسة الصولة مع قاذفات الهايب .  
وبعد نضال عنيف في الظلام امكن الاستيلاء على عدد من النقاط القوية  
وقال رومل في تقريره الرسمي ( تبحرنا في ازالة جزء من الدفاع ) .

وعندما انبثق النهار جاءنا ( حليف ) جديد ولكن أمره كان مشكوكاً  
فيه . اذ ارتفعت زوبعة رملية خفيفة حددت الرؤية وساعدنا القبار كما  
انه عرقل حركاتنا . على أن رأس رمح القطعات المقاتلة اخترق مواضع  
العدو أمام رأس ( ميداوا ) مباشرة إلا ان قطعائنا كانت تلاقى صعوبة  
في رؤية مانفعله ومشاهدة المكان الذي تذهب اليه . وتعذر تمييز نقاط  
الاستراليين القوية في الارض المنبسطة وكانت هذه موزعة بالعمق .

وكثيراً ما كان جنودنا يشقون طريقهم الى الامام بين منعتين (١) من دون ان يروهما واذا بالنار تنصب عليهم من الخلف فجأة فينادون في يأس : « لا ترموا فاننا المان » ظانين ان رفاقهم يرمونهم من الخلف خطأ . ثم يظهر لهم اخيراً ان القطعات التي خلفهم كانت معادية فيسقط في ايديهم .

واستطاعت هندسة الصولة اخيراً ان تطهر ثغرة في حقل الالغام وجاءت العجلات تحت ستر الغبار بجنود التقوية ومدافع ضد الدبابات والعتاد ومواد التموين .

واصدر رومل امراً ( بوجوب الاحتفاظ بالنقاط القوية التي تم الاستيلاء عليها معها كلف الامر ) . وفي الصباح كان هو اول من ذهب الى المواضع المستولى عليها . وزحف رومل بجني كما يزحف أي جندي من مشاة الخط الاول . وكان يريد الوصول الى خندق معين في الامام غير اننا قبل أن نتقدم مسافة بعيدة رأينا جماعة من هندسة الصولة ممتدين خلف كوم من الحجارة . فابتدروا رئيس عرفائهم قائلاً :

الى أي جهنم تريدون الذهاب فصحت به مجيباً ذا كراً له احداثيات الخارطة للنقطة القوية التي تريد الذهاب اليها . فاجابني :  
« لا تكن غيباً لقد احتلها الانكليز ثانية »

وأشرت بيدي عمداً وأنا منبطح الى علامات كتفي والى رومل فاستطاع رئيس العرفاء ان يميز عندئذ نظارات الغبار على قبعة رومل فلم ينبس ببنت شفة .

(١) المنعة هي نقطة قوية مشيدة كحصن صغير وتسمى بالانكليزية ( Pillbox )  
المعرب



واضطرتنا حزمة من نار الرشاشات ان نقرر انه ليس من المستحسن  
أن نطيل بقاءنا - فعدنا الى الوراء زاحفين بحذر .

٤

وشن الاستراليون هجوما مقابلا فاستمادوا بعض نقاطهم القوية  
واذاعت القيادة البريطانية العامة للشرق الاوسط في ذلك اليوم ( الذي  
كان اول يوم مايس ) قائلة « قام العدو بهجوم على ( طبرق ) واستمر  
حتى اليوم الثاني واستطاع خرق نطاق الدفاع — إلا ان الوضع استقر  
فيا بعد » .

فكان هذا تقريراً دقيقاً ومنذ ذلك اليوم اصبحت المواضع التي  
احتفظنا بها بعد الهجوم المقابل تؤلف الاماكن الامامية من الخط الالمانى  
في ( طبرق ) .



## الباب الثامن

# طائرات ( هاريكين ) ترمي رومل

في خلال الأيام التي اعقبت الهجوم على ( بلاسترينو ) نزل باقي المشاة للفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) الجديدة من طائرات ( يونكر ٥٢ ) في ( درنة ) وكانت السيارات حاملة القطعات تنتظرهم في المطار وقبل أن يعرفوا اين هم الآن وجدوا انفسهم في خط الجبهة خارج طبرق . ففساهوا مستغربين : أين هي نخيل افريقيا ذات الظلال الوارفة ياترى ؟ تلك النخيل التي هي رمز لفيلق افريقيا الالماني الذي صاروا ينتمون اليه الآن .

لقد كرهوا افريقيا التي رأوها . وذاقوا الأمرين من كثرة الذباب الذي كان بالملايين ومن تحديد الحركة ونقص الارزاق وكونها من نوع واحد وقلة الماء . وقد أثر فيهم كل ذلك في الاسابيع التي اعقبت وصولهم اكثر من ( نباح ) مدافع ( طبرق ) المتوالي .

كان رومل يعتقد ان الاستراليين الذين كانوا أمامنا من احسن الجنود ولديهم مقدرة على القيام بالغارات الاستطلاعية بجراحة ليلة بعد أخرى . واني اذكر مرة أن احدي رشاشاتنا فتحت ناراها على خندق يحتله الاستراليين يقع على مسافة قريبة أمامنا . فاندحشت قطعائنا عندما شاهدت استرالياً يجلس ببرود على ذكة الرمي وبحركه قبعته الواسعة لنا بينما كان سيل من رصاص الرشاشات ينصب حوله .

وقد حيرتنا موهبتهم الفطرية على القسمل ليلا الى خطوطنا يسكون

تام . ولم نكشف سر ذلك إلا بعد أن قبضنا على جماعة مغيرة منهم ذات ليلة فإذا بهم مجهزون بأحذية خاصة بالدوريات وهي أحذية صحراوية كعبها من المطاط السميك .

وتوصل رومل الى نتيجة تملخص بأن ( طريق ) كجوزة صلبة يتعذر كسرها . فإذا تعذر احتمالها بسهولة فما عسى ان يفعل غير ذلك ؟  
وتهياً لتحصين مواضعه المحاصرة للقلعة وتقويتها . وبما انه لا يمكن الاستغناء إلا عن قطعات المانية قليلة للقيام بواجب الحصار فلا مناص اذن من أن يكون معظم الحامية المحاصرة ايطالية . وقرر رومل ان يتعرف على جبهة السوم وان ينظر الى ( الارض الموعودة ) عبر الاسلاك الشائكة في الحدود .

وكان قد وصل في الوقت ذاته وسام صليب فارس لقون ويكر بطل البردية والسوم فاعلن رومل انه سيقدم الوسام اليه بنفسه . فكان هذا سبباً ظاهرياً لجولتنا الى الشرق . وتركنا البيت الابيض برتل كبير في التاسع عشر من نيسان وكانت تتقدم الرتل سيارتي وماموث رومل . ورافقتنا عجلة لاسلكي لادامة الاتصال بمقر القيادة العامة . كما ارسلت سرية الدعاية ممثلين عنها مع الرتل فجاء معنا منها صديقي القديم المراسل الحربي ( فون ايزيك ) وزميل له يدعي ( ايرتل ) ( ١ ) الذي هو نموذج لشخص جبلي وكان مجهزاً بآلة تصوير سينمائية وقد تلقى من ( برندت ) التعليمات حول الدعاية لرومل .

---

( ١ ) وهو الذي انتج فلم ( كاب هورن ) الشهير بـ ( روبنن ) - وكان احد مشاهير متساقى الجبال وقد نال شهرة في احدى الحملات التي ذهبت لتساقى - ( المرسى ) .



وسقنا بالسيارات حول ( طبرق ) تكتنفنا سحابة من الغبار فاحمرت  
اعيننا ودخل الرمل بين اسناننا وغطت وجوهنا وشعرنا وبزائنا العسكرية  
طبقة داكنة من الغبار حتى كأنا انقلبنا الى اشخاص آخرين .

وعندما اجتزنا الطريق المؤدي من ( طبرق ) الى ( العدم ) دخلت  
احدى العجلات منطقة فيها الغام صغيرة متناثرة وكانت قد القتها طائرات  
العدو — وهذه مصائد خطيرة ضد الاشخاص تعلمنا كيف نميزها فيما بعد .

وبعد ان لاحقتنا رشقات قليلة من نيران مدفعية ( طبرق ) وصلنا  
الى ( فيا باليا ) بدون ان نصاب بشكبة ، وتقدمنا على طوار الطريق  
الساحلي بسرعة عظيمة بحيث وصلنا الى البردية قبل الوقف الذي توقعناه .

وحيا رومل ( فون ويكر ) تحية حارة وبينما كانت آلة التصوير  
السينمائية تصورهما علق رومل وسام صليب الفارس في رقبته .

اصبح رومل الآن في البيئة التي يشواق اليها . فطلب من ( فون  
ويكر ) أن يشرح له ادوار وصفحات القتال الذي دار حول اكوام  
الحجارة التي تؤلف ( فورت كايوزو ) . وانعم النظر في موانع الاسلاك  
الشائكة الممتدة بعيداً نحو الجنوب على الحدود الليبية — المصرية . ثم  
نظر طويلاً بناظورة الى مدرعات ( وينفل ) الاستطلاعية التي كآت في  
الامكان تمييزها وهي تترصد من بعيد والتي لاشك ان نواظير رايكبها  
كانت تراقبنا . وقد تسلى كصبي بمدافع الايطاليين الموضوعه للدفاع  
السواحل وزحف من غير كلل الى كل موضع دفاعي وخندق مواصلات  
فلاحظ ان الطليان قد شيدوها على طراز يماثل مواضع ( طبرق ) .

وفي آخر النهار كان الجميع تعبين ماخلا رومل — فقد جعل نفسه  
وكل شخص آخر مشغولاً وقام بكل شيء على عجل ولكن بانقاز .

وقبل أن يحل المساء شرعنا في العودة — وفي هذه المرة أيضاً كنت أقود الرتل . وبعد سيطرة نصف ساعة غرب ( البردية ) اقتربنا من ( غامبوط ) . وفيما نحن نسوق باتجاه الشمس الموشكة على المغيب والتي كانت اشعتها تزعج أعيننا ، اذا بي المح فجأة طائرتين معاديتين تطيران بارتفاع واطي . — فسألت نفسي هل هي المانيتان أم بريطانيتان ؟

وقبل أن أتمكن من تمييزها انقضت علينا فلم يبق ثمة شك في انها معاديتان فصرخت بأعلى صوتي ( انذار جوي ) مشيراً الى الطائرتين واندفعت الشمس ملجأ على جانب الطريق . وسبقني سائقي فامتد على الارض قبل ان أتمكن من ان التي بنفسى الى جانبه . وبعد لحظة كانت طائرتا الـ ( هاريكين ) تبصقان علينا نيرانها . وقد انقضت علينا ثم استدارتا استدارة قصيرة لكي تنقضا ثانية وهكذا واجهتا مرتين . وظهرت احدهما عداء صريحاً نحوي ونحو سائقي بوجه خاص فحاولت أن أدخل نفسي في الرمل تخلصاً منها .

ولما ذهبت الطائرتان أخيراً واتجهتا شمالاً نحو البحر رفعت نفسي والدم ينزف من خدوش في وجهي .

وابصرت ان الشمس على وشك المغيب . وتبعاً للاوامر الاعتيادية أخذنا مواضعنا قرب سيارتنا فحسبت اكثر من اثني عشر ثقب رصاصة في سيارتي . وظهر ان ساعي الدراجة البخارية الذي كان يسير خلفي لم يقفز من دراجته في الوقت اللازم فاصيب بجرح خطير في رأسه ووجدناه ملقى على الارض وهو على وشك الموت .

أما رومل فقد قفز من ( الماموث ) وقبل ان يتمكن سائقه من سد الفتحة الموجودة في اعلى العجلة تفذت احدى رصاصات العدو منها

ودخلت في صدره مخطأة رأس رومل قليلا ثم انفجرت على جدار الماموث الداخلي .

واصيب أيضا عدد من العجلات الأخرى — فتضررت سيارة الاسلحة لدرجة اضطررنا معها الى تركها . ودفنا الجندي الميت قرب الطريق بدون تأخير . أما سائق رومل فانه اظهر شجاعة وهدوء مثالين . وقد دثرناه ببطانية ووضعناه على المقعد الجلدي في آخر ( الماموث ) فلم يبد أي ألم .

وتولى رومل قيادة ( الماموث ) بنفسه وساقه طول الليل . وعلى الرغم من رجاء ( الدنجر ) و ( شريبيلر ) رفض ان يبدله أحد . ولم نعمل البيت الأبيض الا صباح اليوم الثاني .





## الباب التاسع

### باولوس متاليفراد - ومطابتي عن ارييريا

كان اول زائر كبير جاءنا من برلين هو الفريق ( باولوس ) نائب القائد العام للجيش والذي استسلم بعدئذ في شباط ١٩٤٣ في اعظم اندحار مني به الجيش الالماني في حياته .

ولم يظهر رومل اية علامة حماس لزيارته فشعرت انه شك في ان هذه الزيارة قد تكون مقدمة لبعض المؤامرات في المحافل العليا بل وربما ستكون سببا للتخلص منه شخصيا . وابدى ( فون باولوس ) رغبته في زيارة جبهة ( طريق ) فظننت اننا سنقوم باحدى جولائنا المعتادة في اليوم التالي . إلا أن ظني لم يكن مصيبا حيث بقي رومل في مقره .

وقدمني رومل الى ( باولوس ) ثم أمرني قائلا :

« ( شمت ) عليك أن ترافق غداً الفريق الى جبهة ( طريق ) . فانك تعرف توزيعات القطعات وفي وسعك أن تزوده بجميع المعلومات اللازمة » . وبدأت كلماته كأنها لاتعنيني فحسب بل وباولوس أيضا .

تحرر كنا صباح اليوم الثاني على الاثر المغبر الاعتيادي بسيارتين . وجلس ( باولوس ) جنبي في المقعد الخلفي لسيارتي المفتوحة قائلا « الآن ستمكن من ان نتكلم بسهولة اكثر » وأبدى ( باولوس ) نحوي التفانا شخصيا بخلاف رومل وسرعان ما شعرت بارتياح . وقد سألتني ( باولوس ) . « كم مضى على وجودك في أفريقيا ؟ » كان علي أن احسب الشهور

لكي اجيبه على سؤاله الا انني قلت : « منذ كانون الثاني ياسيدي القائد »  
« منذ كانون الثاني ؟ ولكن كيف كان ذلك وفيلق افريقيا لم  
يكن هنا »

قال ذلك وهو ينظر الي متسائلا .

« كنت في اريتريا فترة من الزمن قبل ان يصل الفيلق الافريقي »  
« أن ماتقوله يستوجب الاهتمام - استمر رجاء »  
وبما انه لم يكن ثمة شيء ذو اهمية عسكرية لأريه الى ( باولوس )  
او اوضحه له فقد سردت عليه حكايتي بينما كانت سيارتنا تثير سحب  
الغبار على ممر ( عكرمة ) .

« لا يخفى عليكم ياسيدي القائد انه عندما تأكد نشوب الحرب في آب  
١٩٣٩ تلتقت جميع السفن الالمانية أمراً بالالتجاء الى أقرب ميناء محايد  
فاستطاعت تسع سفن حمل المانية كانت في البحر الابيض المتوسط ان  
تصل الى المصوع . وكان اغلبها من بواخر الخط الالمانى للشرق الاقصى  
تتراوح حمولاتها بين ( ٦٠٠٠ ) و ( ٩٠٠٠ ) طن . وكانت مزيجا من  
بواخر مختلفة منها سفينة الزهرة ( كوبرغ ) المجهزة بجميع المعدات العصرية  
ومنها الجواصة الصغيرة الحفيرة المسماة ( سوان دس اوستنس ) اي ( اوز  
الشرق ) .

وفي حزيران ١٩٤٠ أعلنت إيطاليا الحرب فاصبحت الحبشة و ( اريتريا )  
ساحتي حرب . فاجتمع معظم البحارة على السفن الالمانية في ( المصوع )  
والفوا من بينهم سرية من المتطوعين وقام الابطاليون بتسليحهم وتجهيزهم  
والبسوهم بزات عسكرية طليانية وزينوا خوذهم واذرعهم باشارات  
( السواسليكا ) . ولم يكن مظهر بزاتهم العسكرية رشيقا حسبما يرام إلا  
أن حماس الملاحين الشديد عوض عن جميع النواقص .

وقد اعلن أحد الركاب انه ضابط احتياط وانه اشترك في الحرب العالمية الاولى فعينه الايطاليون آمراً للصربية . ولكن ماكادت الصربية تدخل المعركة حتى ظهر بوضوح انه غير أهل لتولي قيادتها . لذلك ارسل الايطاليون طلباً الى برلين لتعيين ضابط ملائم لهذا المنصب . فعينت لهذا الواجب وطرت من روما الى ( اريتريا ) . وكان الايطاليون في ذلك الحين يطرون بانتظام عبر ( ليبيا ) والسودان .

وعلى الرغم من ان سريتي كانت غير مدربة وكان تجهيزها رديئاً فانها قاتلت بحماس في ساحات ( ايتريا ) في ( كوردات ) و ( كبرين ) . على انه لم يكن ثمة مناص من انهيار الامبراطورية الإيطالية في افريقيا الشرقية والمعونة القليلة التي كنا نقدمها لم تكن لتؤخر النتيجة . فصدر الأمر لذلك بسحب سريتي من القتال وبينما نحن في منطقة ( المصوع ) اذ جاءت الوصايا من برلين بوجوب تسريح السرية حالا وانه ينبغي للجنود — الملاحين ان يلتحقوا بسفنهم . اما أنا فقد طلب الي أن اتجهاً للطيران الى شمال افريقيا والاتحاق بقوة الحملة الألمانية التي نزلت في ( طرابلس ) .

تركت سفينة ( كوبرغ ) التي كنت اسكن فيها مرتاحاً وذهبت الى ( اسمره ) . وكانت القيادة الألمانية قد اوعزت الى الايطاليين أن يهيموا لي فيها طائفة قلني الى شمال افريقيا . وكنت استفسر عن ذلك في كل يوم الا ان الطليان كانوا يجيبونني دوماً ( دومانى فورس دوبو دومانى ) أي ( غداً او بعد غد ) .

وكانت جبهة القتال في ( كبرين ) قريبة منا قرباً خطيراً فكان من الواضح ان البريطانيين سيحتلون ( اسمره ) بعد قليل . وفي صباح ذات يوم ( وكان يوم الاحد ) بينما كنت اترك الاوتيل علمت صدفة ان



طائرة ستطير بعد نصف ساعة من مطار كورا الذي كان يبعد نحو ٢٠ دقيقة بالسيارة . فقفزت في سيارة اجرة بدون أن افكر بامتعى وذهبت اسبق الريح الى المطار . فوجدت هناك فعلا طائرة ( سافوايه ٨٧ ) جاهزة بل ومحركها يدور . فاندفعت اعدو اليها غير انني لم اكد اصل اليها حتى رأيت ثلاثة طيارين يقفزون منها ويمرون بي ليستروا بسرعة في خندق شقي . وفي تلك اللحظة لحث طائرات افريقيا الجنوبية نتجه نحونا فرميت نفسي فوق الايطاليين . وانقضت المقاتلات الى ارتفاع واطي . عدة مرات ورشقت بنيرانها باتقان الطائرات الكثيرة التي كانت جميعها سافطة عن العمل منذ مدة طويلة ومتروكة في المطار . وكانت طائرنا هي الوحيدة التي نستطيع الطيران فنجت من الضرر لحسن الحظ .

وبعد ان بقينا في الخندق الشقي معاً اصبحت علاقتي مع الطيارين الطليان ودية فشرحت لهم غرضي ولم تكذ المقاتلات تختفي إلا وامتطينا الـ ( سافوايه ) فخلقت بنا في الجو .

وطرنا فوق واد عميق شرقا متجهين نحو ساحل البحر الاحمر وزلنا في مكان اظنه كان ارض نزول اضطراري تقع في منطقة سهلة . واخفينا الطائرة بسرعة بشبكة غش وباغصان العليقات . وقبل حلول الظلام طرنا فوق البحر ثم فوق البر الذي اظنه كان المملكة العربية السعودية .

وبدأ الظلام يكتنفنا في ذلك الوقت و كان الطيارون الثلاثة كلهم في حجرة الطيار . و كان كل منهم مرتديا مظلة الهبوط وجاهزاً لترك الطائرة ضمن لحظة واحدة عند الحاجة — ولا حاجة لأن اقول ان حليفهم الوحيد في الطائرة كان بدون مظلة هبوط .

و كنت جالسا داخل الطائرة وحدي ولم يكن لي رفيق غير حقيبة صغيرة تحتوي على المراسلات وسلسلة تفرقع باستمرار على جدار الطائرة بجاني .

وبدا لي ان الطيارين الثلاثة يقتلون الوقت في تناول شراب لذيق بكميات كثيرة . وكانوا يتراؤن لي الواحد بعد الآخر في غرفة الطيار فيظهر عليهم انهم يقضون وقتاً طيباً . ثم جاء أحدهم أخيراً نحوي حاملاً قنبلة كاملة فقدمها لي ، فقبلتها مع الشكر متذكراً نيران مدافع مقاومة الطائرات التي لاحقت طائرنا في طيرانها فوق ( اريتريا ) ومتصوراً الحالة التي يحتمل أن يكون فيها الطيارون الثلاثة بعد حين . وشربت ما فيها حالا ونمت بهدوء طيلة الليل . وعلى كل فقد استيقظت حيا .

و كان النهار في رابعته عندما استيقظت وكنا نظير فوق البحر ونقترب من البر الذي افترضت انه شمال افريقيا . ونزلت ال ( سافوايه ) بعد مدة قليلة غرب ( العقيلة ) حيث اعيد املائها بالوقود فشكرت الطيارين الثلاثة وودعهم فطاروا بعدئذ الى روما حيث استقبلهم موسوليني وهناك هم على هروبهم الجري . من ( اريتريا ) .

وتيمرت لي طائرة صغيرة في ارض نزول مجاورة فطرت بها الى طرابلس حيث نزلت هناك بعد الظهر وراجعت الفريق رومل مخبراً اياه بانتهاء مهمتي في افريقيا الشمالية . فقال ( باولوس )

« ان قصتك ممتعة حقاً » ثم اردف قائلاً « وماذا حل ببجارتك ؟ »  
« كل ما اعرفه عنهم ياسيدي الفريق ان غواصة او غواصتين

إيطاليايتين نجحتا في الاستدارة حول (الكاب) وكان عليهما بعض افراد سرية المتطوعين الالمان والضابط الاول اسفينة (كوبرغ) ايضا - اما السفن الباقية فاعتقد ان بحارتها اغرقوا معظمها في ميناء (مصوع) . وقد سمعت في طرابلس من الراديو الانكليزي أن سفينة (كوبرغ) اغرقت قرب (موريشيوس) .

وسألني باولوس اسئلة اخرى عن حملتي الحبدشة وايتربا عندما كنا نترك (عكرمة) على يميننا ونستدير نحو خطوط طريق .

وعندما وصلنا اشرت للفريق (باولوس) اهم مواضع طريق غير انني تعمدت ان لا آخذه لزيارتها اذ ان نيران مدفعية العدو المستمرة كانت كافية لان تعطي ولو عن بعد صورة عن نوع الحياة في مواضعنا الامامية فلم أجد ثمة حاجة لاخذ (فون باولوس) اليها واريه بين انفلاقات القنابل ان الذهاب الى الجبهة ليس بنزهة .

وعندما كنا نسوق بسرعة من قاطع الى آخر كان باولوس يبدي اهتماما شديدا في الموقف العام وجرت له مناقشات حيوية مع الامرئين المحليين .

وقد كان مهتما بوجه خاص بالمواضع الواقعة امام (بلاسترينو) (وميداوا) . وسألني (باولوس) ونحن نقرب من كتيبة المشاة الـ (١١٥) الى اقرب مايسمح به الامان في ضوء النهار :

« كيف يجري تموين جنود هذه الكتيبة بالمؤونة والعتاد . »  
فاجبته :

لا يمكن التموين إلا في الليل ياسيدي الفريق . ففي كل ليلة يأتي الى



الجهة جنود مطابخ السرايا بسيارة ملائمة بالطعام الحار والقهوة والخبز وما شابه ذلك - ويجري تموين العتاد بنفس الطريقة .

« ومتى يحدث ذلك ؟ »

« بعد منتصف الليل عادة . اذ ان المواضع انتخبت بشكل يتمكن الاستراليون من رصد كل التنقلات نهائياً وفي الليالي القمرية . »

« ان ذلك يعني ان كل جندي يجب ان يبقى نهائياً في ملجأه بدون حركة غالباً . »

« نعم يا سيدي الفريق . ان ما لا يمكن تحمله في هذه المواضع ازعاج ملايين الذباب - فهي تستقر على الطعام بالآلاف ومن المحتمل انها سبب الزحار ( الديزانثري ) والامراض الاخرى التي تصيب الجنود . »

« ولكن أليس سبب ذلك نوع الطعام ؟ » سألتني ( باولوس ) ثم أردف قائلاً « وماذا تأكل القطعات عادة . »

اقد فتح بهذا موضوعاً كان مدار الحديث بين الجميع ونقطة كان يتألم منها الجنود .

ولم أتردد في التعليق على نواقص الطعام لأنني توقعت ان هذا الفريق ذا النفوذ سيتمكن من تحسين طعامنا كله بعمل واحد فقلت :

« ان الخضروات والفواكه غير معروفة للجندي . وهم يفتقدون البطاطة بوجه خاص . ثم ان الارزاق الاعتيادية تتألف من ( السردين )

في الزيت ومن لحم ( السجق ) المقلب الكبير الحجم ومن الترمان (١)  
فنظر الي الفريق مستفهماً وقال " الترمان ؟ »

فتذكرت انه لم يعض علي وجود ( باولوس ) في افريقيا اكثر من  
يومين ولوطال بقاؤه لعرف — كما عرف رومل قبله — ان جميع العلب  
الاطالية المستديرة الصغيرة التي تحتوي علي لحم البقر المجفف كانت مؤشرة  
بالحرفين ( A. M ) — وقد سمعت بعضهم يقول ان القطعات الالمانية في  
شمال افريقيا فسرت ذلك بـ ( اسبنوس موسولينى ) اي ( حمار موسولينى )  
لكننى لم اسمع بذلك قط . فأوضحت لباولوس الرموز المسجلة علي علب  
اللحم قائلاً ان الجنود يدعون ان هذه تعنى ( الترمان ) او ( الرجل العجوز ) .

فضحك باولوس وصمت برهة من الزمن . وقبيل العودة الي المقر  
قال لي « ان القطعات المرابطة حول ( طبرق ) تقاثل في احوال غير  
انسانية ولا يمكن تحملها . وسأقترح علي برلين وجوب الانسحاب الي  
موضع قوي في ( الغزالة ) لكي تقصر خطوط مواصلاتنا ونعيش  
القطعات في حالات افضل مما هي عليه الآن . كما اننا سنحصل علي  
احتياطات اعظم .

ويبدو لي الآن ان كل جندي قائم بواجب الخفارة بدون استراحة  
ولا يمكن تبديل القطعات وانعاشها فمن الضروري ان تفعل شيئاً لمعالجة  
هذا الامر » .

---

(١) « Alter Mann » وتعني ( الرجل العجوز ) وهو الاسم الذي

أطلقه الجنود الالمان في شمال افريقيا علي نوع من اللحم المقلب الذي ملوا أكله  
( العرب )

اننى اعتقد ان فكرة ( باولوس ) حول وجوب احتمالاتنا خطأ  
دفاعياً اميناً في ( الغزاة ) فكرة تستحق الدرس الا اننى كنت وانقا  
من ان رومل المشبع بروح التعرض لا يرضى مطلقاً ان يتخذ دوراً  
سلبيّاً كهذا في الصحراء . وفي الواقع اننا لم نلاحظ تغيرات هامة في  
الاسابيع التى تلت تفتيش ( باولوس ) فلم ننسحب الى ( الغزاة ) ولا زلنا  
نأكل ( الرجل العجوز ) .

---



## الباب العاشر

### ( معركة الفأس <sup>(١)</sup> ) على الحدود

بعد زيارتنا ( للسوم ) تحول اهتمام رومل من ( طبرق ) الى الجبهة .  
وقد قال :

« ( طبرق ) جيزة صلبة يصعب تكسيرها وتتطلب استعدادات دقيقة » . ولم يكن يتوقع أن يسمح له ( ويفل ) بأن يستعد من دون تحرش ، لذلك قرر تحصين جميع المواضع سواء كانت حول نطاق القلعة أو في الجبهة . وكان الحر قد اشتد كثيراً في الصحراء بعد مضي شهر مايس . وقد شاع بين القطعات ان الحر كيات ستتوقف خلال اشهر الصيف الحارة . ولا ريب أن الرغبة كيات اساساً لهذه الفكرة . بل وان معظم القطعات التي لها خبرة في الدروع ظنت انها لا تستخدم مطلقاً . غير انهم لم يعلموا ان ( ويفل ) كان يفكر في التعرض . واكتشف الاستطلاع الجوي البريطاني مكان مقرنا المتقدم — فانتقلنا من منطقة البيت الابيض شمالاً الى الساحل غرب ( طبرق ) . وقد شكرت الطائرات الاستطلاعية البريطانية على ذلك لأن الاحوال في منطقة المقر الجديد كانت شريرة لو قورنت بمنطقة البيت الابيض الكثيبة .  
وكان مما ينعشنا أن نعود الى البحر بعد جولتنا المترية في الصحراء .

---

(١) ( Battle Axe ) - والفأس اسم رمزي اطلق على هذه المعركة ( العرب )

وذهبت مراراً مع رومل الى الحدود - وكننا نشيد وقتئذ خطا  
دفاعياً يمتد من الساحل اسفل مضيق ( حلفاية ) الى ( سيدي عمر ) .  
وقد جرى تعزيز هذا الخط بسرعة بمدافع ( ٨٨ ) ملم الالمانية وبالمدفعية  
الايطالية .

وكان جحفل الاستطلاع المدرع أيضاً في ذلك الوقت بين ( فورت  
كابوزو ) وسيدي عمر كاحتياط سيار . وكنت اتمتع بالسباحة في  
البحر عندما كننا نعود من الجهة . وكان رومل يعيش في سيارة صغيرة  
وقد سمح لنفسه بالراحة لأول مرة منذ رأيتة .

واشتركت أنا و ( بيرندت ) في خيمة قريبة من سيارة رومل .  
وكان جيراننا في الجانب الآخر المراسلين الحربيين ( فون ايزبيك )  
و ( ايرتل ) و ( بورخيت ) . وكانوا في كثير من الاحيان ضيوفنا في  
العشاء لاسيما عندما احضر مزيجاً من الرز والحليب المكثف . وكان  
( ايزبيك ) يحب الرز جافاً نوعاً ما فكانت ابذل جهدي كمضيف لارضي  
ضيوفي . وبما أن الصحراء كانت محجوزة للذكور فقط فقد كان اللباس  
الاجتماعي المقبول في مقرنا قرب البحر نهائياً بدلة آدم المسائية المؤلفة  
من سروال السباحة وسترة .

٢

« ( شمت ) انهض ! » صباح بي ( بيرندت ) من باب الخيمة المفتوحة  
في صباح ذات يوم ثم أردف قائلاً « انهض بسرعة — سفينة كبيرة قريبة  
في البحر تهاجها طائرات ( مسير شمت ) . »  
« اوه » اجبته وأنا اظن انه يهزأ بي « اترانا مشغولين في اغراق  
( آرك رويال ) مرة أخرى . »

« كلا يا شمت اني جاد فيما أقول - انظر خلال الفتحة - هنالك سفينة ربما تحاول الوصول الى ( طريق ) انهض يارجل . »

و كنت على وشك ان انصح ( بيرندت ) ان يفكر بشيء احسن من هذا اذا شاء أن يحرمني من النوم ، فاذا بي اسمع نيران رشاشات بعيدة .

« اصغ طائرات ( مسير شمت ) تفرغ رصاصها في السفينة . فاذا لم تصدقني فابق حيث انت » . واخثنى رأس ( بيرندت ) الضخم من فتحة الخيمة . فارتديت سروالي القصير وبعد خطوات قليلة اجتزت كثيب الرمل الذي كان يحجب منظر البحر المتوسط . نعم حقاً كانت هنالك سفينة لكنها ليست كبيرة كما قال ( بيرندت ) على انها كانت على كل حال سفينة ذات ثلاثة أشعة ومحرك . وقد انقضت عليها ثلاث مقاتلات المانية فأمرت بها بوابل من نيرانها . وكانت مدافع ضد الطائرات الصغيرة على سطح السفينة تجيب النار بشجاعة . وكانت السفينة على بعد بضعة اميال في البحر إلا ان كل شيء كان يمكن رؤيته بوضوح .

وتجمع حشد من المتفرجين على الشاطئ . بسرعة و كان من ضمنهم رومل وعدد من الضباط الاركان . وقد اندفع المراسلون الحربيون ( القون ايزبيك ) و ( ايرتل ) الى الساحل ايضا و كان ( ايرتل ) محتضنا آلة التصوير السبئية التي لا بد من وجودها معه .

والظاهر انه لم يكن للمقاتلات قنابر لترميها . لذلك لم تكن تتوقع منها ان تحول دون سير الباخرة بصورة جديده ولكن لا ! فلقد حدث فجأة ما لم نكن نتوقع . ففي ثوان كادت السفينة تحترق وقد بدأت النار اولاً في وسطها ثم سرت الى مؤخرها ، وشاهدنا الملاحين يتدافعون



للوصول الى قوارب النجاة وبعد دقائق قليلة كانوا يجذفون بعيداً عن السفينة بكل ما اوتوا من قوة . وقبل ان يبتعدوا نحو ٢٠٠ ياردة انفجرت الباخرة فحدث من جراء ذلك وميض كالبرق الخاطف اعقبته توأ السنة النار تسري في كل جهة من السفينة ولم يصلنا صوت الا انفلاق إلا فيما بعد وارتفع عمود من الدخان عالياً في السماء ، وكان يقف بجانبني ( ايرتل ) مع آتله السفينة فراقبته وهو يلصق موجدته اتجاهها الى عينيه ثم يرفعها الى فوق ليعقب عمود الدخان المتصاعد ، وقد تساقطت بعض الحزم النارية في البحر ، وعندما اختفى الدخان الكثيف بعد بضع دقائق كانت السفينة قد غاصت في اليم . وظهر قارب النجاة ثانية من بين الدخان — وكان النوتية يجذفون بشدة نحو الساحل . وقد احبطت المقاتلات بعض محاولاتهم للاتجاه نحو ( طريق ) بانقضاضها على ارتفاع بضعة اقدام فوق رؤوس الجذافين . وبعد ان ابتعد القارب عن الساحل مدة ساعتين اضطر ان يعود ثانية فيمتجه نحونا . وأخيراً نزل النوتية في مكان قريب من خيمتنا وهو نفس المكان الذي قبضنا فيه بعدئذ على جماعة مغيرة من الانكليز (١) وكان النوتية منهوكي القوى وقد مات منهم اثنان من المجروحين جرحاً خطيراً بعد الانزال بقليل ، وكان معظمهم من اليونان المدنيين ما عدا المفرزة التي كانت تدير مدفع ضد الطائرات على سطح السفينة الهالكة . وكانت هذه السفينة سفينة بضائع يونانية صغيرة وقدرت الاسكندرية لتنقل العتاد الى ( طريق ) . غير ان القبطان اخطأ مدخل الميناء ايلاً فلما انبثق النهار أدرك انه على بعد بضعة اميال شرقاً فكان ذلك سبباً لظهور

سفينة في مكان الحادثة ، وكانت قد نفذت اطلاقا واحدة من باب المقصورة فأصابت موقداً غازيا كانوا يهيمون عليه شاي الصباح ، وبعد بضع ثوان اشتعلت الغرفة ثم انتشر لهيب النار فتناول خزاننا للبترين فاضطر البحارة الى ترك السفينة .

### ٣

غير اننا لا نستطيع ان نتوقع استمرار دور شعري كهذا في الحرب فقد قصفت البحرية البريطانية وراءنا ( بنغازي ) محاولة عرقلة تموين فيلق افريقيا ، وبعد يومين او ثلاثة انزل ( ويفل ) ضربته على ( العلوم )

وفي الوقت نفسه كان ( دوق اوستا ) الايطالي يستسلم في « امبا الاكي » (١) وهكذا انتهت آخر مقاومة هامة للايطاليين في افريقيا الشرقية . ولكن بعد يومين قامت المانية بغزو ( كريت ) بقوات المظلات منزلة بذلك ضربة شديدة على ( ويفل )

كانت كلمة ( معركة الفأس ) الاسم الرمزي لهجوم ( ويفل ) ولم نكن نعرف هذا الاسم عندما جاءت التقارير الاولى من جهة ( حلفاية ) تنبؤنا عن ( هجوم قوي بالدبابات ) ، وكانت معظم الدبابات البريطانية المشتركة في هذا الهجوم من ذوات العلامة (٢) المدرعة تدريعا خاصا في

---

(١) نقطة قوية في الخيشة ارتفاعها ( ١١٠٠٠ ) قدم وفيها استسلم بشرف الحاكم الايطالي العام ( الدوق اوستا ) مع حاميتها في ١٩ مايس الى الفرقة الهندية الحامسة التي كان يقودها ( امير اللواء ماين ) والى لواء جنوب افريقيا الاول بقيادة الزعيم ( بينار )

مقدمتها . كما كانت تحمي سرفاتها انطقة جانبية من صفائح مدرعة .  
وقد قامت المشاة الساندة للدبابات بالتقدم بثبات في الاخاديد العميقة  
للمنحدر الواقع في مضيق ( حلفاية ) وعلى طوار الساحل نحو ( السلوم )  
وكان رومل شديد القلق على دفاعاتنا هناك اذ كانت هذه في دور  
التأسيس . فأصدر أمره برقيا بوجوب تقدم عناصر من الكتيبة المدرعة  
الخامسة بالسرعة الممكنة على النيسم المسمى ( نرى كابوزو ) الذي  
كان من احسن نياسم الصحراء المعروفة جنوب الطريق الساحلي .

وكان الموقف مشكوكا فيه في اليوم الثاني من الهجوم البريطاني  
فكانت رؤوس رماح ( ويفل ) تنزل طعناتها في ( السلوم ) . وقرر رومل  
ان يزور هذا القطاع بنفسه . فذهبت أنا والدنجر وبيرنجت معه ولم  
نتمكن من الاستفادة من الطريق الساحلي لأن القوة الجوية البريطانية  
كانت شديدة التعرض فاضطررنا الى ان نساك نيسم ( نرى كابوزو ) .

وكان القتال الذي شاهدناه مدهشا ، فقد اقتحمت دبابات ويفل  
عدداً من مواضع المشاة بالرغم من النار الشديدة لمدافعنا عيار ( ٨٨ ) ملم  
التي لم تكن الدبابات تتوقع ان تجاهها . وكان قداحو هذه المدافع  
يجلسون عاليا وراء سداداتهم من دون حماية . فاذا سقط احدهم حل الآخر  
محله حالا . وتأثر جنود المدفعية الطليان بشجاعة الالمان فصاروا يظهرون  
ايضا روحا حربية تستحق الثناء . ولكن على الرغم من الخسائر الفادحة  
التي احدثتها المدفعية بالمشاة البريطانيين فان هؤلاء استمروا على التقدم  
الى الامام بجرأة نادرة عبر ( وادي حلفاية ) .

وبعد ايام من النضال انتهت المعركة لصالح رومل . ولم يعلن عن  
هذه المعركة بنطاق واسع شأن معارك الصحراء الاخرى . وان كثيرين



من ابطال الحملة الليبية في الواقع لا يذكرون (معركة الفأس) إلا نادراً وذلك بالنظر للحوادث الجسام التي كانت تدور في الساحات الاوربية وساحة البحر المتوسط في ذلك الحين .

وقد رافقت رومل في تفتيشه الشخصي لميدان المعركة طوار الحدود من ( حلفاية ) الى ( سيدي عمر ) فحسبنا ( ١٨٠ ) دبابة بريطانية محطمة كان معظمها من ذوات العلامة ( ٢ ) وقد سحبت بعض هذه الدبابات من ميدان المعركة فصالححت ووضعت عليها علامة الصليب الالماني ثم ادخلت في المعركة ضد الجنود الذين كانوا يركبونها من قبل .

وكان فوز رومل يعزى بالدرجة الاولى الى استخدامه مدافع ( ٨٨ ) ملم لمقاومة الدبابات مع ان الغرض الاساسي من تصميم هذه المدافع كان لمقاومة الطائرات . وقد وزعت هذه توزيعا مناسباً لتؤلف نواة كل موضع دفاعي .

وكان عدد الاسرى من العدو قليلا . وقد سمعت عرضاً حديثاً يجري بين ضابط قائم بواجب استنطاق الاسرى وبين سائق دبابة انكليزي شاب . فقال الانكليزي وهو يرمق شزراً إحدى مدافع ( ٨٨ ) ملم القريبة :

« أرى انه ليس من الانصاف استخدام مدافع مقاومة الطائرات ضد دباباتنا . »

فتدخل في الحديث مدفعي الماني كان جالسا على الارض على مسافة قريبة يستمع الى الترجمة وقال متهمجا : « نعم ، وأنا اظن انه ليس من الانصاف مطلقاً ان تهجموا بدبابات لا تحرق دروعها إلا مدافع ( ٨٨ ) ملم . » فابتسم لهذا الجدل . وكان هذا هو الواقع - بل لقد ثبت أن

مدافع ( ٨٨ ) ملم ضد الطائرات لا تقوى على إيقاف دبابة ذات علامة ( ٢ ) بأصابة امامية لكنها معرضة للعطب الشديد اذا اصابتها اطلاق ( ٨٨ ) ملم من الجانب .

وكان رومل حينما ذهب بعدئذ ترمقه القطعات بعين الإعجاب . اذ سبق ان ذاع صيته ومشى نحو البطولة . وقد خطب في عدة مجموعات من الجنود خطبا قصيرة امتدح فيها اعمال القطعات التي اشركت في المعركة ولم ينس ان يمتدح الايطاليين الذين قاتلوا قتالا جيدا والحق يقال . وعرف ( بيرندت ) كيف يستخلص من نجاح رومل دعاية ممتازة فعمل كثيرا ليزيد من شهرته في الميدان . كما ان اعماله الباهرة كانت تنتشر في المانية أيضا .

ووقع في ايدينا بعد ذلك بقليل تقرير صحفي انكليزي عن معارك مضيق ( حلفاية ) فكان يشير الى هذا المضيق بـ ( مضيق نار جهنم ) (١) ودرس بيرندت هذا التقرير باهتمام وارسله بمرعة الى (غوبلز) في برلين . هكذا كانت قد تكونت في الصحراء قصة مشهورة — تلك هي قصة ( ثعلب الصحراء ) الماكر والحاضر في كل مكان والمتنقل بمرعة

#### ٤

وضاعف رومل . اهتمامه بالحدود وكان راصدونا يشارون على مراقبة السابلة البحرية الذاهبة الى ميناء ( طبرق ) من النقاط العالية

(١) مضيق حلفاية بالانكليزية Halfya Pass وقد اطلق عليه الصحفي الانكليزي اسم « Hell Fire Pass » اي « مضيق نار جهنم » ( العرب )

الواقعة على خط الساحل بين ( البردية ) ونطاق القلعة فكانوا يخبرون  
بوصول التعويضات ومواد التموين الى ( طبرق ) الا انه لم تكن هناك  
علام لوصول التقويات الأمر الذي يدل على انه ليس ثمة ما يستوجب  
الخوف من خطر اختراق العدو نطاق الحصار والاندفاع من طبرق الى  
الخارج . وقد قدر رومل ان تعرضا بريطانيا جديدا لا يمكن ان يقع  
قبل مضي ثلاثة اشهر .

واقترح رومل بأن جهة ( السلوم ) هي المسرح المحتمل لاية حركات  
تجري في الاشهر القادمة ولذلك قرر ان يحرك تشكيلاته الرئيسية للمعركة  
الى مسافة اخرى شرقا باتجاه الحدود . وقد اختار ( البردية ) كقاعدة  
حركات خاصة به واتخذ مقره الجديد ومحل سكناه في بيت مخرب قليلا  
يقع على مقربة من كنيسة القرية ولاشك ان هذه البناية كانت معروفة  
لدى الآلاف من قطعات جنوب افريقية والقطات الاوسترالية والبريطانية  
وكان رومل في ذلك الحين القائد العام لفيلق افريقيا فقط . ومع أن  
كل جندي في الميدان كان يعتبره القائد الحقيقي فان القيادة العليا للحركات  
في شمال افريقيا كانت قد عهدت من الوجهة النظرية الى الفريق  
الايطالي ( غاريبالدي ) .

وقد دعا رومل لزيارة الجبهة عندما تمت تقوية دفاعات ( السلوم )  
بصورة مرضية فقبل ( غاريبالدي ) الدعوة وجاء الى ( البردية ) بعد  
ذلك بقليل . فقلد رومل هناك الوسام الفضي للشجاعة . وبوغت كثيراً  
عندما علق هذا الوسام الايطالي الممتاز على صدره أيضا . وعاملنا  
( غاريبالدي ) جميعا بروح ابوية طيبة .



وزود رومل ( غاريبالدي ) بالمعلومات اللازمة بسرعة وبعد أن شرح له الموقف وتوزيعات القطعات أخذه بالسيارة الى جبهة ( السلوم ) . وكان ينوي بصورة خاصة ان يأخذ القائد الايطالي الى جولة تفتيشية دقيقة لمواقعنا . إلا انني لاحظت اثناء ايضاحات رومل التي كان يترجمها الى حلفائنا (الدكتور هاكان ) ان الضباط الطليان الذين كانوا مع ( غاريبالدي ) لا يتمكنون من اخفاء ضجرهم . ولم فكّد فصل مضيق ( حلفاية ) حتى تقدم أحد الايطاليين وقال للقائد « يا صاحب السعادة هل لي أن اذكر كم أن هنالك مؤتمرات مستعجلة تستدعي حضورنا في ( برقة ) ؟ »

« سي سي (١) » قال غاريبالدي ثم تحدث عن ضرورة عودته حالا . ولم يتفق ذلك مع المنهج الذي كان قد قرره رومل اذا لم يزل جانب كبير من الجبهة يجب اراءته الى رئيسه الاعلى . على انني لمحت وميض تسلية ساخرة في عيني رومل عندما اعتذر ( غاريبالدي ) بوجوب انصرافه قائلاً بلطف : « اشكر كم لأعمالكم المدهشة . ان جميع التقدير التي اتخذتموها صحيحة كنت افعل مثلما فعلتم تماماً لو كنت في محلكم » وهكذا ذهب الطليان فزرننا بدون حلفائنا الرئيس الموقر « باخ » (٢) الضابط الاقدم في دفاعات مضيق ( حلفاية ) . وباخ هذا قسيس اصبح جندياً محارباً ثم ترفع الى رتبة رئيس اول واضطر في كانون الثاني ١٩٤٢ على تسليم القطعات الالمانية في الحلفاية الى امير اللواء (دي فيليس)

« المغرب »

(١) اي « نعم . نعم » بالابطالية

(٢) كان هذا اسباً تطوع في الجيش الالمانى وكذلك يلعب به ( للوقر )

« المغرب »

قائد فرقة جنوبي افريقيا الثانية .

ثم عدنا الى ( البردية ) فلمعت عيننا رومل وقال بغتة وهو يبتسم  
بجئت « ليت شعري ما هو هذا الامر المستعجل الى هذا الحد في برقة » .

٥

وفي تلك الايام ترك ( اهليرت ) هيئة ركن رومل وخلفه الرئيس  
الاول ( وستيفلد ) كضابط ركن لشعبة ( آ ١ ) . ولكي يطلعه رومل  
على الموقف أعطاه شرحا وافيا عن الاغراض التي يتوقع انجازها قبل  
نهاية تشرين الثاني — وتتلخص هذه فيما يلي :

اولا - اكمال خط نقاط قوية تمتد من ممر ( حلقاية ) الى ( سيدي عمر )  
وينبغي تجهيزها بمواد التموين التي تكفيها لمقاومة هجوم العدو  
مدة تزيد عن الثلاثة أسابيع .

ثانيا - شن هجوم مهيباً بصورة جيدة على ( طبرق ) بغية الاستيلاء عليها  
خلف حجاب هذه الجهة الدفاعية .

« أجل ( وستيفلد ) » قال رومل وهو مستغرق في التفكير « ان  
ذلك يعني نصف سنة اخرى يقتضي خلالها ان نديم خطوط تمويننا الى  
مواضعنا في ( طبرق ) والى خط الجهة مارة جنوب ( طبرق ) . »

« نعم سيدي القائد ، لا مناص من ذلك على ما اعتقد . »  
علق على ذلك ( وستيفلد ) من دون حماس . ويحتمل انه كان

يفكر كما كنت افكر أنا ايضا في النياسم المغبرة المارة حول نطاق  
(طبرق) .

فقال رومل :

« ان في وسعنا مع هذا ان تفعل شيئا في هذا الشأن » . ثم  
اضاف يقول :

« ما رأيك في تأسيس طريق ملائم حول (طبرق) فلا يهملنا عندئذ  
حرماتنا من الطريق الساحلي المار من الميناء والذي حرمتنا منه الآن  
هؤلاء الاستراليون الملاعين » .

فجوبهت خطة رومل بحماس وأصبحت مقررة بسرعة . وعقدت  
المؤتمرات مع قواد الفرق الإيطالية وبنيتجتها أمنت القطعات بعد مدة  
قصيرة للبدء في تشييد طريق مزدوج ، وخصصت للعمل ايضا افواج  
المانية الا انها فضلت الواجبات في جبهة القتال على ذلك . وبعد الحاح  
متوال سمح لها ان تحل محل الإيطاليين الآخرين الذين كانوا في  
مواقع المعركة .

وقد جرى مسح الطريق وتأثيره بسرعة . وكانت توجد مقادير  
كافية من الحجارة في الصحراء الصخرية كما ان الرمل كان متيسراً

وبعد قليل بدأ ( ٣٠٠٠ ) إيطالي يشتغلون بجهد وحماس في هذا  
الواجب الذي يظهر انه كان يلائم قابلياتهم بصورة مدهشة . وعندما  
كنت أنتقل بعدئذ على الاقسام التي اكملت من الطريق لم أعد أنعجب



حينما كنت أرى قناني « شيانتي » (١) الكبيرة وتأسيسات الحلاقين .  
وجرى اكمال الطريق في ثلاثة اشهر . فقام قائد ايطالي باجراء  
مراسيم الافتتاح الرسمية وسماه ( اخسيميتراسه ) أي ( طريق المحور ) .  
وأصبح هذا الطريق منذ ذلك الحين حتى نهاية ١٩٤٢ من علائم الحياة  
في الصحراء بالنسبة لكلا الطرفين واعتقد انه لا يزال مستعملا في  
( برقة ) اليوم .





رومل يناقش الهجوم المنتظر على طريق معاجعة أمن المضباط الاحداث  
المؤلف واقف في البسار





رومل مع الرئيس الأول الوقور (بانخ)



## الباب الحادي عشر

### رسائل القائد

تقع ( البردية ) على حافة منحدر سحيق يطل على البحر المتوسط ولها خليج بعيد عن اسفل جانبها الشرقي يكاد يكتنفه البر من جميع الجهات . وكان هذا الخليج ملجأ للقرصان القدماء قبل آلاف السنين . واستطيع أن اتصور ان ( البردية ) في وقت السلم مكان مريح ومؤنس . وقد وجدها رومل مقراً متقدماً جيداً لأنها تؤمن الراحة بعد العمل الشاق كما انها كانت تناسب قائداً يعتقد بضرورة التماس القريب مع قطعانه .

وجاءتنا بعض التقويات . فتم تأليف فرقة ثالثة من قطعات مختلفة الانواع فسميت بالفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) ولكن هذا التشكيل كان بلا وسائل نقل واعيد تأسيس الفرقة الخفيفة الخامسة باسم الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) وصار يقودها الآن امير اللواء ( فون رافنشتاين ) بدلا من ( شرايخ ) . وقد تولى امير اللواء ( فون ايزيك ) ابن عم صديقي المراسل الحربي قيادة الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) إلا انه جرح بعد أيام قلائل اثناء غارة بريطانية قرب عكرمة .

وهكذا تكونت العناصر الرئيسية لفيلق افريقيا من الفرقتين المدرعتين الـ ( ١٥ ) والـ ( ٢١ ) والفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) وقد نال هذا الفيلق شهرته الواسعة بهذه الفرق .

كننا في ( البردية ) وكأنا في بيوتنا ولم نزعجنا شيء حتى عندما علمنا

ان جماعة مغيرة من البريطانيين نزلت اسفل الجرف في الشاطئ، الذي كنا نسبح فيه . وقد قبض على اثنين من المغيرين ولكن الباقي هربوا على ما يظهر .

وبعد أيام قلائل بينما كنت و ( بيرندت ) زافق القائد في تفتيشه الأرض القريبة من خنادق ( البردية ) في منطقتنا الساحلية الغربية التي كانت خالية من أي بشر واذا بنا نتعرض بغتة ل نار بنادق مصوبة نصوباً جيداً يرميها صيادون منعزلون . ولما كنا مسلحين بالمسدسات فقط فقد التجأنا الى خلف حائط حجري وبقينا مدة نصف ساعة لانستطيع أن نرفع رؤوسنا بدون أن نسمع ازيز رصاصة تمر بقربنا . وعندما انقطع الرمي عدنا على عجل الى سياراتنا . وبعد نصف ساعة رجعت مع ( ٣٠ ) جنديا لتمشيط المنطقة وتفتيش كل خندق فيها . فشاهدنا في كل مكان بطانيات عتيقة وقنابر يدوية ومتروكات أخرى يرجع تأريخها الى ما قبل الاندحار الايطالي في كانون الأول . لكنه كان من المستحيل ان نقرر فيما اذا كان أي من المحلات التي يمكن الاختفاء فيها والتي فتشناها كانت مشغولة قبل نصف ساعة . وتركنا البحث بعد ساعتين من التفتيش غير المثمر فقد اتضح لنا ان كل من ينوي الاختفاء في تيه هذه الصخور فانه يستطيع ذلك من غير ان يخشى الانكشاف إلا قليلا .

لقد كانت هذه هي المرة الثانية التي حاول فيها العدو ان يقضي على رومل . اذ كانت الأولى عندما كان مقرنا على الساحل غرب ( طبرق ) . وقد قبض على المغيرين على بعد بضعة مئات من الياردات من عجلة رومل . وكان ذلك من حسن الحظ لأننا كنا جدد متهاونين في تأمين حرس

للمقر . فكان الحصول على رومل في ذلك الوقت سهلاً كالحصول على ملازم في موضع ستاربل واسهل . وظننا في حينه أن الجماعة المغيرة كانت تنوي القيام بغارة تخريبية فقط . وفاتنا أن نعلم أن هدفهم كان القائد نفسه . ولم يتزعج رومل من غارة (البردية) بل ضحك وقال « لا بد أن اسأوي كثيراً للانكليز » .

٢

وتحسن تدريجياً موقفنا من وجهة التموين فلمرة الاولى في الصحراء صرنا نستلم الخضروات الطرية من منطقة الجبل الاخضر ومن طرابلس ثم جاء يوم مشهود تناولنا في عشائه كبداً مقلية بالزبدة وعندما نادى ضابط المطعم : « من منكم ايها السادة يريد نجدة ثانية من الكبد ؟ » استغربنا كثيراً من سخائه ولم يرفض أحد منا ذلك . الا انه عندما نادى في الوجبة التالية « من منكم ايها السادة يريد نجدة أخرى من كبد الجمل ؟ » اصابنا الوجوم . وكان رومل نفسه معتدلاً في شهيته ولا يشكو من طعامه . وكان يعتقد بوجوب تناول الضباط نفس ارزاق الجنود ولذلك فلم يكن نأكل في اغلب الاحيان غير قليل من السمك المملح ونوع رديء من ( السجق ) المملح ثم الخبز و ( الرجل العجوز ) طبعاً . وكان لا يتناول من المشروبات غير قدح من الشراب وذلك في الظروف الخاصة فقط التي تستدعي أن يظهر شيئاً من لطف المعاشرة . ولم يكن يدخن مطلقاً وفي الواقع كان وخصمه الداهية (مونتكموري) يتشابهان تشابهاً قريباً في نظريتهما (الاسباطية) للحياة . وكان يفضل النوم المبكر لكنه كان يستيقظ في حينه دوماً ويشغل بجد . وكان



يجب الصيد ويسمح لنفسه من حين لآخر فرصة صيد غزال في الصحراء . فكنا نرى عندئذ ان غريزة الصيد تبدو حقا عنيفة تحت مظهره الهادي . ولم يكن له فيما عدا ذلك غير تسليمة واحدة فقط ألا وهي ( قتل الذباب ) . ففي النهار كان يكرس جهوده ساعة الغداء لواجب تحطيم اكثر ما يمكن من هذه الحشرات المؤذية بانتظام .

٣

كنت أنا و بيرندت نعيش في بناية صغيرة قرب مسكن رومل . وكانت هذه امام الجرف تماما واشتهرت بانها كانت اصطبلا في الأيام الغابرة .

وبدأت اتعرف على ( بيرندت ) جيدا في تلك الايام . فوجدته منهما اكثر مما يظنه الناس في سبيل شهرة رومل التي كانت في اتساع مستمر فكان ينتهز الفرص ليمهد السبيل لأخذ تصاوير ( ثعلب الصحراء ) بغية نشرها في المانية والممالك المحايدة . وكان رومل نفسه كما يشهد بذلك المراسلون الحربيون يبيع لنفسه بأن يصور . فقد لاحظت انه يقف عمدا في رضع يساعد المصور على أخذ صورته بشكل سهل وملائم .

واصبحت أنا و بيرندت صديقين بالرغم من اختلافاتنا السياسية . وكان هذا الرجل الضخم برأسه الكبير المنحني يذكرني بالدب . وكان في حديثه هدوء وثقة إلا أن خياله كان أقل رزانة ووقارا . ولم تكن تقاريره عن اختباراتنا — او بالاحرى عن اختباراتنا — صحيحة تماما على الدوام . وبالرغم من أنه كان يرتدي البدلة العسكرية لملازم اعتيادي فقد كان يحب ان يظهر انطبعا بأنه لازل شخصية مؤثرة في وزارة

الدعاية . فهل كانت تلك ياترى رغبة منه انيل الشهرة فحسب أم أنه كان حقاً رجلاً ذا شأن كبير ؟

وفي ذات يوم اسر الي انه ارتدى في وقت ما البدلة ( الجيكوسلوفاكية ) ودبر حوادث الحدود التي كانت توصف في حينه رسمياً بأنها ( استفزازات ضد الالمان ) . ولا شك أن القارىء يعلم ما حدث بعدئذ . ولكنني كجندي لم اكن قد سمعت حتى ذلك الوقت عن اية حوادث دبرت عمداً . ولو كنت قد سمعت ذلك فلا بد وانني كنت اشجبها على اعتبار انها دعاية محضة لفقها اعداء المانيا ولا ينبغي الاهتمام بها . لذلك صمعت لما تبجح ( بيرندت ) وعلقت بصراحة على ما اخبرني به قائلاً :

« اننى اعتقد ان هذا ليس عملاً دينياً فحسب بل ومخطراً أيضاً اذ لو كان قد فشل لاقى الجيكوسلوفاكيون ذنب التحريض الحقيقي على الالمان انفسهم . »

وفقد ( بيرندت ) هدوءه الاعتيادي فصاح بي غاضباً « ( شمت ) ، انك مثال لكثير من الالمان التعساء الذين بنوا آراءهم على الذهول الاحمق الذى مرده العاطفة » . ثم اضاف قائلاً « ينبغي لنا ان نطبق الشعار الانكليزي القائل ( بلادي قبل كل شيء خطأ أم صواباً ) » ولم اكن سمعت هذا المثل من قبل ففكرت ان ( بيرندت ) يحاول تحريفه على كل حال . وزدت في غضبه بقولي أن الاساليب التي اتبعها لم تكن خدعة للممالك الاخرى فحسب بل وللأمة الالمانية ايضاً وخاصة القطعات .

فنظر الي ( بيرندت ) باسف وقال « اجل - ليست السياسة من اختصاص كل انسان » ولغرض الوثام اتفقت معه « قائلاً

« صحيح » — ولكن بينما كان هو يطبق هذا القول علي كنت أنا بدون ان انكلم اطبقه عليه .

وبالرغم من هذه الخصومات عشنا حياة هادئة — شبيهة بحياة عائلة كلها من الذكور — يقدر ما تسمح به حالات الحرب . علي انه حدث بعدئذ تغيرات لم تبدل حياتنا الاعتيادية فحسب بل جعلتني اقرب الى رومل اكثر من قبل بكثير .

فلم تكن بنية (الدنجر) قوية كرومل ولذا تدهورت صحته واضطر بقلب كسير علي ان يتخلى عن منصبه كمساعد أيمن لرومل وموضع ثقته سنوات طوالا ، فترك شمال افريقيا عائداً الى اوربا .

وسلمت واجباته لي فانتقلت الى الغرفة المجاورة للقائد .

وطالب ( بير ندت ) أيضا ( اجازة واجب ) ليعود الى برلين ويلتحق مدة ستة اشهر بوزارة الدعاية تحت امره ( غوبلز ) .

وهكذا ازدادت مسئولياتي الى حد كبير فاصبح من ضمن واجباتي الشخصية اعداد الاستحضارات للجولات اليومية للجبهة ووضع تفاصيلها . فكان علي أن اسجل كتابة وبدقة تامة كل رغبة يبدئها القائد وكل امر يصدره . وكان علي بالاضافة الى ذلك ان ادون مذكرات لانهاية لها عن الاوقات المضبوطة والاسماء والاماكن وقوة الوحدات واخ ..

و كنت اقضي الامسية اعمل كسكرتير خاص . وبالرغم من أن رومل لم يكن في تلك الايام قد بلغ قمة شهرته بعد فقد كانت تصله يوميا من ثلاثين الى اربعين رسالة من جميع المقاطعات ومن مختلف الطبقات في المانية . وكان كثير منها يأتي من اولاد يعبدون الابطال إلا أن معظمها كان من البنات والنساء اللواتي كن يبدين هيامهن برومل .



و كان الجميع يطلبون التصاویر في الغالب . ولتلبية هذه الطلبات احتفظنا بعدد كبير من تصاویر رومل التي كانت بحجم بطاقة البريد والتي اخذها ( هوفمان ) مصور هتلر الرسمي في ( مونيخ ) . وكانت تأتينا منها بانتظام المقادير اللازمة للتعويض عن المصروف . و كان رومل يذیل كل تصویر ارسله بتوقيعه الشخصي .

و كان علي أيضاً أن اجيب بنفسی على الرسائل التي تأتي من معارفی رومل البعيدين . ولم يكن ذلك سهلاً دائماً اذ لم اكن اعرف كاتبي هذه الرسائل ولا درجة معرفتهم لرومل . علي ان وقتي كان اضيق من أن اضيعة في معرفة هذه التفاصيل . ولذلك سرعان ما هیأت عدداً من الأجوبة الخطية المطبوعة فكانت هذه تصدر من مكتب القائد بصورة رتيبة . اما الاجوبة الاخرى فكانت املها علي كاتب الاختزال النائب العريف ( بوتشر ) .

و كنت اسلم الي ( بوتشر ) عدداً من الرسائل واقول له : « ثمانية عشر ولداً وفتاة يريدون تصاویر — ارجو احضارها حسب الاجوبة الاعتيادية » . ثم اسحب رسالتين اخريين فأقول : « وهاتان الرسالتان من اثنين من رفاق رومل في الحرب العالمية الاولى — ارجو ان تبدأ جوابيهما بـ : عزيزي ( ميرتنس ) اقدم لك جزيل شکري لرسالتك المؤرخة . . . . . » وهكذا استمر بها باسلوب اقلد فيه طريقة رومل علي قدر استطاعتي . علي ان رومل كان يدقق هذه الرسائل دوماً و كان لا يوقعها ان لم تتفق مع الحقيقة ، و كنت أنسلي دائماً عندما يوقع رومل الرسائل اذ أرى طرف لسانه يبرز ويعقب بشكل مضحك في الهواء سير قلمه عندما يكتب حرف ( ر ) الكبير في توقيعه .

وأجد بين الرسائل حيانا رسالة اعرف صاحبها فأقول « آه —  
رسالة اخرى من ( دى آله شاخيتل ) اي ( العجوز الساحرة ) من  
( ليزغ ) . »

كانت هذه المراسلة التي يظهر انها امرأة في اواخر سنها ، تذيل  
رسائلها دوما بعبارة ( العجوز الساحرة ) . وقد بدأت مكتوبها الاول  
بقولها : « زير كير تر هير كنرال » اي « سيدي القائد ذا المجد  
العظيم . . . . » غير انها استهلت مكتوبها الخامس قائلة « اعزائي رومل  
ورجال رومل . . . » وكانت تكتب عادة من صميم قلبها ولم يكن لها  
رادع ولا حرمة للاشخاص ذوي المراكز العليا فكانت تقول : ان  
( هانس فريتش ) مشغول ثانية في الراديو — اني لا احتمل ثرثرته  
وسخريته اللاذعة » لكن رسائلها كانت تحتوي دوما على كثير من  
الاخبار المسرة . وبالرغم من انها كانت تعنون الى رومل نفسه قلنا  
كانت تؤنسنا جميعا . وقد اتفقنا على انها على غرابتها تملك بلا شك  
روح العجوز الساحرة .

وفي ذات يوم وصلت اليها منها رزمة من الكتب . فطلب مني رومل  
ان آخذها الى القطعات المرابطة في ( حلقاية ) ، وقد فحصت الكتب  
اولا فمررت لأنني وجدتها تحتوي على ( ادب تافه ) من النوع الذي  
حكم عليه اولئك الذين سيروا الرايخ الثالث بأنه يصلح لابقاء النار  
او للدمقراطيات المتدهورة . ثم اجد رسالة ثانية تبدأ كما يلي : « اننا  
فخورون بكم جداً يا اخي الشهير » فاسلمها الى رومل بدون ان اقرأها  
مفترضا انها جاءت من اخته .

وقد وجدت ان الرسائل التي تأتي من ابناؤنا ووطن رومل

(السوابيون) (١) متعة بصورة خاصة اذ انها تكشف بوضوح صفات الاخلاص والطاعة والشجاعة العالية التي تجعل من هؤلاء الناس جنوداً ممتازين . غير ان للسوابين عيباً واحداً حسب رأيي ، فهم يفتخرون اكثر من اللازم بمنطقتهم اذ كنت اقرأ مثلاً رسالة فيها ما يلي : « قرأنا بسرور عن انتصار انكم . انه عظيم وايم الحق ان يقود (سوابياً) فيلق افريقيا وقد سمعنا ان نسبة كبيرة من قطعاتكم (سوابية) ايضاً . أجل ان هذا لدليل على ان (السوابيين) هم خير الجنود . . » و كنت احاول ان اجيب هؤلاء (السوابيين) المتحمسين بأقصى ما يمكن من اللباقة فاذكر لهم بلطف ان جميع المقاطعات الالمانية ممثلة في فيلق افريقيا حتى ال (ساوبر ويسن) الخنازير الروسية . وقد تردد رومل قليلاً وهو يبتسم قبل ان يوقع هذه الرسالة .

كان ضابط الركن الاقدم يشرح في دائرة رومل كل مساء خلاصة حوادث اليوم في روسيا . وكانت خارطة موقف كبيرة قد عُلقت على الحائط لهذا الغرض ، وكان رومل يهتم بصورة خاصة بسير حركات الفرقة المدرعة السابعة (فرقة الشبح) وهي فرقة السابقة التي كان من دواعي فخره انها تبرز بوضوح من بين رؤوس الرماح في الاندفاع نحو موسكو .

ومن الطبيعي انه ابدى اهتماماً عظيماً عندما احتلت قطعات المظلات المحورية جزيرة (كريت) اذ ان ذلك مما امن له (لوفتوافه) (القوة

---

(١) سوايا منطقة في جنوب غرب المانية على جانبي الغابة السوداء وبين (نيكار) وبحيرة (كونستانس)



الجوية الألمانية ( قاعدة ملائمة للحركات ضد العدو في الصحراء والشرق  
الوسط بوجه عام . غير انه كان يعتقد انه لو احتلت ( مالطة ) لكان  
لها تأثير اعظم إذ ان هذه الجزيرة الصغيرة كانت خلال حملة شمال افريقيا  
كلها تهدد باستمرار شحناتنا البحرية الجوية . فهل كانت بريطانيا  
تكسب الحرب في شمال افريقيا لو هوجمت مالطة واحتلت في ١٩٤١ ؟  
لا أظن ذلك .

---

## الباب الثاني عشر

### يوم في الجبهة

كان رومل يؤسس جبهة ( السلوم ) باهتمام شديد . دعني اصور لك ما يعنيه ذلك في حياتنا اليومية .

كنا نتحرك في الساعة السابعة قبل الظهر تماماً للقيام باحدى زيارتنا المعتادة للجبهة . ونظراً لقصر المسافة كنا نترك ( الماموث ) في المقر ونتحرك بسيارتين مفتوحتين وسط الغبار المتصاعد ، فنجتاز المدخل الوحيد لمقر فيلق افريقيا فيهبط العجيج خلفنا ثانية ويحيننا الحارس . ومنذ ذهاب الدنجر كنت اركب مع رومل فيجلس هو في الامام مع السائق واجلس أنا في الخلف مع الدكتور ( هاكان ) المترجم .

ونسوق مارين بـ ( كابوزو ) وعبر ثغرة في مانع الاسلاك الشائكة على الحدود فنتجه بسرعة نحو الصحراء مبتعدين عن مواضعنا الامامية مسافة طويلة . وفي الارض الحرام كنا كثيراً ما نلمح في الافق سيارات دوريات العدو ، ولم تكن هذه الدوريات تقدر عظم هذه الغنيمة التي نتحرك على مرأى العين من نواظيرها .

ويدرس رومل مواضعنا من نقاط مشرفة في جانب العدو ويفحصها في منظاره بدقة تامة كما يستعمل العالم مجهره . ثم ينفخ من منخاره دلالة على انه رأى شيئاً لا يسره . فنقفز بالسيارة وتجه رأساً الى النقطة القوية التي لاحظها ويظل هو واقفاً اثناء سير السيارة . وعند وصولنا يمدق الحارس في رومل بعينين مفتوحتين فيصيح به القائد لماذا

لا تؤدي التحية « فيستعد الجندي فوراً وهو منذهل وقد انعقد اسانه .  
« أين هو آمر الستار ؟ » يسأله رومل بغضب .  
« انه نائم يا سيدي . . . ار . . . الرئيس الاول » يجيب الحارس  
بتلعثم . انه مستجد حديث في الجهة ولم ير رومل من قبل . ثم ان علامة  
الرتبة تشوشه فيظن ان اي شخص بهذه السلطة لابد وان يكون برتبة  
ضابط في الميدان فيقامر على رتبة رئيس اول .

« ياهير سولدات » ( نعم يا حضرة الجندي ) — يقول ذلك رومل  
بسرعة ثم يضيف الى ذلك « يظهر ان الجميع هنا نائمون . ايقظ هذا السيد  
رجاء . »

ولا يحتاج الحارس لأن يتحرك اذ يبرز من مدخل احدى الملاحي .  
القريبة وجه ضابط صغير وقد تورد خجلاً . وعندما يرى القائد يستعد  
برشاقة ويؤدي التحية العسكرية وينحبر قائلاً : « ستار ( فرانك ) —  
لا شيء . يستحق الاخبار »

« كيف تعلم ذلك يا حضرة الملازم » يصيح به رومل « لقد كنت  
نائماً بل ونوماً هنيئاً ايضاً . » ليس لدى الملازم ما يقول — فتحصل فترة  
سكون . فيقول رومل : « يا حضرة الملازم ان موقعك لا يدار حسب  
تعليماتي فملجؤك ظاهر اكثر من اللازم . والموقع غير مغشوش وجنودك  
يتحركون يميناً وشمالاً وانت نائم . سأعود غداً وانا كد من انك قد  
أنجزت جميع مطالبي . انعم صباحاً يا حضرة الملازم » . ثم يؤشر رومل  
للسائق بأن يسوق ، ويثبت الضابط الصغير في البقعة التي فيها من دون  
حركه ويمضي رومل قبل ان ينطق هذا بعبارة « أمركم يا سيدي  
القائد » .



فإذا كان قد فكر مرة ان صحراء شمال افريقيا مكان خيالي فلاشك انه اصيب الآن بصدمة عنيفة .

ويجري تمييز سيارتنا قبل وصولنا الى موقع الستار الثاني المسمى ( كوا ) . فإذا بالنقطة القوية منقبة ، والملازم الذي يقودها متيقظ . فيقبل سلوك رومل تماما إلا انه يلقي مع ذلك موعظة قصيرة فيقول : « موضع منتخب بصورة حسنة وتوزيعات جيدة . ان هذا على جانب عظيم من الاهمية إذ اننا لا نستطيع ان نعتمد على الصدف وان معضلة مرور خطوط تمويننا فوق البحر المتوسط مما تجعل من الصعب علينا تأمين التجهيزات والارزاق لقطعات اكثر مما لدينا الآن في افريقيا .

ولهذا السبب ينبغي لنا ان نستفيد استفادة تامة من العوارض الطبيعية وأي شيء آخر في متناول ايدينا ، ويجب ان تكون نقطة قوية جيدة واحدة معادلة لاثنتين منتخبتين من دون مبالاة ومشغولتين بغير اهتمام ... » « نعم يا سيدي القائد » يقول الملازم ذلك مؤيداً .

« كيف حالكم من وجهة العتاد والتموين ؟ »

« لدينا كثير من العتاد يا سيدي القائد وطعام لثلاثة ايام »

« لثلاثة ايام ؟ يا صديقي انكم تحتاجون الى مؤونة تكفي لثلاثة

اسبوع . ولكن ... لا بأس سننظر نحن في ذلك » .

وبعد ان يشكره باختصار يستمر رومل في طريقه

وفي كل ستار كان ينزل من سيارته ، وبالرغم من ان سنه كان ضعف سني تقريبا فلم تظهر عليه أية علامة تعب . أما أنا فتغدو رجلاي موجهتين وثقلتين كالرصاص اذ ان السير على الرمال متعب ، وكان علي

ان ادون ملحوظات لا نهاية لها وان اكتب كل طلب وكل أمر وكل ملحوظة ، وعندما نعود يجب علي ان اخبر رئيس الاركان او ضابط الركن الاقدم بكل ما يهمهما .

و كننا نزور احد مواقع التصنت اللاسلكية التي كان لنا منها موقعان في جهة السلوم وبينهما مسافة معلومة . وهذان الموقعان ينظران موجيتهما على امواج العدو ، ثم يأخذان الاتجاه على موجدات الاتجاه الهوائية وبواسطة المثلثات يثبتان بدقة مكان محطات الارسال الثابتة والسيارة للعدو . وأخبرنا المتصنت في احد الموقعين ان التقاطعات تدل على ان العدو ينقل محطاته اللاسلكية شمالا نحو البحر . « لا غرابة ان يفعلوا ذلك في هذا المناخ » يقول رومل ذلك مبتسما ثم يضيف قائلا : هل تتصور ان الانكليز لا يحبون الاستحمام في البحر »

و كننا نزور ( الحلفاية ) غالبا ، وقد جئنا اليها في هذا اليوم بعد جولة طويلة للمستارات ، وجاء الرئيس الموقر ( باخ ) لملاقتنا وهو يعرج مستنداً على عصا ولم يكن يسمح لضابط غير ( باخ ) ان يستعين بعصا اثناء المشي وقد سمح له بذلك لأنه تخطى حدود الشباب ، وكفّس في الحياة المدنية كان جنوده يحبونه لاعتنائهم في معاملتهم ، وبالرغم من وظيفته غير العسكرية في وقت السلم فانه ادار قاطعه بمقدرة فاقته مقدرة كثير من الضباط المحترفين ، وكان رومل يوليه اعظم اعتبار

كانت الحلفاية مسرح قتال من قبل ، وقد شعر رومل بأهميتها السوقية الواضحة إذ انها تسيطر على الطريق الساحلي من مصر الى برقة واذا حرم العدو من الطريق المار من السلوم والحلفاية فانه يضطر الى الابتعاد جنوبا في الصحراء اذا اراد القيام بهجوم على ( برقة )

لذلك كان رومل بقوي هذا القاطع بأسرع ما يتمكن وقدارسل  
اليه قبل مدة قليلة عناصر من الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) التي لا زالت غير  
سيارة نظرا لنقص نقايته .

وكان ( باخ ) قد دعى قبل برهة آمري سراياه للحضور في مؤتمره  
فانهز رومل الفرصة والتي عليهم كلمة موجزة عن التعبئة قائلا :

« ايها السادة ان احسن شبيه للقتال في الصحراء هو المعركة في  
البحر . فكل من كانت لديه اسلحة ذات مديات ابعد كان ذراعه اطول  
كما هي الحال في البحر تماما . وكل من كانت لديه قابلية حركة اعظم  
لكفاءة آلياته وخطوط تموينه فانه يستطيع بحر كاته السريعة ان يرغم  
خصمه على ان يعمل وفق رغباته . »

« ان قطعانكم هنا في ممر ( حلفاية ) ليست سيارة ولا تكون لها  
قيمة ضد القطعات الآلية الا اذا كانت في مواضع قوية ومهيأة بصورة  
جيدة . وفي مثل هذه الحالة أيضاً تظهر مزية ( اليد الطويلة ) . »

اننا نتمكن ان نؤمن ذلك بمدافع ٨٨ ملم وبما ان قطعانكم غير سيارة  
فمن الضروري أن يكون لديكم احسن ستر مهيأة واحسن غش ممكن  
واحسن ساحة رمي لمدافع ٨٨ ملم والاسلحة الاخرى . »

ووقف رومل هنيهة ثم استمر يتكلم بفعاليته الخاصة قائلا : « اني  
أنوي احتلال خط دفاعي طويل يمتد من البحر الى ( سيدي عمر ) .  
ويجب أن تكون مواضع السفارات الى حد قوة سرية ، متباعدة حتما  
تباعداً مناسباً . »

« ولكن ينبغي أن ينظم الخط كله بعق كاف الى الخلف . »



« ويجب أن تؤلف كل نقطة مدافعة نظاماً دفاعياً كاملاً قائماً بذاته . كما يجب أن يكون موضع كل سلاح مساعداً على الرمي في جميع الجهات واني انصور التدابير المثالية للنقاط الدفاعية هذه كما يلي : —

« يجب ان يغور في الارض مدفع واحد عيار ٨٨ ملم ضد الطائرات الى اعماق ما تسمح به ساحة الرمي . وتحفر من موضع المدفع خنادق الى ثلاث جهات وتنتهي بثلاث نقاط احدهما موضع رشاشة وثانيهما موضع هاون ثقيل والثالث موضع مدفع ٢٢ ملم خفيف ضد الطائرات او مدفع . . ملم ضد الدبابات . ويجب ان تقيس في الموضع دواماء وعتاد وارزاق تكفي لثلاثة اسابيع ويجب أن ينام كل جندي وهو جاهز للقتال . »  
ثم استمر رومل في موضوعه وهو متحمس :

« ايها السادة ، سأذكر لكم كلمة مختصرة عن تعبئة المعركة . في حالة هجوم العدو يجب ان تستر نيران اسلحتنا الثغرات التي بين النقاط الدفاعية سترأ تاماً . فاذا نجح العدو في اختراق الثغرات نظراً لرداءة الرؤية مثلاً فيجب أن يكون كل سلاح في موضع يستطيع منه مشاغلة العدو من الخلف . وليكن واضحاً انه ليس من الصحيح ان تستهدف القطعات ( الاتجاه ) الى ( الجهة ) بل يجب أن يكون ( الاتجاه ) دوماً نحو ( العدو ) . »

ثم أضاف الى ذلك قائلاً « يحتمل أن تقرر الدبابات والوحدات الآلية المراقبة خلف الجهة النتيجة النهائية للمعركة في حالة هجوم العدو . ولكن ليس من المهم ان تقرر هذه النتيجة لأن المعركة تكسب عندما يتحطم العدو . تذكروا شيئاً واحداً : يجب أن تثبت القطعات المدافعة في

مواضعها بصرف النظر عما يحتمل ان يحدث في الموقف العام . اذ أف دبابتنا وتشكيلاتنا الآلية سوف لا تتخلى عنكم حتى وإن لم تروها على اسابيع . . اشكركم ايها السادة .

وانصرف الضباط . فراقفنا ( باخ ) عندما ذهبنا لزيارة بطرية ايطالية وهنا أيضا اهتم رومل بتموين العتاد . وقد ترجم الدكتور ( ها كان ) حديث رومل مع الطليان لكنني لاحظت انه يلتبه بسرعة عندما لا تعبر الترجمة بدقة عن مقصده . ولا شك انه كان يعرف شيئا من الايطالية الا أنه كان لا يريد أن يدرك الايطاليون ذلك .

واذكر في ذلك اليوم أن العدو قصفنا من الشرق عندما كنا نسوق في ( مضيق نار جهنم ) متجهين نحو السهل الساحلي . وقد خمن القائد ان النار آتية من المدافع الذاتية الحركة (١) التي ارسلها العدو موقتا الى الأمام .

ولاحظ رومل في بعض النقاط الدفاعية في السهل الساحلي المنبسط ان الدبابات البريطانية العلامة (٢) المستولى عليها قد اغطست في الارض الى عمق يجعل ابراجها فقط تظهر فوق سطح الارض . فسر كثيراً بهذا الاستخدام الماهر لدبابات العدو وتابعتنا المسير ونحن نشعر بحبور شديد . ولما وصلنا الشاطئ . اقترحت ( غطسة ) في البحر . ولم تكن لدينا سراويل سباحة ولكن من ذا الذي يهتم بذلك في الخط الامامي من الصحراء . فغطست أنا ورومل في مياه البحر المتوسط الباردة التي كان لها بريق زاه ( كالشمبانيا الزرقاء ) . ورش رومل الماء على جسمه بخفة روح

---

(١) وهي مدافع تركب في ابدان الدبابات .

تلميذ مدرسة . وصعدنا الى المضيق الحزوني متجهين نحو ثكنات السلوم  
الواقعة على حافة المنحدر . وفي منتصف الطريق الصاعد رأينا المهندسين  
ينسفون ثقباً يشبه النفق في السفوح الشديدة الانحدار ليضعوا فيه مدفعا  
ابطاليا للدفاع عن الساحل . فوقفنا نفحص العمل — واستدار رومل  
كالعادة يسبر بناظوره الشرق المهم الذي فيه العدو .

وهكذا كنا نعود خلال الغبار الى البردية قبيل المساء . ولم تكن  
نتناول طعاما طوال النهار ولكن كتملا من اعمال الدائرة كانت تنتظرني .  
اما رومل فكانت تنتظره الواجبات الجسيمة التي تراكمت على الارض  
والتي لا يتخلص منها حتى القائد في الميدان .  
واذن فهذا هو يوم نموذجي من حياة رومل .





## الباب الثالث عشر

### تكوين الجفيل الممرع

في اواسط سنة ١٩٤١ حصلت تبديلات في القيادة الايطالية العليا في افريقيا . وحل الفريق ( باستيكو ) محل الفريق ( غاريبالدي ) الظريف . ووردت الي ( البردية ) رسالة لاسلمكية جفرية توعد الى رومل بأن يراجع باستيكو في ( برقة ) على الفور . ووصلنا الى ( برقة ) في اليوم التالي بعد رحله طويلة انهكت قوانا وارتبت اجسامنا ، وقد اضطررنا طبعاً الى اجتياز ( طبرق ) من الجانب . وشعرنا نحن الذين كنا قد اعتدنا الحياة في البيت الصغير المهدم في ( البردية ) كأننا ندخل قصرأ امبراطوريا فخما عندما اجتزنا مترها جيلا ودخلنا في بناء كبير اعمدته من الرخام .

كان من دواعي سرورنا ان نكون في ( الجبل الاخضر ) . فاللمرة الاولى منذ اشهر طوال لم تر اعيقنا الشمس والرمل والذباب بل شاهدت حقولا خضراء وسحباً جميلة تهادى في السماء وتللا مشجرة بل وحتى النساء الجميلات .

الا انني ورومل شعرنا بتكلف في هذه القاعات المرمرية والمحيط النضر اذ كنا مترين ، عرقى ، وكانت عجلاتنا قد غدت كالغربال من ثقب الرصاص وتراكت عليها الاوساخ منذ اشهر في الصحراء . وشعرت ان هيئة الركن الايطالية شعرت ايضا باننا لم نرتج لهذه الحياة . وطلب رومل حالا مراجعة ( باستيكو ) غير ان القائد الايطالي هذا

لم يجد وقتا ليقابله فيه الا بعد مضي نصف ساعة . وبعد ان اجتمعنا فترة قصيرة خرج رومل من غرفة ( باستيكو ) معكر المزاج فصرنا ننتع باستيكو فيما بعد بد ( بومباستيكو ) ( ١ ) .

وكان رومل في ذلك الوقت قد نال قيادة أعلى وسلطة اوسع من قبل ، اذ كانت قد وصلت الى ( برقة ) مجموعة مقر جديد من الضباط الالمان . فلما استوضح عنها رومل قيل له في بادئ الامر ان هيئة الاركان هذه قد خصصت لحففل مدرع تقرر جعله « تحت تصرف فيلق افريقيا الالمانى . »

ولاحظت أن رومل كان يفكر في المقصد الحقيقى الكامن وراء هذه الحركة — فهل ستعمل هيئة الاركان الجديدة هذه باتصال مباشر مع القيادة الالمانية العليا او يقصد بها ان قائدأ المانيا اقدم سيشمل فيلق افريقيا تحت قيادته الواسعة ؟

ولقد اتضح الموقف خلال زيارة برقة . وبينما كنت انتظر رئيسي تعرفت على عدد من ضباط هيئة الاركان الجديدة . وكان احدهم ضابط خفر طويل القامة نحيفها يدعى الملازم ( ديكان ) فخياني بمودة يبدو عليها السمو وفيها شيء من التنازل مما جعلني اشعر اكثر من ذي قبل بأننا ذوي الاجسام الخشنة الاتنين من الجهة ينظر اليينا في هذا الجو اللطف ك مخلوقات بلهاء وان كانت حسنة النية . على ان رومل التقي بعد رؤية باستيكو بامير اللواء ( كاوزه ) رئيس هيئة الاركان التي وصلت حديثا . وكان هذا رجلا لطيفا ومحترما وذا وزن وقوة فأوضح بجلاله تام ان هيئة الاركان الجديدة يجب أن تلتحق برومل .

---

(١) أي ( باستيكو ) الشبيه بالقنبلة .

وهكذا انضح انه سيتمكنون جحفل افريقي مدرع اعتباراً من آب ١٩٤١ بقيادة رومل ، وانه سيستعمل ، لأسباب عملية ، على الفيلقين الايطاليين المرابطين خارج ( طبرق ) علاوة على فيلق افريقيا الالماني الذي سيقوده الفريق ( كرويل ) بتوجيه من رومل

وبالرغم من خلق قيادة علميا جديدة فان قوتنا في الصحراء لم تعزز الا قليلا ، بل لقد بدأ واضحا اننا لا نتوقع الحصول على تقويات كبيرة الا بعد مدة من الزمن ، وكان رومل نفسه يلح على وجوب تقوية خطوط تموينه في الصحراء الى درجة تكفي لادامة خدمات مناسبة للفرق الالمانية الثلاث الحالية قبل نقل أية قطعات المانية محاربة الى افريقيا

وفي خلال اشهر الصيف الحارة أسست جبهة ( السلوم ) كما أمر به رومل .

وقد تم وضع مدافع الدفاع الثقيلة في مواضعها وزرعت حقول ألغام اضافية . وعندما اكملت هذه الاستحضارات ركز رومل جهوده في جبهة ( طبرق ) فأجرى استحضارات منظمة للقيام بهجوم عليها في اواخر تشرين الثاني . وقد امر قطعات بعض القواطع ان تحتل مواضع في الامام وجرى تشييد مواضع ستارات معركة جديدة امام الخط الحالي ليلا بالرغم من الغارات التعرضية للدوريات الاسترالية ، وقد تقرر احتلال هذه المواضع عند اكملها .

ونوى رومل في هذه المرة ان ينمى قاطع ( ميداوا ) وان يشن هجومه على قاطع ( الدودة ) في الجنوب الشرقي — وهو القاطع الذي كنت احبذه دوما

وقد عاجلنا نقص المعلومات الذي كنا نعانيه في شهري نيسان



ومايس عن طبيعة دفاعات العدو — بالجهود التي بذلناها في احضار  
التصاوير الجوية ، وتم دراسة كل تصوير بدقة متناهية وجمزت كل  
كتيبة وكل فوج ، وحتى كل سرية ، ستشارك في الهجوم بتصاوير  
مفصلة للمنطقة التي ستوجه اليها . ونقرر ان نتحمل الثقل الرئيسي للهجوم  
الفرقتان المدرعتان ، فسحبنا من الجبهة للراحة ولاجراء تدريب خاص .  
فمسكرت الفرقة الـ ( ٢١ ) بين ( البردية ) وطبرق وكانت كتيبة المشاة  
الـ ( ١١٥ ) من الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) قد احتلت الخنادق الواقعة  
جنوبي غرب ( طبرق ) منذ وصولها قبل بضعة اشهر ( وقد سبق ان  
أشرت مواضعها الى الفريق ( باولوس ) . فجرى سحبها من هذا القاطع  
غير المريح للاستجمام ولاجراء تدريب خاص قرب البحر في شرق ( طبرق )  
وكان تأثير ذلك في اجسام الجنود فورياً وجلياً . فقد تمرض حلال نحو  
٧٠ ٪ من جنود الكتيبة بأمراض مختلفة كالزحار واليرقان . وقلت فوراً  
قوتها الحربية التي كانت اعتمادية في خط طبرق الى درجة سيئة بحيث  
أصبحت قوة الصرايا تعادل قوة الفصائل . ولتشيت نيران مدفعية العدر  
أصدر رومل اوامره بانشاء مواضع كاذبة في مناطق غير محتملة واوعز  
بوجوب نصب مئات من المراصد الكاذبة المصنوعة من الخشب والجفافص  
حول النطاق على ان يتم ذلك خلال اسبوعين .

واعتقد رومل ان هذه ستحمل الحامية المحاصرة على صرف مئات  
الاطلاقات من العتاد الثمين من دون ان تصيب قطعائنا بضرر . وبعد ان  
يصرف العدو قنابله عبثاً تجري الاستفادة من بعض المراصد الكاذبة  
كمراصد حقيقية .

ولقد قدرت صواب هذه الخطة حينما وضعها رومل إلا انه عندما  
كان يبتعد عن الضباط كنت أجد المتذمرين منهم يقولون : « بحق السماء

يا ( شمت ) ! ما هذه الاشياء التي تخلفونها لنا ؟ انكم تطلبون منا ان نبني اثني عشر مرصداً في قاطعنا وحده ، فمن أين تتوقعون ان نجد الخشب و ( الجنفاص ) في هذه الصحراء . و كان رومل في جميع الاوقات واحة في تلك الآونة يطلب من قطعاته المباداة والنشاط . فكان يدمدم قائلاً : « ينبغي ان لا تجعلهم الحرب الموضعية ثابتين في مقاعدهم . »

ولكي يقيس الهجوم أكثر ما يمكن من القطعات الألمانية الفشيطة اقتضى ان يستلم الطليان الخطوط الدفاعية اينما كان ذلك ممكناً . وكانت اوامر رومل تقضي ( ان تتمركز بضع سرايا المانية في بعض نقاط الجبهة لتكون كـ ( مسند ظهر لباقي الجبهة ) ولا ادري هل استساع الطليان ذلك أم لا . على ان رومل لم يرد بذلك المس من شعور الطليان او التجبر عليهم — فقد سقنا بالسيارة ذات يوم على ( طريق المحمور ) عندما كانت على وشك الانتهاء . وكان رومل مسروراً حقاً باعمال الطليان الذين شيدوا هذا الطريق . وكانت عجلة الماموث ترافق سيارتنا المفتوحتين المعتادتين لحمايتنا ضد هجوم العدو الارضي . وكان من بين جماعتنا ضابط ركن الفريق ( كالفني ) الرئيس الاول ( توزي ) والملازم ( تورين ) والدكتور ( فرانز ) الذي حل محل الدكتور ( هاكمان ) كترجم لنا . فزار رومل رئيس اول ايطاليا بدينا كان يقود إحدى الافواج القائمة بانشاء الطريق وقال :

« قل له يادكتور ( فرانز ) انني مسرور جداً بالعمل الممتاز الذي انجزوه » فاضاء وجه الرئيس الاول المستدير سروراً بمديح رومل . وكان هذا شخصاً مرحاً خفيف الروح جعلنا نبتمس باستمرار . وسأله رومل فيما اذا كانت لديه شكاية . فأجاب هذا الضابط وهو متعجب « مي سي سنيور كنيران ( أي نعم نعم يا حضرة الفريق ) الطعام مل

جداً والشراب غير جيد » فنظر رومل الى هذا الشخص البدن القصير  
مبتسماً بنحيب ودمددم قائلاً بهدوء « ومع هذا يظهر أن ذلك لم يضر  
بجسمك . »

٢

وعندما عين ( كرويل ) قائداً لتفليق افريقيا وتولى رومل قيادة  
جحفل افريقيا المدرع ترك هذا جميع هيئة اركانها في ( البردية ) الى  
القائد الجديد ماعداي ومراسله ( كمانثر ) والكاتب ( بوتشر ) . فذهبنا  
نحن الى الجبل الاخضر ونعمنا الفترة قصيرة بالحياة في محيط ( بيداليتوريا )  
الاخضر البديع .

---



## الباب الرابع عشر

# كيف أثر رومل على هتلر

هل تتذكر ( بيداً ليتوريا ) الخضر-راء في الجبل الاخضر ؟ . فاني اتذكرها بشوق قليل . غير ان رومل لم يحب هذا المكان بالرغم من البيت الصغير الذي هياً له هناك والذي كانت تقيس فيه جميع اسباب الراحة التي لا وجود لها في الصحراء . فاقدر ابتعد عن قطعات الجهة التي احبها مع استبداده بها .

أما الآن وبين يديه الجحفل المدرع فقد اصبح وكأنه خاضع لمرؤوسيه . فللمرة الاولى كان لديه ضابطان من ضباط الاركان الممتازين كمساعدين مباشرين وقد برهنا بسرعة على فائدتها العظيمة له . وهذان الضابطان هما امير اللواء ( كاوزه ) رئيس الاركان وهو رجل هادي . قوي البنية وذو سجايا كريمة تحدث انطبعا لدى المقابل . وقد سبق ان نوهت عنه قبل هذا بقليل . والمقدم ( ويستبال ) وهو ضابط من الاركان العامة يقظ وكفوء وذو ضبط شديد . وفي وسعي ان افترض ان هذين الضابطين يعادلان في المصطلح البريطاني امير لواء الاركان العامة وضابط ركن الحركات الأول ( ١ ) وان جحفلنا المدرع ( الذي هو مصطلح مطاط ) اضعف قليلا في المشاة من ( جيش ) بريطاني

---

( ١ ) ( Major — General General Staff )

و ( G . S . O . I . Operation )

غير انه ربما كان اقوى منه في الدروع . ولا شك ان ( جحفل افريقيا المدرع ) لم يكن يوازي ( جحفل جيش بريطانيا ) .

واستطاعت هيئة الاركان الجديدة ان تقنع رومل بدهاء ان قيمته الآن هي ليست بكثرة تماسه الشخصي بقطعانه في الجهة بل بما يديه من فعالية دبلوماسية ونشاط في الاشراف . ولقد اسفت بوصفي جندياً له ميل سابق للجهة على هذا التطور الواضح خاصة وقد كنت شاباً في ذلك الوقت كما يتذكر القارىء . — لأننى اصبحت اعتقد تدريجياً اننا سنرى أقل ما يمكن من ذلك اليوم الذى ستمخض فيه الصحراء عن معركة عنيفة ، ولا بد من حدوثها يوماً ما ، اذ كنا من جانبنا نستعد اليها في الخفاء ولا شك أن العدو الذى نجاهه كان يستعد هو الآخر ، فان من يعرفه جيداً لا يستطيع أن يقول أنه كان ساكناً .

واقنع ( كاوزه ) و ( ويستبال ) القائد بلباقة أن ( العلاقة ) الجديدة مع الطايان — خاصة وقد صار الآن يقود عناصرهم الحربية الرئيسية في الميدان علاوة على قطعانه الالمانية — تتطلب بأن يسمح لنفسه بـ ( البقاء في المقر ) وانه يجب أن يركز اهتمامه على اعمال الركن اكثر من قبل تلك الاعمال التي ستكون لها في النتيجة الاهمية الاولى على ادامة علاقات طيبة مع حلفائنا .

وقد صار رومل و ( كاوزه ) صديقين نوعاً ما إلا أن رومل لم يصبح صميمياً حقاً مع أي كان . واني اذكر كثيراً من المحادثات الممتعة التي اطلعت عليها خلال سفراتنا المملة بين مقرنا والايطاليين .

فقد سأل ( كاوزه ) رومل ذات يوماً قائلاً « كيف اتصلت ياسيدى القائد بهتلر اول مرة » . فارهفت اذنى وارتمى رومل على مقعده متخذاً احدي اوضاعه التفكيرية النادرة ثم قال :

« كنت في الواقع ملحقاً بمقر هتلر عندما لاحظني لأول مرة وكان قد مضى على وجودي مع اركانها مدة لا يستهان بها كمقدم بسيط ليس الا . وكنت في الحقيقة اشغل منصبا صغيراً - يشابه منصب ( آمر معكسر ) لاحدى معسكرات المقرات هنا في افريقيا . وذلك يعنى اننى كنت مسئولاً عن النقلية وتدابير الأمن وغير ذلك من الواجبات التنظيمية المعقدة . »

« ثم حدث في احدى المناسبات المزعجة - في يوم من أيام الحرب - ان استلمت امراً من هتلر بأنه يرغب ان يغادر مقره في اليوم التالي بدون ان ترافقه اكثر من ست سيارات وانه يجب على ان لا اسمح مطلقاً لأكثر من هذا العدد لترافقه ، وفي اليوم الثاني عندما كان الزعيم على وشك ان يتحرك شاهدت الساحة التى امام المقر ملاءى بالسيارات التى تحمل الوزراء والقواد وحكام المناطق والشخصيات العليا الاخرى - على اننى كنت قد تهيأت الى حالة كهذه . »

« وعندما تحرك الرتل اذنت للسيارات الخمسة التى تبتعت سيارة هتلر بالمرور ثم وقفت امام السيارة السادسة ، فوقفت طبعاً وأخبرت راكبها بأوامر هتلر . فصرخ الراكب في وجهي - وكان وزيراً او ما يشابه ذلك - وجأر على ( وقاحة ) مقدم بسيط يحاول ان يمنع ادارياً خطيراً عن اداء مهمته التى تستند اليها مسئولية انجاز الواجبات في حاشية الزعيم بكفاءة . » انها لوقاحة والله ! «

« وقبل ان اسمح له بالذهاب اوضحت له بهدوء قائلاً « اننى لا استطيع ان امنعك من الذهاب ولكنك ستتعطل في تقاطعات الشوارع الثلاثة التالية بواسطة ذبابتين » فاكفهر وجه الرجل غضباً وزجر بي قائلاً : « يا لها من وقاحة لعينة ! سأقدم تقريراً بهذا الامر الى الزعيم يا حضرة المقدم . »



و كنت قد وضعت دبابتين احدهما في اليمين والاخرى في اليسار في كل من الشوارع الضيقة الثلاثة التي كانت تتقاطع في الامام وأمرتها بأن تسمح بمرور السيارات الست من رتل هتلر ثم تتقدم وجهاً لوجه عبر الشارع لتسده امام أية سيارة تمر .

« ولاشك ان هتلر سمع بذلك من الشخصيات الكبيرة الغاضبة الذين وجدوا الدبابتين تعيقانهم على الطريق مرة بعد اخرى حتى ملوا من ذلك ، إلا انه بدلا من ان يوبخني استدعاني في ذلك المساء ليحرب لي عن تقديره إذ لم يكن يتوقع ان تنفذ أوامره بدقة تامة وان يكون حراً في التنقل كما شاء من دون أية مثقلات . وبعد هذه المقابلة الشخصية صرت أدعى اكثر من قبل الى حفلاته وكان يحدثني حول كتابي عن الحرب العالمية الاولى ( المشاة في الهجوم ) الذي قرأه بدقة . وصرت بعد ذلك أبدو شخصاً لامعاً في نظره . »

« وعندما نشبت الحرب سألتني هتلر عن القيادة التي أرغب ان أتولاها ، فرجوته بدون تردد ان يولياني قيادة فرقة مدرعة . وقد كان هذا طلباً مفرطاً من جانبي لأنني لم اكن انتسب الى صنف القطعات المدرعة وكان هناك كثير من القواد الذين كانوا أحق مني بكثير في نيل قيادة كهذه . ولكن بالرغم من ذلك حصلت على قيادة الفرقة المدرعة السابعة كما تعلم . وربما تعلم أيضاً ان هذا التعيين لم يرق في أعين السادة في قيادة الجيش العليا . »

وأصغى ( كاوزه ) الى الحكاية بامعان ثم أبدى ملحوظات مؤدبة وقال : « ان هذا ممتع يا سيدي القارئ ، ولكن ألم تكن يوماً كضابط ارتباط لشباب هتلر . »

« نعم ان هذا هو الواقع الى حد ما » أجاب رومل . ثم تحدث من

دون تفصيل خاص عن أعماله في أكاديمية ( بوتسدام ) العسكرية في تدريب حركة شباب هتلر قبل التحاقهم بالجندية . غير انني استنتجت ان آراءه حول تدريب الشبيبة الالمانية لا تتفق مع آراء ( بالدور فون شيراخ ) الذي كان هذا التدريب من اختصاصه . فقد وجد رومل ان ( شيراخ ) متجبر عديم اللباقة وسماء بصراحة ( دومه يونكه ) أي ( الولد الغبي ) .

ثم أبدى رومل الملاحظة التالية بشيء من الاشتياق وهو متكى، بظهره على مقعده في السيارة « أظن ان اسعد فترة في حياتي — وفي حياة زوجتي أيضا — هي عندما كنت أمراً للأكاديمية العسكرية في ( وينر فويشتاد ) (١) — واما الآن فماذا نحن فاعلون ؟ ان حصولنا على قيادة أمر حسن ، ولدينا فرصة عظيمة هنا ، ويجب أن لا ننسى اننا معشر المحترفين قد دربنا لأجل الحرب . فماذا يجب علينا ان نفعل ؟ ان جواب ذلك سهل . يجب ان نتغلب على الانكليز . انهم خصوم من عيارنا وهم يدعون بأنهم لم يتدربوا للحرب — وفي الواقع ان ذلك صحيح . إلا أنهم رجال يجيدون فن الحرب او ( لعبة الحرب ) . وان واجبنا لواضح ، فعلى كل فرد في الصحراء ان يدرك هذه الحقيقة البسيطة وهي: اننا جئنا الى هنا لنكسب فلا يجب ان يكون ثمة شك في غرضنا هذا وان الواجب الملقى على عاتقنا كجنود هو ( القتال في الصحراء ) . وتكلم ( كاوزه ) عن سيرته العسكرية الخاصة . وقد شعرت بلذة عظيمة عندما سمعته يتحدث عن عمله كأحد ضباط الاركان الذين عهد اليهم وضع خطة ( حركة سبيع البحر ) (٢) — أي غزو انكلترا عام

(١) بلدة تقع على بعد ٤٠ ميلا تقريبا من فيينا

Operation Sea Lion (٢)



١٩٤٠ . وقد قال ( كاوزه ) انني شخصيا لم أؤيد احتمال نجاح هذه الحركة الموضوعية ، ثم أضاف مخاطبا رومل وإيبي « ان عدد اطنان حمولة السفن المتبسرة اولا كان غير كاف مطلقاً . ثم انه اتضح بعد الممارك الجوية التي جرت فوق انكلترة انه لا يمكن الاعتماد على الحماية الجوية بالرغم من تفائل ( غورنك ) . وقد أبدت البحرية الألمانية مشروع الغزو تأييداً تاماً إلا انها شددت على ان البحرية البريطانية الجبارة ستناضل حتى الملاح الاخير وان هذا النضال غير المتكافي سيؤدي حتما الى تحطيم البحرية الألمانية تحطياً تاماً ، واذن فهذا دليل اوضح على احتمال فشل هذه الحركة » .

وانني اذكر اننا عندما وصلنا الى ( بيداليتوريا ) في آخر هذا النهار كان علينا ان نحضر مؤتمر مع رئيس أركان الجيش الايطالي الفريق ( كافالير ) . ثم اقيمت حفلة العشاء الوحيدة التي حضرها رومل والتي جلس فيها ممثلو كلتا دولتي المحور بصورة رسمية . واني كلاًزمت لا يعتقد به ، لم اشترك في الحديث الا قليلاً إلا انني أتذكر شدة ما حصل لدي من انطباع لمنحي امتيازاً عظيماً لقضاء المساء صحبة رجال مشهورين كهؤلاء واشتركي معهم في تناول طعام غير معتاد ، وكان هذا الطعام جيداً بالطبع .





## الباب الخامس عشر

### رومل بطار و غزال

كان رومل صياداً . ولما ازدادت اوقات فراغه وجد متسعاً من الوقت لينهمك في رياضته المحبوبة . وانني اعلم انه يفضل ، ولا ريب ان يكون في الامام مع القطعات التي تضع خطط الصيد للعبة اكبر . ولكنه اضطر لأن يكون ( ولداً عاقلاً ) خلال هذه الفترة المستقرة على الاقل . وكان يقضي أيام راحته في صيد الغزال . وقد اعتاد ان يقول لي :

« انني اتنى الحصول على اجازة في اوربا لتسنيح لي الفرصة للصيد مع ( منفرد ) » ( وكان شديد التعلق بابنه ( منفرد ) الذي كان في الثانية عشر من عمره وقتئذ ) . وكان ينذر ان يذكر عائلته او حياته الخاصة ، بل كان في الواقع كتموما حول شؤونه الشخصية مهما كان نوعها . وقد ظل يناديني بكلمة ( ملازم ) الرسمية عدة شهور ، وبعد ان قرر انني اكثر من عضو اضافي ضروري له ، صار يدعوني باسمي ويحمل نفسه عنه معرفة عمري ، وهل أنا متزوج أم لا ، وفيما اذا كنت سعيداً ، بل وصرت في نظرها اكثر من مخلوق يرتدي البذلة العسكرية ويلبي الأوامر . وفي الواقع كاد أن يكون غريباً ان اجد هذا القائد المهم بعد معرفة طويلة انسانياً حقاً .

وقرر رومل بسرعة ان ( بييدا ليتوريا ) بعيدة الى الخلف كثيراً ، فأسسنا مقر الجحفل المدرع جنوب ( الغزالة ) ، وكانت الاراضي في هذه

المنطقة قفراء على العموم ومشهورة بكثرة الغزلان فيها كما يستدل من اسمها .

وانني اذكرك يوما سقنا فيه بسيارتين بعيداً في الصحراء بقصد الترويح عن النفس ، وكان لرومل بندقية خدمة وسلاح يشبه غدارة (تومي) كانت قد اهدته له وحدة ايطالية . ومع ان اسلحته لم تكن ممتازة فقد كان الصيد الذي قمنا به منظماً كحركة عسكرية واعدت الخطط السوقية والتعبوية لقطع الطريق بوجه الفريسة من الخلف .

وكان في المقعد الخلفي لسيارتي رئيس ايطالي قام بدور ( رئيس الصيد ) لأنه كان يعرف هذه الاراضي منذ سنوات طويلة . فقادنا من دون تردد الى منطقة الغزلان . فشهدنا قطعاً منها فتبعناه ، واندفعت سيارتنا وراء ذكورها . لكن هذه الحيوانات المذعورة هربت بسرعة فاقت سرعة السيارة . فضغط السائقان على دواسة البنزين واستطعنا تدريجياً ان ندرك الغزلان .

ووقفت سيارة رومل بسرعة منزلقة على الرمل الخشن المزوج بالصخور فاطلق رصاصة وهو واقف . فلم يصب ورأينا انفجار الاطلاق في الرمل بالرغم من الغبار المتصاعد من الغزلان النافرة . واستمرت الطريدة في ركضها واستمر رومل يركض ورائها .

على ان سيارتي لم تقف خلال ذلك بل استمرت تعقب الغزلان عن كثب . وحاولنا ان نعترضها من الامام - وليكون بعد ثوان كانت سيارة القائد قريبة منا . وعندما وصلت الى مرتفع صحت بسائقي « قف » ! فوقف بغتة وقفة كادت ترميني على زجاجة السيارة الامامية ومن خلال الغبار رميت اطلاقاً سريعة على أحد الغزلان . ومرت سيارة رومل بنا وهي تطارد بسرعة .

وهكذا استمر الصيد روحاً من الزمن - ولم امتلك نفسي من ابداء  
الاسف على طريدتنا . انها استخدمت اساليب تعبوية ناجحة جداً .  
فبعد كل اطلاق كان القطيع ينقسم الى جماعتين - فتذهب احدهما شمالاً  
والاخرى يمينا . وكنا دوماً نتبع الجماعة الكبرى ، وكانت هذه تتألف  
في النهاية من ثلاثة غزلان . والظاهر ان اسان حالها كان يقول : « انكم  
قد تتمكنون من تدميرنا على انفراد ، ولكنكم لن تستطيعوا ان تدمروا  
غير هذا القسم منا . وها قد خدعناكم بمظاهرات متتالية لنفسكم  
مقصدكم الرئيسي » .

ولكن هل حرم الصيادون حقاً من طريدتهم ؟ . ان الخطة في ساحة  
المعركة هذه لم تهدف تحطيم الجميع بل كان هدفها اثبات التفوق التعبوي  
للانسان ليس إلا - ولا شك ان القطيع نجح سوقياً من هذه الوجهة  
اما من الناحية التعبوية فلا بد من وجود خاسر في هذه المعركة .

واندهشت من قابلية تحمل الغزلان الثلاثة التي ما فتئت تجذبنا الى  
الامام . ولقد انخرفت بشدة الى اليمين فاستطاعت ان تكسب بعض  
الارض حتى لكأنك تظن انها دبرت هذه المناورة بترو مستفيدة من  
الخارطة ، اذ ان الارض في اليمين صارت صخرية كلما اتسعت . واراها  
ان رومل دمدم في نفسه حينئذ قائلاً :

« اجذب دبابات العدو الى الارض التي تختارها واطعمها هناك » .  
فقد كانت هذه احدى نظرياته . وكانت الارض ملائمة بحفر الثعالب  
وصارت تزداد وعورة شيئاً فشيئاً فاصبحت لذة المطاردة الجنوبية خطراً  
على الحياة والاعضاء . فماذا يحدث لو ان اكبر قواد المانيا في افريقيا دق  
عنقه في مطاردة لامعنى لها اثر غزال ؟ . غير ان روح الصيد كانت



متغلغلة في رومل . ولذا فقد استمرت المطاردة من دون هوادة . وعلى كل اظن ان اللعبة اصبحت الآن عادلة ، اذ صرنا نجازف بحياتنا كالحيوانات التي ينبغي صيدها على حد سواء .

ثم وقفت السيارة ثانية لرمية اخرى . فاذا بي اكاد انضعض من تأثير اطلاق حارة دوت كالرعد محدثة ألما في اذني اليمنى . فماذا حدث ياترى ؟ ان الضابط الايطالي الجالس خلفي في سيارتي رمى اطلاقاً ونمى في هياجه ان يلاحظ ان قم بندقيته كان على بعد عقدة واحدة عن اذني اليمنى . على انه يظهر ان في وسع الانسان ان يصطاد حتى وان اصيب بالصم .

واستمرت المطاردة . وبدا كأن الفريسة ستنجو . فقد اصبحت الارض اوعر فأوعر . غير ان رومل ازداد عناداً واصراراً واستمر يلح على سائقه ان يضغط على دواسة البنزين وفعلت أنا نفس الشيء .

وهكذا استطعنا بهذه الطريقة الانتحارية ان نلحق بالغزلان مرة اخرى . فرمى رومل بندقيته للرئيس الاول فون ( مالفثن ) ضابط الاستخبارات الجالس في المقعد الخلفي . وتناول غدارته الاوتوماتيكية ورمى بها اطلاقاً فسقط غزال واحد .

فوقفنا — واذا امامنا حيوان جميل ناعم الملمس ملقى على الارض . فشعر معظمنا بشيء من الكآبة عندما رأينا الحياة تفارق هذا المخلوق النشيط الوثاب . وخيم الصمت على الجميع . انني لم اخرج الى الصيد في حياتي قبل هذا فلم اعرف ما ينبغي ان يفعله الانسان بعدئذ . ولكن رومل لم يتردد ، فاخرج سكينه صيد كبيرة وقام بما يجب . فترع احشاء الحيوان بمهارة وقص القرنين ثم وضع الجمثة في السيارة .

وعندما عندنا الى المقر ابدى الطباخ سروره .

ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ فمن جهة الربح حصلنا على صيد سمين  
ومن جهة الخسارة نابضين مكسورين وزجاجة امامية مهشمة واذنا  
طرشاء وضميراً واحداً معذباً . وكنا كلما خرجنا الى الصيد بعد ذلك  
استخدمنا اساليب احسن فكنا نختل للصيد بدلا من مطاردته بالسيارة  
ومع ذلك . . . فقد كنا نحارب . وكان رومل الصياد الاول ولم  
يكن له شغل الا ان يقتل او يقتل . ولا شك ان هذا كان واجبي ايضا .  
فهل كان علي ان اتألق وراء سداة مدفع ضد الدبابات ؟

---

## الباب السادس عشر

### رومل في غارة

### ينقطع في الارض الحرام

لم يكن رومل راضيا عن موقع المقر المتقدم لجحفه المدرع في ( الغزاة ) إذ كان بعيداً عن جنوده كثيراً . ثم ان زيارة الجهة التي كانت لا تستغرق غير ساعات قلائل عندما كنا في ( البردية ) صارت الآن تستنفذ النهار كله ، فكان موقع المقر هذا لا يختلف كثيراً عن ( بيدا ليتوريا ) من وجهة البعد . كما ان بيت مهندس الطريق الذي استفدنا منه كمقر — والذي كنا نسميه ( بيت الطريق ) قصفته الطائرات البريطانية مراراً عديدة في الآونة الاخيرة . وكانت تأتي لهذا الغرض في الساعات المبكرة من الصباح فخامرنا شك في ان البريطانيين وجدوا مكان ثعلب الصحراء . لذلك عهد الى ضابط ليستطلع المنطقة بين طبرق والبردية بغية ايجاد موقع ملائم لمقر جديد ، فاختار بيت الطريق في ( غامبوط ) . وذهبنا الى الامام لتدقيق موقع المقر الجديد ولزيارة أمير اللواء فون ( رافنشتاين ) قائد الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) . فتمكنا ان نمر من جانب طبرق في نصف المدة التي كنا نستغرقها من قبل لأن طريق ( المحور ) الآن كان قد تم .

وقد نقل فون ( رافنشتاين ) مقره الى منطقة غرب البردية وعلى الشاطئ تقريباً ، وكان يحب الجمال ولذا وضع ( مامونه ) في بقعة



بهيجة بين غابة صغيرة من اشجار النخيل التي كانت على العموم نادرة  
كالنساء في هذا القطر ، مع انها اتخذت رمزاً لفيلق افريقيا . وكان  
المساء قد حل عند وصولنا وكان فون (رافنشتاين) وضباطه على وشك  
ان يجلسوا لتناول طعامهم في السرداق الكبير المجهز تجهيزاً جيداً كطعم  
لهم . وقد اكرموا وفادتنا .

ولاحظت بشي . من الغبطة انه ليس ثمة مطعم في شمال افريقيا  
مجهز تجهيزاً بسيطاً ويدر باعتدال كطعم مقر رومل . ففي مطعم هذه  
الفرقة وجدت كثيراً من اللذائذ ومن ضمنها البيض الطازج والـبـيرة  
الباردة التي لم تكن نحلم بها في مطعمنا مطلقاً ، وبدالي ان الوقت الذي  
تناوات فيه بيضة طازجة كان طويلاً لدرجة اني اكملت بيمضي هذه  
باستمتاع شديد . وعندما انتهيت منها لاحظت ان فون (رافنشتاين)  
يرمش بعينه فقال : هـ .. م طيبة المذاق أليس كذلك يا ( شمت ) ؟  
وكان يعرف بعضنا البعض أو بالأصح يجب ان اقول كنت اعرف  
فون (رافنشتاين) منذ سنة ١٩٣٧ عندما كان يقود في ( ايزرلوهن ) (١)  
الفوج الذي تدربت فيه في وقت السلم كضابط صغير . فرفع فون (رافنشتاين)  
نحوي بسكون عبر المنضدة بيمضته التي لم يمسه ، فاعترضت على اعطائها لي  
إلا انه أصر على ذلك اصراراً ودياً - وهكذا تمتعت بأكل بيضة القائد  
وذهبت بعد الطعام أتمشى قليلاً في تلك الليلة الكثيرة نجومها ، فالتحق بي  
فون (رافنشتاين) ومشينا الى اعلى كئيب من الرمل حيث قال :  
« كثيراً ما أجيء الى هنا في المساء لأتمتع بجمال المحيط وهدوئه » . ثم

---

(١) بلدة في ( ويستفالية ) من مقاطعات المانية

تنفس نفسا عميقا من هواء الصحراء النقي وقال : « ان منظر الكثبان في ضوء القمر المنير يشبه ارضا مغطاة بالثلوج » .

وسكرنا بصمت من هذا المنظر ، وفكرت في تبان طبيعة هذين القائدين اللذين عرفتهما اكثر من غيرها من القواد الباقين في الصحراء . ففون ( رافنشتاين ) محب للجمال ، رقيق ، انساني ، منصف يرى ان في الحياة شعراً . اما رومل فانه عملي الى حد عظيم ، خشن ، لا يبالي بالمشاكل الشخصية للآخرين ، ولا يهتم بالشخصيات الا بقدر تأثيرها في اغراضه العسكرية ، ويرى ان الحياة نثر واضح وبسيط .

وعلى الرغم من الاختلاف الاساسي في سجاياها كان بينهما تفاهم قريب و كانت نظرتهما الى فن الحرب واحدة . وكان هذا واضحا وضوحا تاما في المؤتمر الذي انعقد في اليوم التالي فكان فون ( رافنشتاين ) مرنا واسع الحيلة ، وقد عاجل اصعب القضايا بثقة واطمئنان . ولم يكن يعترف بالهزيمة بل يبحث دوما عن طريقة للتغلب على العقبات . وشعرت عندما كانت المناقشة مستمرة انني ازاء قائد محارب في عيار رومل وكان واضحا ان رومل ينظر اليه نظرة عالية .

وكانا يضعان معا خططا جديدة . فقد علمنا ان البريطانيين اسسوا بعض المراكز الاسلكية الامامية في جبهة السلوم . واشتبهننا ايضا ان لديهم كدس ارزاق مخفي في الصحراء تستفيد منه المدرعات التي كانت تستطلع المنطقة الامامية باستمرار . فقرر القائد ان يقوم فون ( رافنشتاين ) بغارة عنيفة في اواسط ايلول على المنطقة الامامية ، مستخدما جحافل معركة آلية لها قابلية حركة عظيمة وتسندها الدبابات وقليل من مدافع ضد الطائرات .

وقد تقرر ان تجري الغارة من خطوطنا الواقعة جنوب (حلفاية) .  
وجرى التشديد على ضرورة المباغتة ، وعلى وجوب اجراء الحركة  
بسرعة فائقة اذا اريد لها النجاح . وكان على جحفل المعركة ، الذي  
كانت قوته تعادل نصف كتيبة تقريباً ، ان يقوم بالتخريبات ويحاول  
العودة بالاسرى قبل ان يتمكن العدو من أن يستجمع قواه للهجوم  
المقابل . وكان رومل وفون ( رافنشتاين ) فرحين بمؤامرتهم الصغيرة  
كولدين خبيثين . وقد قال رومل لفون ( رافنشتاين ) « اني آت معك » ثم  
اردف يقول « حاول التأكد من شيء واحد وهو ان طائرات الاستطلاع  
البريطانية لا تكتشف اية علامة عن حدوث الحركة قبل اوانها . »  
وفي طريق عودتنا الى ( الغزالة ) وقفنا في ( غامبوط ) نفحص  
بيت الطريق الذي سيصبح مقرنا الجديد للمعركة ، فلم يكن من دواعي  
التشجيع ان نعرف ان الطائرات البريطانية اسقطت عدة وجبات من  
القنابل على هذا البيت قبل ساعات قليلة من وصولنا . فتسائلنا مندهشين  
هل عرف العدو ياترى ان هذا هو مسكن رومل الجديد ؟

٢

لقد راقب غارة ايلول لخيال هيئة اركان رومل ، اذ كانت تبدا  
رحبوا به ، فطلب كثيرون منهم ، خلافا للمعتاد ، السماح لهم بمرافقة القائد .  
وحمل ( الماموث ) ايضاً الجنرال ( كالفني ) وضباط اركان ايطاليين .  
ووصلنا الى منطقة ( كابوزو ) في مساء اليوم السابق للهجوم -  
فاخبر فون ( رافنشتاين ) رومل ان جميع الاستعدادات قد تمت ، الا انه  
اظهر اسفه لحركة بعض الدبابات الى مواضعها في النهار خلافاً لاوامره  
وربما شاهدها الطائرات البريطانية .



وفي فجر اليوم التالي مررنا عبر ثغرة مهيأة في حقول الغامنا واتجهنا نحو الشرق وكان رومل يبدو ، وهو في موقع قيادته ، كأنه قائد غواصة اذ كان يجثم طاليا على حافة مدخل الشمس في سقف ( الماموث ) وكان في حالة مرح غير اعتيادي ، فصاح في صخب غريب : « اننا ذاهبون الى مصر . »

وكان من دواعي سرورنا ان نتقدم الى قسم غير معروف من الصحراء وقد امتلكني شعور ببهجة توقع المغامرة القادمة . وتقدمنا مسرعين مسافة ما حتى اصبحتنا بالقرب من غرب ( بقبق ) غير اننا وجدنا الصهاريج التي كنا نظنها محتلة ، خالية من العدو . ولم نجد اية علامة تدل على كدس التموين السري ، ولم نر غير قليل من علب اللحم الفارغة وبعض قناني البيرة الفارغة ايضا مع الاسف . وقد تلاشت احلامنا بالغنائم — وخاصة الفواكه المعلبة ( والويسكي الاسكتلندي ) — كما يتلاشى السراب في صحراء ( ليبيا ) وشعرت فجأة ان في قد جف . وعادت الينا احدى الارتال السيارة لقوة الغارة وقد استولت على سيارة بريطانية ، واسر السائق ورفيقه . ولما فحصت السيارة وجد انها تحتوي على كمية كبيرة من المواد المكتوبة وتشتمل على عدة نسخ من جفر مهمة . وكنا كلما معنا في دراسة المواد المستولى عليها ظهرت اهميتها اكثر ، وقد ارسلها رومل الى الغرب لتدقق بالتفصيل . وفرح فون ( رافنشتاين ) بهذه الاوراق فقال لرومل ، « يا حضرة القائد ان الاستيلاء على هذه الوثائق وحدها كان كاف لتبرير حملتنا »

فدمدم رومل بالموافقة ، ولكنني لا ادري هل ابد ذلك تأييداً  
تأماً أم لا ؟

وبعد ان وصلت قطعات الغارة الى المكان المقرر لها ، أمرت الدبابات والمشاة الا ليون بتأليف مأوى دفاعي . وبدأ الانكليزيقواومون زيارتنا بأشد اسلوب عدائي ، ففتحووا علينا النار بمدافعهم السيارة عيار ٢٥ رطلا التي كانت اشد مدافعهم تأثيراً والتي كننا نسميها ( راتسخ بوم ) كناية عن صوتها .

ثم أتت القوة الجوية البريطانية — فحات طائراتها فوقنا ورأيت ابواب قنابرها تنفتح فتساقط منها القنابر فوق ( ماموث ) رومل فقفزت الى العجلة المدرعة ألتمس الحماية ولاحظت خلال ذلك ان رومل وسائقه ينطلقان بعيداً عن ( الماموث ) ويمتدان على الارض ، وصفرت القنابر وهي تهوي ثم اصطدمت بالارض فارتطمت شظاياها بجدران ( الماموث ) للفولاذية الصلبة .

وما ان انفجرت الرشقة الاولى حتى قفزت من ( الماموث ) وعدوت نحو رومل . فرأيت السائق مخضباً بالدماء ، وقد جرح جرحاً خطيراً . ورفع رومل الى أعلى فذعرت حين أبصرته يهرج — فسألته :  
« هل أصابك أذى يا سيدي القائد ؟ »

« لا أشعر بأي شيء » قال ذلك وهو ينفض ملابسه .  
ثم اكتشفنا ان شظية شقت الكعب اليسر من حذائه .

وأخذنا السائق الى اقرب سيارة اسعاف ، ثم فحصنا عجلاننا فإذا بشظية قد مزقت اطاراً امامياً للماموث الى عمق كبير ، غير ان الاطار كان من النوع الممتاز فاعتقدنا انه يمكن الاستفادة منه .

وأخبرنا اللاسلكي وقتئذ ان القيادة البريطانية أمرت بهجمات اخرى وقبل ان نتمكن من الحركة حدثت غارة قاصفة اخرى . فأمرت القطعات

بأخذ التشكيل اللازم للعودة الى الحدود ، وبقي رومل مع القسم الاكبر الى ان بدأ بالحركة ، وعندما تحررنا غربا كان الظلام على وشك ان يحيم على الوجود .

وتولى رومل قيادة العجلة و كنت استبدله من حين لآخر ، وكان الظلام دامسا فلم نر مرآى العجلات الاخرى في الرتل ، واتفجر الاطار المعطوب فجأة فتعذر علينا الاستمرار في المسير من دون تبديل هذا الاطار او تصليحه .

« يا لسوء الحظ ! » قلت لنفسي ، إذ كان علي وأنا اصغر جماعة الماموث سنا وأحدثهم رتبة ان أتولى تصليح الاطار المعطوب بنفسي . وبحثنا عن الادوات في الظلام — كانت الرافعة (١) أقصر من اللازم فوضعتنا الحجارة تحت المحور وحفرنا في الرمل بأيدينا — وعندما اقول نحن أعني نفسي وضابطا ايطاليا صغيراً من هيئة اركان ( كالفي ) . ووقف الآخرون حولنا كمنتظرين ومساعدين ، لكنهم كانوا في نفس الوقت — كراقبين ومنتقدين ، هذا وانني لم اصلح اطاراً معطوباً في حياتي فكيف به اذا كان ضخماً كهذا ؟ ولم يتم العمل قبل منتصف الليل وقد أعاننا فيه رومل والسادة الآخرون فزاد ذلك في تعقيدته ، وجلس مخبر اللاسلكي ملازماً لجهازه فأخبرنا ان البريطانيين يتعقبون آثار الارتال الالمانية المنسحبة . وكنا نميز اشارات النداء لمدرعات العدو على مقربة منا ، واذا حاولنا ارسال اشارة لاسلكية اطلب المعونة فان في ذلك هلاكنا . وكانت قطعاننا قد ابتعدت كثيراً في طريقها الى



خطوطنا ولم يشك احد في اننا تعطلنا ، فبقينا وحدنا في الصحراء وعلى مسافة بعيدة ، وان ارسلنا رسالة لاسلكية فلا يفيدنا ذلك قط بل يدل الانكليز على محلنا وسرطان ما ينقضون علينا .

واشتغلنا في تركيب الدولاب بكد والعرق يلصيب منا . وكان رومل يضيء لنا بمصباح جيب ملون ، ونظرت في ساعتي فاذا لطلوع الشمس ساعتان . فيالنا من صيد سمين ( لويفل ) في ذلك الوقت !

وأخيراً استطعنا تثبيت الدولاب — وقفزنا في ( الماموث ) فتولى رومل السياقة . وساق هذه العجلة الضخمة بسرعة جنونية . وعندما انبثق النهار وصلنا الى اسلاك الحدود . فوجد رومل ثغرة في حقول الالغام واندفع خلالها ، وذهلت جماعة من المهندسين لمراى عجلة منفردة تظهر بهذه السرعة الهائلة من الارض الحرام .



## الباب السابع عشر

### ( كيز ) يفتش عبثاً عن رومل

انتهى ايلول وجاء تشرين الاول ولا زالت الخطط الفعالة مستمرة للهجوم على قلعة طبرق في اواخر تشرين الثاني . وكانت القطعات التي ستقوم بالصولة لانتزال في دور اعادة التشكيل والراحة ومشغولة في تدريب منظم على واجباتها الخاصة . وقد تقرر ان يجري الهجوم في هذه المرة من اتجاه ( الدودة ) وكان على هندسة الصولة ان تقوم بالخرق الأول بالتعاون القريب مع الدبابات . كما كان واجب القوة الجوية الالمانية ان تشترك بعد شن الهجوم الارضي . وكان في النية القيام بهجوم كاذب على الدفاعات الغربية لخدع العدو وجعله يحشد احتياطه السيار وقوات الهجوم المقابل في هذا القاطع . وحال اكمال خرق الدفاعات كان على كتيبة المشاة الـ ( ١١٥ ) ان تتدفق خلال الثغرة في عجلاتها المدرعة المكشوفة وتندفع بالتعاون مع الدبابات نحو نقطة ( كنكس كروس ) ( ١ ) ، التي تلتقي فيها طرق طبرق والبردية والعدم . ومن هذه النقطة كان الهدف الثاني للفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) ميناء طبرق . وتبقى كل فصيل وصايا مفصلة عن واجباته كما ان خطة تعاون

---

( ١ ) - " King's Cross " لقد اعتاد البريطانيون تسمية بعض الامكان

غير المعروفة اسمائها باصماء الاماكن الشهيرة في لندن ومن بينها هذا الاسم .  
( العرب )

الفصائل وضعت بدقة الى اصغر نقطة . وجهزت التصاوير الجوية الى اصغر المجموعات ( حتى الحضاير المؤلفة من ستة جنود ) ليتسنى لكل جندي بذلك ان يحصل على صورة واضحة عن منطقة المعركة التي كان فيها هدفه . وجرى تدريب القطعات بدقة وانتظام على اسلوب افتتاح المنعات وعلى فن الهجوم على منظومات الخنادق المختلفة .

وقد تعرضت الاستحضارات من جراء تفشي امراض اليرقان والزحار والاسقربوط . وقد انقصت هذه الامراض عشر القوة المحاربة لبعض التشكيلات . وكان مقرنا قرب مطار ( غامبوط ) وكان مقر جحفل المقاتلات للقوة الجوية الالمانية مؤسساً هناك . وكان ضباطه قد قلبوا بئراً قديمة تحت الارض الى مطعم لهم . وكان الصهرريج القديم مريحاً لاثوثر فيه القنابر ومجهزاً تجهيزاً كاملاً بغرفة راحة ومحل للبار نقل اليه من إحدى ابنية العدم . وعندما تناولت عشاءي هناك كضيف اكرموني كملك بالمشروبات المثالجة والفواكه الطرية والسكري . وادعى ضباط القوة انهم يجلبون هذه المواد من اليونان بالطائرات وكانت كالياتهم هذه بعكس مافي مطعم رومل من اكل هزيل .

وبدل القائد البريطاني العام فذهب ( ويفل ) ليتولي القيادة العامة في الهند وحل محله الفريق السير ( كلود اوكنلك ) كقائد عام في الشرق الاوسط .

واخبر الطيارون عن امتداد سكة الصحراء بين الاسكندرية ( ومرسي مطروح ) غرباً نحو منطقة ( سيدي براني ) . وايد ( بهرنت ) معاون رئيس شعبة ( ا ج ) لرومل أن هذا يدل على تعرض مقبل . وقد تراهنت مع الدكتور ( هايمان ) على ان العدو سيهجم قبل نهاية السنة .



وظهر أن مانتبات به صحيح بالطبع اذ قام الجيش الثامن بـ « حركة كروسيدر (١) » بعد ثلاثة أيام من يوم ميلاد رومل (٢) وقبل خمسة أيام من الموعد المقرر للتعرض على (طبرق) وذلك تحت قيادة الفريق السير (الكننكهام) وهو الذي طرد حلفاءنا الطليان من الحبشة .

٢

ونزلت جماعة من المغاوير (٣) الانكليز بقيادة المقدم (جيفري كيز) ابن الاميرال الشهير ، من غواصة على ساحل (برقة) بمحاولة جريئة لقتل رومل او القبض عليه قبيل التعرض . وقد كانت هذه المخاطرة كلها خائبة ومبينة على معلومات خاطئة . فقد ارسل المقدم (كيز) والمقدم (ليكوك) وخمسة ضباط آخرين ونحو (٥٠) من المراتب الاخرى الى منطقة (برقة) في غواصتين . فنزل (كيز) وجميع رجاله (ما عدا اثنين اصيبا بأذى) على الساحل من احدى الغواصتين ، اما (ليكوك) فلم يتمكن من ان ينزل غير سبعة من رجاله من الغواصة الاخرى . ولاقى (كيز) وضابطان و (٢٥) من المراتب ضابط استخبارات بريطانيا متكرراً بزي العرب فأخبرهم ان مقر رومل كان في (بيدا ليتوريا) وكان عليهم ان يقطعوا مسافة ١٨ ميلاً سيراً على الاقدام ليصلوا الى هناك فقادهم الاعراب في ليلة ممطرة في القسم الاول من الطريق ثم تابعوا المسير وحدهم . وفي مساء اليوم التالي اخفوا معداتهم الزائدة وطعامهم

(١) (Crusader) وقد بدأت في ١٨ تشرين الثاني .

(٢) ولد رومل في ١٥ تشرين الثاني ١٨٩١ في (هابدنهايم) قرب اولم في (وورتمبرغ) .

(٣) المغاوير م (الكوماندو) .

فلاقوا جماعة من الاعراب الموالين لهم ، فأخبروهم ان مقر رومل ايس فيه  
( بيدا ليتوريا ) بل في بيت في ( سيدي رفاعه ) . فبدل ( كيز ) على أثر  
ذلك خططه .

وفي اليوم الثاني ارشدهم الاعراب الى البيت المقصود فأغاروا عليه  
في الدقيقة الواحدة بعد منتصف الليل ، فقتلوا حارساً في الباب الخارجي  
ورموا قنبرة بين الرجال الذين كانوا في الفرقة الاولى وعلى أثر ذلك  
اطفاً الالمان النور في الغرفة الثانية ، وفتح ( كيز ) بجرأة باب هذه الغرفة  
على مصراعيه وهو ينوي الهجوم على من فيها ، غير انه جوبه بحزمة من  
فيران المسدسات فسقط مضرباً بدمائه . ورمي ضابط آخر مع ( كيز )  
قنبرتين في الغرفة نفسها فانفجرتا حالما اغلق الباب . ثم سحب ( كيز )  
الضابطان اللذان كانا يرافقانه لكنه مات بعد ذلك بقليل .

وعند انسحابهم اصابت اطلاقه رجل الضابط الذي كان مع ( كيز )  
فكسرتها فلم يتمكن رفاقه من أخذه معهم فوقع اسيراً . وقد قتل اربعة  
ضباط المان من قسم التموين — وكان هؤلاء هيئة اركان المقدم  
( او تو ) رئيس شعبة ( ١ ب ) . وقد دفنوا في ( سيدي رفاعه ) مع  
( كيز ) الذي منحه البريطانيون بعد وفاته ( وسام فيكتوريا ) .

ولا شك ان ما قام به البريطانيون كان عملاً باهراً وجريئاً . ومما  
يؤسف له من وجهة نظرهم انهم ضلوا بشكل سيء ، ولم يكن رومل في  
ذلك الوقت حتى في افريقيا — بل كان في حفلة عيد ميلاده التي اقيمت  
على شرفه في روما وحضرته زوجته ، كما حضره فون رافنشتاين (١) .

(١) وقد قال في ( فون رافنشتاين ) بعد انتهاء الحرب انهم ذهبوا الى  
( الادبرا ) في مساء ذلك اليوم وبعد الاستماع الى غناء رائع قصدوا غرفة للتدخين ،  
فالتفت اليه رومل وباحته ، ولكن ايس في موضوع الادبرا بل فيما كان يرد  
في مخيلته على ما يظهر فقال : فون رافنشتاين — ينبغي لنا ان ننقل تلك الافواج  
التي في قاطع ( ميداوا ) . .

وان البناية التي هاجمها المغاوير لم تكن مقرّاً لرومل قط بل كان مقره  
وقتشد في ( غامبوط ) على بعد نحو ( ٢٠٠ ) ميل

وفي الواقع كان البيت الذي أغار عليه ( كيز ) في ( سيدي رفاعه )  
هو الذي تعشيت فيه مع رومل و ( كوزه ) و ( كافاليرو ) وغيرهم من  
الضباط الذين هم ارفع مني رتبة وذلك عندما زار رومل « بومباستيكو »  
في برقة لأول مرة ، وعلم على أثر هذه الزيارة عن تكوين ( جحفل  
افريقيا المدبرع ) .

وقد اتجهت النية في الحقيقة للاستفادة من هذا البيت كملجأ خاص  
لرومل ليتمكن ان يبتعد فيه من حين لآخر عن مشاكل الحرب وحتى  
عن هيئة اركانها . ويجب ان لا ننسى ان داء اليرقان كان يلققه خلال  
جولاته في افريقيا فكان مريضاً في معظم الاحيان لشدة فعاليته ونشاطه  
في الجهة .

وقد بات رومل فعلاً في بيت ( سيدي رفاعه ) مرة او مرتين إلا  
ان الاستخبارات البريطانية اخطأت خطأ كبيراً في ظنّها انه يحتمل ان  
يكون هناك في معظم الليالي ولا سيما في ذلك الوقت الذي جرت فيه القارة .



## الباب الثامن عشر

### كروسيدير

جاءت حركة ( كروسيدير ) كباغثة لنا . وقد اخبر الاستطلاع الجوي بأن كتلا كبيرة من القطعات تتحرك في الصحراء العميقة جنوب ( مطروح ) . غير اننا لم نكن نتوقع ان يزحف جميع الفيلق البريطاني ال ( ٣٠ ) ( ١ ) المحتوي على الدبابات وفرقة جنوب افريقيا التي يقودها امير اللواء ( بينار ) عبر الاسلاك جنوب ( فورت مادالينا ) ثم يتجه نحو نيسم العبد متجها نحو بر ( غوبي ) ومستهدفا ( العدم ) وقد اتجهت القطعات الهندية نحو ( العمرين ) ( ٢ ) الواقعين على الحدود ، وحاصر الفيلق البريطاني ال ( ١٣ ) ( ٣ ) مع النيوزيلنديين ودبابات الجيش ( السلوم ) والبردية الى حدما ثم استمر تقدم النيوزيلنديين على محوري ( نيسم كابوزه ) و ( فيا باليا ) وعبر الارض الواقعة بينهما متجهين نحو ( غامبوط ) ومهددين مقر رومل الذي كنا جعلناه سياراً عندما شعرنا بقوة التعرض . فأرسل رومل فرقة ( بولونا ) ال ( ٢٥ ) من نطاق ( طبرق ) الشرقي الى الجهة لمجابهة اندفاع النيوزيلنديين قرب ( غامبوط ) وكان القتال بعد هذا مرتبكاً الى حد بعيد وكان غرض الطرفين تحطيم دروع الخصم .

---

( ١ ) الذي كان يقوده الفريق ( وبلوبي نوري )

( ٢ ) وهما ( عمر نوفر ) و ( عمر ليبيا ) وقد استولى عليهما اللواء الهندي

السابع من الفوج الاول ( رويال ساكس ) وفوج ٤ - ١٦ ( بنجاب ) وفوج

٤ - ١١ ( سيك ) .

( ٣ ) الذي كان يقوده الفريق ( كودين اوسين )

وكان هجومنا على طبرق مقرراً في ٢٣ تشرين الثاني غير انه كان من البديهي ان يعتبر الآن ملغياً . على ان رومل صرح بأن هذا التطور ربما كان لحسن حظنا . فاذا امكن مجابهة تعرض الجيش الثامن على ارض منبسطة والقضاء على تأثيره فان الفرصة ستسبح اكثر للاستيلاء على طبرق بدون خوف الهجوم من الشرق . وقال رومل انه قد يكون من صالحه مجابهة تعرض ( كما نكهام ) الآن وتشكيلاته نشيطة ومرتاحة بدلا من ان يجابهه بعد الهجوم على طبرق حيث يحتمل ان تصبح تشكيلاته ضعيفة ومنهكة القوى .

وعلى كل حال فان خططنا تغيرت من أساسها وتغير معها طريق حياتي .

## ٢

وعندما اوشك الهجوم على طبرق ان يبدأ اقتضى جمع كافة انواع المواد والقطعات البعيدة او المفترزة في الاماكن الزائدة ليتسنى بذلك ايصال السرايا والافواج والكتائب وحتى الفرق الى قوتها المؤثرة . وكانت بعض الوحدات ناقصة العجلات في حين ان غيرها كان ينقصها الوقود والزيوت والعتاد ، كما كان معظمها يعاني نقصا في الجنود والضباط .

وقد طلب الي ذات يوم ان اضع بين يدي رومل تقريراً عن الفرق المدرعة الـ ( ١٥ ) فلاحظت منه ان نقص هذا التشكيل يكاد يعادل ٥٠ بالمائة من ملاكه الاصلي ، وذلك من جراء الخسائر والمرض . فقررت قراراً كنت افكر فيه منذ مدة طويلة . وفي الاشهر الماضية كان يعاودني حنين الى القيادة من حين لآخر . فتذكرت الايام المسرة في



سنة ١٩٤٠ عندما كنت كامر سرية - بين ضباط وجنود في سني -  
فكنت اشاركهم المزاح والضحك كما كنت اشاركهم المصاعب والقتال .  
و كنت مستقلا وسيداً لنفسي على وجه التقريب . اما الآن فاننا مرافق  
رومل ، و كنت اعرف بالطبع ان كثيرين من الضباط يحسدون  
مر كزى واتصاله القريب برومل . ولكن هل كنت في الواقع محظوظا  
الى هذا الحد ؟ . لاشك ان وجودي الى جانب قائد لامع كان ميزة  
كبيرة لي ، اذ كنت اراه وهو يضع خطط حركاته ، و ارقب تطبيق  
هذه الخطط وانطباعات القائد في المعركة . غير ان لمعظم الضباط فكرة  
خاطئة عن طبيعة واجبي الذي لم يكن سهلا على الاطلاق .

اذ كان علي ان ارتب امور القائد من مطلع النهار حتى مغيب  
الشمس وان اضع خطط فعاليتيه مقدما ، و كان علي ان اكون خلال  
ساعات اليقظة كلها في حالة انتظار مستمر وتيقظ تام . كما كان علي  
أن ألاحظ كل كلمة يقولها وان افهم فحواها وان ادون بدقة في مفكرته  
الشخصية تفاصيل اوامره كلها ، وتعليقاته ، وملحوظاته ، مع بيان  
الاقوات بالضبط والاماكن والاشخاص . و كان يجب ان استخرج  
كل أمر شفوي اصدره في الجهة من المفكرة وان ابلغه بدقة الى ضابط  
الركن المختص . وعند السياقة كنت مسؤولا عن معرفة اسم المحل الذي  
نمر فيه في أية لحظة ، و كان المنتظر ان أقود القائد من دون تردد  
الى أية نقطة صغيرة في الصحراء . و كان مما يرهقني الشعور المستمر  
بمسؤولية سلامة شخصه ، واتخاذ التدابير بوجه خاص لحمايته ضد احتمال  
الهجوم الجوي المفاجيء . من قبل الطائرات التي تطير بارتفاع واطي .  
واذا ما انتهت الواجبات في النهار كان علي ان استمر على العمل بلا



لأجيب على الرسائل الكثيرة التي كان معظمها شخصيا او شبه شخصي .  
والخلاصة لم تكن حياتي ملكا لي بل كان علي ان اكون ظلالا للقائد  
لبس إلا . على ان الذي ألجأني الى قرارى لم يكن طبيعة واجباتى المرهقة  
بل رغبتى المحضة لأن اخالط شبانا في سنى ولأشار بهم في السراء والضراء .  
وشعرت بقوة انى افضل ثانية ان احس بشيء من الحرية الشخصية  
والاستقلال حتى ولو ادى ذلك الى ان اتولى منصبا اقل شأنًا . ويجب  
ان لا يعزب عن البال انى لم اطمح بالاحتراف في الجيش .

ان هذه الافكار كانت تتسابق في ذهني عندما وجدت نفسي اطوي ،  
واطوي ثانية ، تقرير الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) بدون شعوري . فعدلت  
الطيات التي عملتها في الورقة واخذت نفسا عميقا وطرقت الباب ثم دخلت  
الغرفة . كان القائد يجيب نداءا تلفونيا بعبارة النشيطه المعهودة « رومل  
هنا » ، وكانت المحادثة طويلة ومهمة على ما يظهر . وقد استفدت من  
هذا التأخير فرصة تمكنت خلالها من تنظيم كلماتي . وعندما انتهت  
المكالمة التلفونية وضعت التقرير على منضدة رومل . فأخذته وقرأه  
بهدهوء . ثم هز رأسه وتناول قلما وكتب عليه ( ٢ آ - تكلم ) واعاد  
التقرير لي مع كلمة واحدة « لا يمكن تصديقه » فأحبته « اجل ياسيدي  
القائد » وكان الوقت قد حان لأن اقول ما اريد . فسألني القائد وهو  
يتفرس في :

« أديك شيء آخر يا شمت ؟ »

« أجل ياسيدي القائد . انسمحون لي بأن ارجو باحترام نقلى الى

وحدة مقاتلة ؟ »

ورفرت عينا رومل برهة من الزمن ثم نظر الى عيني بشدة . وفي

هذه اللحظة الحرجة دارت في رأسي الفكرة التالية : هل هو يفكر في ان هذا الطلب لم يكن سيحدث لو بقي معه ( الدنجر ) المخلص الذي لازمه منذ الحرب العالمية الاولى والذي كان على فراش المرض في المانيا ؟ وهل يظن اني قليل الشعور بااواجب ؟

وسألني رومل باسلوب شبه مزاحي وهو لا يزال يحدق بي : « هل تعبت من العمل لي يا شمت ؟ » . فأجبت به بسرعة وأنا غير صادق تماما : « لا ، ياسيدي القائد . ولكني كضابط صغير ارغب ان اكون مع القطعات . » فأجابني رومل جوابا غير متوقع قائلا :

« انك على حق يا شمت ولو كنت ملازما لعملت مثلك تماما » ثم اردف قائلا وفي عينيه بريق غير اعتيادي « ان حياة ضابط الركن لاتروق لي ايضا . ثم لالك جانب شفتيه وقال لاشك انه يوجد نقص في الضباط اللائقين للعمل في الصحراء .. حسنا . »

واضاف جملة قصيرة اخرى الى تقرير الفرقة المدرعة الـ (١٥) وقال : « اذهب وواجه رئيس الاركان بشأن خلفك . »

وكان علي ان ادرب خلتي ليستلم مني . وقد سمح لي ايضا بأن اختار الفرقة التي سألتحق بها بمنصب آمر سرية . فوق اختياري على سرية ثقيلة من كتيبة المشاة الـ ( ١١٥ ) من الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) ، وكانت هذه السرية مؤلفة من مدافع ( ٥٠ ) ملم ضد الدبابات ومدفع ( ١٥٠ ) ملم وفصيل مشاة وفصيل هاون وفصيل من هندسة الصولة . وكان خلتي الملازم الاول ( كراف فون شوينبورغ ) وهو شاب خبير الحرب وكانت ذراعه الأيسر مقطوعة حسبما اتذكر . فشعرت نحوه

بالمودة حالا . على اننى سمعت فيما بعد انه لم يبق مع رومل غير اشهر ثلاثة ولم اعلم ما حل به بعدئذ .

٣

وذهبت حالا لألتحق بالفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) التى وعدت بقيادة سرية ثقيلة فيها . وكانت هذه الفرقة وقتئذ على الساحل شرق طبرق ، وكانت الامطار الشديدة قد هطلت في الليلة الماضية في المنطقة القريبة من الساحل الا انها لم تصل الى الجنوب . ولا بد ان الذين كانوا في الجانب البريطانى يتذكرون كيف ان الرمل انقلب الى طين فعزل حركاتهم في اليوم الاول من حركة ( كروسيدر ) .

وكانت منطقة فرقى قد انقلبت الى بحيرة من الوحل عمقها نحو قدم ، ففضى افرادها النهار كله في تخليص انفسهم من المستنقع .

وتحشدت الفرقة جنوب ( غامبوت ) تحت قيادة امير اللواء ( نويمان سيلكو ) . وكانت تطير فوقنا مئات من الطائرات البريطانية الا انها لم تتعرض لنا مطلقا . فبقينا في حيرة من ذلك ، وكانت طائراتنا في الوقت نفسه ، قد عجزت عن الطيران تقريبا من جراء المياه التى غمرت اراضي النزول .

ونظرت في خريطة الموقف فقررت ان موقف رومل مرضي نوعا ما . فقد جرى سحب الفرقتين المدرعتين الـ ( ١٥ ) والـ ( ٢١ ) والفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) قبل مدة من الزمن استعدادا للهجوم المقرر على ( طبرق ) في ٣٣ تشرين الثانى . وكان يحتمل خطوط طبرق الفيلىق



الايطالي ال (٢١) المعزز ببعض افواج المشاة الالمانية . وكانت الفرق ال (٢٧) ( بريسيا ) وال (١٧) ( بافيا ) وال (١٠٢) ( ترينتو ) وال (٢٥) ( بولونا ) موزعة حول نطاق القلعة من الغرب الى الشرق . وكانت الفرقة الايطالية ال (١٠١) ( تريست ) في ( بر حكيم ) والفرقة المدرعة ال (١٣٢) ( ارييت ) ( بر غوبي ) وفرقة المشاة ( سافونا ) في ( العمرين ) . اما المثلث الدفاعي المؤلف من ( الحلفاية ) ( والسوم ) ( والبردية ) فكان يشغل معظمه الايطاليون وعناصر من فرقة المشاة ال (١٦٤) الالمانية التي كانت تشتمل على عدد كبير من الاحتياط المسنين والمستجدين الذين لم يدربوا تدريباً كافياً .

والقت من الفرقة المدرعة ال (١٥) عندئذ جحافل معركة ، وسرنا جنوباً بينما كانت المقاتلات البريطانية لاتزال تدوي فوقنا من دون أن تهاجمنا . ثم تعرضنا بغتة لنار المدفعية من الجنوب الشرقي ، وازدادت النار شدة شيئاً فشيئاً فانتشرنا على جهة واسعة في الصحراء . الا اننا تابعنا تقدمنا ودخلنا منطقة كان العدو قد غزاها من قبل فاذا بنا نحاذي في مسيرنا خطوطاً تلفونية ملونة كان البريطانيون قد مدوها على ارض الصحراء فقطعناها .

ولحنا عن بعد دبابات ترفع رايات مستطيلة خاصة فعلمنا انها بريطانية . وقدردنا انها من الفرقة المدرعة السابعة .

ولم يشترك جحفلي الا في مناوشات صغيرة خلال الايام المرتبكة التي استمرت حتى ٢٣ تشرين الثاني .

ووصلنا في صباح ذلك اليوم الى منطقة قريبة من ( سيدي رزق ) وكانت منبسطة كمنضدة ( البليارد ) ، وعند بزوغ النهار شاهدنا







تحشدين كبيرين من دبابات العدو احدهما في الشمال والاخر في الشمال الغربي . ففتحت مدفيعتنا نارها عليها من مدى بعيد واشتبكت دباباتنا مع دبابات العدو في الافق البعيد . فراقبناها خلال ساعات الصباح . اما نحن فلم يزعجنا شيء . وانحدرت علينا مرة دبابات من اتجاه الشمال — و كنت قد هيات مدافعي للمعركة — وهي من خمسة مدافع ( ٥٠ ) لملم ضد الدبابات . فلم اكدم افتح النار على العدو حتى اشتركت معنا مدفيعتنا الثقيلة من الخلف فولات دبابات العدو هاربة والتحقت بتعشده آخر كان بعيداً في الشمال .



## الباب التاسع عشر

### الهجوم في ( سيمى رزق )

حاولت ان افهم الغرض من هذه التنقلات - فبدالى ان هجوما  
يحتمل ان يشن ضدنا . ورأيت في المناظر عدة بطريات من المدفعية  
البريطانية تظهر من تحشد الدبابات في الشمال ، فاصدرت الأوامر الى  
جنودي بحفر خنادق شقية . وقد كان يجب ان نحفرها قبل هذا .  
وكانت الارض حجرية . فلم نكد نبدأ بالحفر الا ودوت القنابل الاولى  
فوق رؤوسنا .

وكان آمر الفوج ، وهو رئيس أول مسن من الاحتياط ، واقفا  
بجانبي كما ان المقدم القائم بوكالة آمر الكتيبة لم يكن بعيداً عنا ، وكان  
كلاهما هادئين . وفي اللحظة التي كنت انظر فيها اليهما شعرت ان نار  
العدو تزداد نشاطا . وبتأثير الغريزة مسكت ذراع الرئيس الأول الواقف  
بجانبي وصححت به « امتد حضرة الرئيس الأول » . وفي اقل من ثانية  
هبطنا الى خندق شقي ، فاذا بقنبلة تنفلق في المكان الذي كنا فيه قبل  
لحظة او لحظتين ، فانتشرت الشظايا خلال الغبار مارة فوقنا غير انها لم  
تصب أيا منا .

وارسل آمر الكتيبة طالبا ضباطه للاجتماع . فاستمعنا منه الاوامر  
التي صدرت اليه من الفرقة . لقد كان الموقف باجمعه غامضا . ولم يكن  
رومل نفسه متأكداً من قوة العدو فاخبرنا بأن موقفنا خطراً يتطور

جنوب غربي طريق على الهضبة العالية في ( سيدي رزق ) . ورأى رومل بأنه يجب أن يقطع ، بعد قليل ، خطوط مواصلات البريطانيين جنوب ( سيدي عمر ) . لكنه ينبغي في هذه اللحظة الاهتمام في موقف ( سيدي رزق ) . وقد قال لنا المقدم :

« ان المعركة التي على وشك ان تقع في هذه المنطقة سيكون لها شأن عظيم . »

واستلمنا الأوامر ونحن وقوف بالرغم من الرشقات التي كانت تنفجر حولنا باستمرار . وعندما سقطت رشقة جديدة على مسافة اقرب وقع أحد الضباط جريحا ، فامتد عدة ضباط على الارض كأن فعلا انعكاسيا حر كم خلافا لارادتهم .

فزجرهم المقدم قائلا « ايها السادة ! ان الضابط الالماني لا يمتد . »  
وجوابا لذلك دمدت للرئيس الاول قائلا « اما رأيي فاني اعتبر ان هذا التصرف مبالغ فيه ولا ينطبق على الحروب العصرية . »  
فجفل الرئيس الاول لصراحي ورمش بعينه وأوما برأسه علامة الموافقة قائلا « نعم اظنك على حق . »

على اننا بقينا واقفين . وبدا ان البطريات المشتركة في القصف قد ازداد عددها اذ صارت القنابل تتساقط بكثرة حولنا فوق ضباطنا آخرين جريحين فلم نر بدا من ان نستتر جميعا .

وحان الوقت لاستئناف التقدم على ( سيدي رزق ) . وكانت اوامرنا تقضي بالهجوم على تشكيلات دبابات ( كاننكهام ) مها كلف الامر ،



وتحطيم المشاة الساندين لها . ومع اننا لم نعلم هوية هؤلاء ، فقد كانوا جنود جحفل اللواء الخامس لافريقيا الجنوبية ، وكان يقودهم الزعيم (ارمسترونك) .

وركبت المدافع بجراراتها وجلس الجنود في مقاعدهم — فانقشرنا في السهل الواسع واتجهنا نحو الشمال الشرقي مرة اخرى . وكان العدو مرابطا جنوب مرتفع (سيدي رزق) بقليل — وقد قام قبل يوم بهجوم خائب على مواضعنا المدافعة عن ارض النزول الواقع على بعد ثلاثة اميال عن قبر هذا الامام المسلم — وتكبد فوج (اسكتلندي ترانسفال) الثالث وفوج (ايرلندي افريقيا الجنوبية) خسائر فادحة في حين ان كتيبة (بوتا) (١) كانت خسائرها اقل نسبة . وكانت هذه القطعات قد دخلت مأوى دفاعيا لقضاء الليل ، فارتكبت خطأ في وضعها عجالات التجموين لنقليتها القدمة (ب) في جناحها الجنوبي مع كتلة من قطعات غير مقاتلة وملحقين مدنيين .

والظاهر ان هذه القطعات ظنت ان هجومنا سيأتيها من الشمال فاتخذت تدابيرها الدفاعية على هذا الاساس ، وفاتها ان تعلم ان تعبئة رومل في معركة سيارة في الصحراء كانت تستهدف التصيد من جميع الجهات للعثور على جناح ضعيف وانزال الضربة عليه . وقد اصبحت تعبئته هذه واضحة حتى للعدو . ففي نحو الساعة الثامنة والنصف صباحا (الاحد ٢٣ تشرين الثاني) قامت بعض دباباتنا بمناوشة مع الدبابات البريطانية فتغلبت عليها وطاردها . واستمرت المطاردة حتى دخلت موضع النقلية القدمة (ب) لقطعات افريقيا الجنوبية . فحدث من جراء ذلك اضطراب

---

(١) ان هذه الوحدات كلها من جنوبي افريقيا .

كبير ، وكانت مقاومة العدو ضعيفة الى حد بعيد . وقد اخبر عن ذلك آمر دباباتنا بعد عودتهم من هذه العزوة ، فوضعت على اثر ذلك توأ خطة للهجوم على مواضع العدو من الخلف .

و كننا في ذلك الصباح غرب قوات افريقيا الجنوبية في ( سيدى رزق ) فتحرر كننا قليلا نحو الجنوب فاخذت نيران مدافعها ذات ال ( ٢٥ ) رطلا تربكننا . فاستدعينا دبابات اخرى كانت شرقنا فالتحقت بنا هذه متنقلة عبر الجناح الجنوبي لقطعات افريقيا الجنوبية وضمن مدى قريب من مدافعها . وقد اندهشنا من قلة فتحة النار على هذه الدبابات فعلنا بعدئذ ان العدو ظنها خطأ رتلا مواليا — ربما كان لواء ( بينارد ) الاول وصل من الجنوب — غير اننى لم اتمكن من فهم ذلك مطلقا لأن دباباتنا كان يسهل تمييزها من ارتال مشاة افريقيا الجنوبية . ثم ان العدو ارسل مدرعاته لتحقيق عن هوية هذه الدبابات فدحرت بنيران المدافع .

و كان لرومل مراصد على المرتفع الواقع شمال قوات افريقيا الجنوبية فبدأ يقصفها بعد الظهر ليوهم العدو ان ذلك استعداد للهجوم من الشمال . لكننا في الواقع كننا نحشد قوة دباباتنا — التي كانت تقدر بنحو ( ١٠٠ ) دبابة — في الجنوب الغربى . وقد علمت ان تقارير عن ذلك وصلت الى مقر اللواء الخامس للعدو غير ان الظاهر انهم لم يدركوا الخطر ، وكانت امامنا قوات افريقيا الجنوبية وفي جبهتنا اليمنى جمحف الاسناد السابع . وكان اللواء المدرع السابع قد طرد من ارض النزول في معركة دبابات خاطفة قبل يوم . و كان غرب قوات افريقيا الجنوبية وفي جبهتنا اليسرى جميع الدبابات التي تركها اللواء البريطانى المدرع ال ( ٢٢ ) .

و كانت الخطة ان تقوم وحدتنا وهي كتيبة المشاة ال ( ١٥ )

بالهجوم ، وان يتعاون معها القسم الاكبر من دبابتنا من الجناح الايمن . وكان على الدبابات ان تندفع نحو الدبابات البريطانية وتحاول تحطيمها ثم تتخللها فتحدث الاضطراب في صفوف مشاة افريقيا الجنوبية بتمزيق ثقليتها القدمة ( ب ) الضعيفة .

و كانت هذه خطة جيدة الا ان تنفيذها لم يكن سهلاً كما يظن . وفي نحو الساعة الثالثة بدأنا بقصف تمهيدي واستعدت قواتنا الهاجمة للعمل . وكانت في الامام كتلة متحشدة من دبابات العدو — اللواء المدرع الـ ( ٢٢ ) — وكانت تبدو لنا كأنها تؤلف حاجزاً . والى يسارها كانت مدافع افريقيا الجنوبية ضد الدبابات وذات الـ ( ٢٥ ) رطلان بطرية الميدان السابعة ( كما علمنا ذلك فيما بعد ) .

و كانت هنالك بعض مدافع عيار ( ٤ ر ٥ ) عقدة قوس علاوة على ذلك .

وانفتحت كتيبتنا الآلية متخذة تشكيل القتال ، واندفعت مدافع ضد الدبابات الى الامام . وقد تنفسنا الصعداء عندما لاحظنا ان بعض دباباتنا انت الى جناحنا الايمن .

وتلقينا امراً سريعاً ان « ا هجم ا » وقاد الهجوم آمر الكتيبة وهو واقف في سيارته المفتوحة ، منتصب القامة ، وتبعته سيارة الرئيس الاول و كنت خلفه مباشرة . قمضينا رأساً صوب دبابات العدو . والقيت نظرة الى الورا ، فاذا بعجلاتنا التي كانت مجموعة غريبة مختلفة الانواع قد انفتحت على شكل مروحة وانتشرت الى ابعد ما تستطيع العين ان تراه . وكانت هنالك حاملات القطعات المدرعة وسيارات مختلفة الانواع وساحبات تجر المدافع السيارة وعجلات ثقيلة تحمل المشاة ومفارز آلية ضد الطيارات — وهكذا اندفعنا نزجر نحو ( مانع ) العدو .



ونظرت الى الامام وأنا مفتتن بجلال المنظر . ففي المقدمة كان المقدم القائد للكتيبة بقوامه المنتصب ، وبالقرب من يساره وقليل الى خلفه كانت سيارة الرئيس الاول . وكانت قنابل الدبابات تصفر في الهواء كما كان المدافعون يرمون من فم كل مدفع من مدافعهم ذات ال ( ٢٥ ) رطلا ومن مدافعهم ضد الدبابات الصغيرة ذات الرطلين . اما نحن فقد كنا نتسابق بسرعة انتحارية .

وترنحت سيارة آمر الفوج فوقفت بغتة . لقد اصيبت باصابة مباشرة . وسنحت لي الفرصة لأرى المقدم فاذا به مستمر على التقدم بثبات ، ثم صرعان ماتمايل الى الجانب وسقط من السيارة كشجرة مقطوعة . فمررت به بسرعة البرق .

وكان الرئيس الاول لايزال في الامام بعد ان استأنفت سيارته المقدم بالرغم من اصابتها .

واستطعت ان اميز مواضع مشاة العدو امامي . وكان في العراء شخص طويل نحيف البنية يركض الى الخلف كأن نافورة دفعته من انبويها . وسمعت اصوات اطلاقات خلفي فتتبعته اثر الرصاص المذنب وهو يمر بي مبتعداً الى الامام — فترآى لي انه يسير ببطء . وسقط ذلك الشخص الطويل .

واوشكنا ان نصل الى حجاب مدافع ضد الدبابات والدبابات فسرت وعشة باردة في عمودي الفقري ، اذ رأيت ثقباً مستديراً صغيرة تتكون في واقية الريح لسيارتي كأن ميكانيكياً خفيفاً يثقبها فيها . انها نار رشاشة ! فأخذ سائقي ينحني شيئاً فشيئاً خلف عجلة القيادة لئلا يصيبه الرصاص .

وترنحت سيارة الرئيس الاول وانقلبت على جانبها ، فبقيت

وحدي في الامام وسط هذه النار الجهنمية ولم أر في الجهة شياً غير المدافع وهي تقذف جميعها . ثم حدثت فجأة رجة عنيفة وألتها زعقة ففهمته ، فتوقفت سيارتي تماماً . ورأيت خندقاً امامي فقفزت من السيارة واندفعت اليه . وقفز سائقي مثلي ايضاً ، لكنه قبل ان يتمكن من الانبطاح على وجهه تصلب فجأة وانتصب فدار حول نفسه ثم انهار على الارض .

وجلست في احضان امنا الارض . وكنت بلا شك في موضع ستار تركه مدافعو (سيدي رزق) .  
فرفعت رأسي بحذر — عجباً ماذا حل بحشد العجلات التي كانت تندفع خلفي ؟

يا للسماء ! انها توقفت .

وماذا يفعل سائقي ؟ وهل هو حي يرزق ؟

انه مضطجع على مقربة مني — ميتاً !

ولقد وقفت المروحة (١) العظيمة لعجلاتنا على مسافة بعيدة خلفي وهي لا تبدي حراكاً . واكتشفت أخيراً ان راكبي العجلات بعد ان رأوا ضباطهم يتساقطون الواحد بعد الآخر امامهم ترددوا واضطربوا ثم توقفوا . غير ان ضابطاً صغيراً كان لا يزال على قدمه فلم شعهم واستشارهمهم ودعاهم الى استئناف التقدم — فتنج على عمله الباهر هذا وسام (صليب الفارس) .

---

(١) لابد وان القارئ الكريم يتذكر ان هذه العجلات اتخذت شكل المروحة عند تقدمها للمعركة .  
المعركة

وكان من الخطأ ان ارفع رأسي اذ كان واضحاً اني اكتشفت .  
وظهر بوضوح ان القذائف التي تمر بي الآن وهي تصغر مصوبة نحوى  
فقط . وكان كلما ازداد تساقط الرصاص ازدادت التصاقاً بالارض .  
وكان الخندق الشقى لحسن الحظ عميق .

ثم سمعت صوتاً مضطرباً اعقبه انفجار . وكنت اعرف هذا الصوت  
جيداً . وقد تكرر مرة بعد اخرى — انه صوت قنابر الهاون !

فاصبحت الان واثقاً من ان متيقي قد اقتربت . وكان في يابسا  
وشفتاي ملفوحتين . ففكرت في اهلى . وقلت لنفسي : واذن فهذه هي  
النهاية — حفرة نعسة في قذارة افريقيما ! . ثم فكرت في الأمر من  
الناحية الفلسفية . ونساءات ولكن لماذا يجب ان يختلف مصري عن  
مصري المقدم او الرئيس الاول (١) او سائقي ؟

ثم شعرت بلطمة عنيفة على حافة الخندق من انهيار في الرمل كاد ان  
يطمر رأسي . فعلمت اني اصببت . لكنني شعرت حالا باطمئنان غريب  
فلم اعد اهتم بالموت .

وانقطعت النار على اثر ذلك . فبقيت مضطجعاً من دون حراك ،  
فشعرت بألم في رجلي اليمنى لكنني كنت استطيع ان احركها . ونحسست  
العمود الفقري والحوض والورك وعظام الفخذ واذا بها سالمة . فلم اكن  
اعاني غير اهانة جرح في مقعدي .

---

(١) على الرغم من ان الرئيس الاول جرح جرحاً خطيراً فانه لم يموت . وقد  
قابله ثانية في ابطالية في آخر الحرب .



وماذا بعد الآن ؟ هل سيقدم العدو فيجدي ؟ . لم اتمكن من ان  
امنع نفسي من التفكير في الحراب الاسترالية . ولكن هل الذين املوا  
استراليون . أم انكليز ، أم نيوزيلنديون ، أم هم من افريقيا الجنوبية ؟  
ثم ما بال قطعائنا لا تستمر على تقدمها ؟ واين هي دبابتنا ؟ لقد اعطيتني  
جوابا ، اذ بدأت القنابل تصفر فوق رأسي وهي آتية من الخلف . وصار  
قصفا الآن بفوق شدة النيران التي يردها الجنود الذين أمامنا . وكانت  
مدافع ضد الطائرات الخفيفة تجلجل . كما ان زعيق الدبابات وهديرها  
صارا يتعالىان شيئا فشيئا ويقتربان . وعندما اصبح الدوي فوقى تقريبا  
قمت واقفا .

فصاح جندي من كتيتي وهو يقفز علي : « هو ذا أحدهم . »  
فصحت به وقد تولاني شعور غريب ممزوج بالغضب والارتياح :  
« يالك من احمق ! .. »

فتردد ثم عرفني وتخلي عني وهو يبتسم ، ثم استأنف التقدم فتبعته  
وأنا اعرج .

والتهبت النيران بالدبابات البريطانية فاعتراها سكون مميت . وانهزم  
بعضها متراجعا من بين عجلات افريقيا الجنوبية فعقبها دبابتنا ، فأصيب  
بعضها باصابات مباشرة من المدافع الافريقية الجنوبية الا انها نجت من  
الضرر لتنشط القنابل بعد مس الدروع او لا تفلقها عليها من دون ان  
تحدث أذى . وظهر ان كثيرا من المدافع الافريقية الجنوبية لم تكن في  
وضع الرمي . وكانت مواضعها غير محفورة كما ان بعضها لم يزل على  
حاملاته وربما كانت هذه معطوبة او عاطلة . ولكن لو فرضنا انها

كانت كذلك لوجب ان توزع بشكل ملائم لمجابهة هجومنا لكي تبدو  
خطرة اكثر .

وانقلب موضع قطعات افريقيا الجنوبية الى فوضى تامة . فصارت  
دباباتنا ومشاتنا تصرح وتمرح بينها ، وسرعان ما اكسح مقر اللواء  
اسيرا . والفت الدبابات رتلين رئيسيين فشرعت في اسر مشاة كتيتتي  
(بوتا) و (ايرلندي افريقيا الجنوبية) . اما (اسكوتلنديو الترانسفال)  
فكانوا على مسافة في الشمال وقد جرى اسرهم فيما بعد . غير انه قبل ان  
تنتهي المعركة هوجمت قطعات افريقيا الجنوبية في آن واحد من كل  
جهة ومن كل زاوية فكانت لا تعرف ماذا يحدث .

ثم بدأت قطعات العدو تظهر من بين الانقاض ، ومن بين الدبابات  
والعجلات المشتعلة ، ومن بين المدافع الصامتة ، وهي رافعة يدها الى  
السماء . وكان بعضهم يلعب فوق اكوام القنابل المرمية ، اذ كان عتادهم  
قد نفذ . وكان جنود اسعافهم يدارون جرحاهم الكثيرين .

وطلبت ارسال الاطباء والمراسلين الطبيين لمساعدتهم فجاء من هؤلاء  
عدد غير قليل . واشتكى ضابط من افريقيا الجنوبية من أن الضمادات لم  
تكن كافية للجرحى . فاشرت بصمت الى جرحي المشين — وكان  
الدم قد سال على ساقي وجمد على بدائي العسكرية . ولاحظت بغرابة  
الدثار الكبير الذي كنت اليسه عندما دخلت المعركة . وكان قد ارتفع  
منطويا على ظهري عندما كنت مضطجعا في الخندق الشقي . فكان فيه  
اربعة وعشرون ثقبا بعضها مستدير بانتظام وبعضها الاخر شقوق  
ممزقة . فنحن ايضا كنا نعاني نقصا في ضمادات الميـدان وفي الاربطة  
خلال ذلك اليوم .

وفي الفسق ضمدوا جرحي واستطعت ان احصل على كوب من الشاي الحار . ونمت في تلك الليلة على وجهي وأنا ارتدي سروالي بحيط بي الموتى والجرحى والاسرى من كل جهة . وتمكن كثيرون من جنود افرىقيا الجنوبية من التملص من الاسر مستفيدين من الظلام ، في حين ان الباقين كانوا منهوكي القوى لدرجة لم يتمكنوا معها ان يقوموا بمجازفة يائسة سيرا على الاقدام في ظلام الليل ومجاهل ميدان المعركة في الصحراء .

وانبثق الفجر على الفوضى السائدة في ( سيدي رزق ) . وكان الدخان لازال ينبثق من الانقاض . وكان الرجال مضطجعين بعيون لامعة يحدقون الشمس التي لم تشرق لهم .

والف من الاسرى عدة صفوف ثم ساروا تحرسهم بضع عجلات ومفارز من قطعائنا . وسقت سيارتي بجانب احدى ارتال الاسرى خلال الستة اميال الاولى من مسيره نحو الشمال . فشرع رئيس عرفاء الماني وقح يدعى ( تود ) ينشد باستهزاء « سنعلق ملابسنا المفسولة على خط ( سيكفرد ) . . » ( ١ ) . فحلق فيه بعض الاسرى الاماميين من الرتل السائر ، وكشر البعض الآخر من الخلف بتهكم وجرأة وامسك غيرهم عن الكلام — إلا انه لم تمر بضع ثوان إلا وكان جميع الرتل ينشد بقوة « سنعلق ملابسنا المفسولة على خط ( سيكفرد ) » ولكن ماذا في وسعنا ان نفعل هؤلاء ؟

---

( We Will Hang ont our Washing on The « ١ »  
Siegfried Line )

وهي اغنية مشهورة كان يتغنى بها الانكليز في بدء الحرب العالمية الثانية عندما كانت مواضعهم تواجه خط « سيكفرد » الالمانى . العرب



لقد انتهت الحرب بالنسبة لهؤلاء .

اما أنا فجاءتني أوامر جديدة تقضي بأن نضرب شرقا في فوضى تلك  
المعركة المتأرجحة . فنظرت في لوحة خريطتي وفي العلامات الحمراء  
والزرقاء المؤشر عليها .

ان هذا المكان حيث يرقد الموتي وتنتشر العجلات هو ( سيدي رزق )  
فكم من مرة مررت ( بجامع مربوط ) هناك برفقة رومل . وكم تناولنا  
فطورنا او غداءنا على مرأى من ذلك الضريح . ولولا تلك البناية ذات  
القبة البيضاء لم يكن في ( سيدي رزق ) ما يبرر تسميتها باسم . ولم يدر  
بخلدنا قبل هذا ان ذكرى هذا المكان ستبقى ماثلة في اذهاننا الى الأبد !  
هذا اذن كان ( سيدي رزق ) . لقد اصبح له الآن اسم يذكر  
والحق يقال !

---

## الباب العشرون

### فوضى الصحراء

حال سقوط ( سيدي رزق ) جاءتنا وصايا رومل تفيد : انه لما كان لا يزال لدى ( اوكلنك ) قطعات دبابات قوية فهو لا يريد ان يبدد قواته المدرعة في قتال مستمر ، كما انه يجب علينا ان نتجنب الخسائر على انفراد . »

لذلك قرر أن الانتكاس الذي مني به الجيش الثامن في ( سيدي رزق ) لم يقتصر على تدمير لواء افريقيا الجنوبية الخامس فحسب بل ان الضربة الشديدة التي اصيبت بها الدروع البريطانية وانهالك قوى جحفل الاسناد السابع بالقتال العنيف ، واضعاف القطعات النيوزيلندية الماهرة ، كل ذلك مما ولد ظروفًا نفسية ملائمة لخلق حالة من الفوضى باتجاه الحدود جنوب مواضعه الدفاعية بين ( الحلفاية ) و ( سيدي عمر ) .

ولابد أن القاري يتذكر أن رومل غرس في القطعات التي كانت جوار ( الحلفاية ) الاعتقاد بأن كل نقطة قوية هي قلعة ثمينة مكتفية بذاتها ، ويجب ان تكون لديها ساحة فار الى جميع الجهات . وانه حتى وان اختفت قواتنا السيارة أياها او اساييع عن المدافعين في النقاط القوية ، فينبغي ان يحتفظوا بمواضعهم مهما كلف الأمر وان يعتقِدوا اعتقاداً جازماً بأن فيلق افريقيا سيرجع لتخليصهم .

وادرِك رومل الخطر الناجم من احتمال نجاح ( اوكلنك ) في الاتصال

بحامية طبرق ، غير انه كان يرى ان ذلك سوف لا يقوى الجيش الثامن .  
مالم تحدث معركة حاسمة ولا سيما في الدروع بين طبرق وجبهة السلوم .

ومن هنا نشأت فكرة الغارة الرائعة نحو الشرق عبر الاسلاك الشائكة  
تلك التي أمران يقوم بها ( فون رافنشتاين ) وفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) .

وكان استطلاعنا الجوي وقتئذ ضعيفا ، في حين ان استطلاع  
البريطانيين كان ممتازا . فلم نكن نعلم بوجود مستودعين من مستودعات  
التوئين المتقدمة الكبيرة — وهما المستودع ( ٦٣ ) والمستودع ( ٦٥ ) —  
على بعد نحو ( ١٥ ) ميلا جنوب شرقي ( قبر صالح ) .

فلما انزل فون ( رافنشتاين ) ضربته على ( نيسم العبد ) وشق طريقه  
عبر الحدود محدثا الارتباك في مقر معركة ( كائنكهام ) ، شمال هذين  
المعسكرين فاضاع بدون أن يعرف فرصة عظيمة . ولو كان قد صادفها  
لاحتمل ان يتغير مجرى معركة الصحراء اذ كان البريطانيون يعجزون  
عن ادامة النيوزيلنديين وجعلهم يستمرون على القتال — مع العلم ان  
هؤلاء هم الذين كسبوا معركة تشرين الثاني بالدرجة الاولى . واندفع  
فون ( رافنشتاين ) الى الحدود يوم ٢٤ تشرين الثاني وهو اليوم التالي  
لانهصارنا على قوات افريقية الجنوبية في ( سيدي رزق ) . وكان مقر  
رومل المتقدم وقتئذ في ( البردية ) الا انه كان يترك مقره ويذهب  
بنفسه الى منطقة القتال . فكان يعتقد ان القيام بحركة مقابلة نحو  
مصر ستكون ناجحة ، وستربك البريطانيين على الاقل ان لم يكن في  
الامكان استثمارها اكثر . ولا شك ان ارتال فون ( رافنشتاين ) قد  
سبب ذعرا لدى البريطانيين اذ ان احدها ، وهو الذي سار جنوبا طوار  
الاسلاك ، احدث فرقا في المقر المتقدم للجيش الثامن . وهاجم الاخر



الهنود في ( سيدي عمر ) مرتين من دون نجاح تام ، وان استولى على كثير من الاسرى . وفي ٢٥ تشرين الثاني كان فون ( رافنشتاين ) على مسافة ( ١٩ ) ميلا داخل مصر وعلى بعد لا يتجاوز الخمسين ميلا عن رأس سكة البريطانيين في ( بئر تلاتة ) في الصحراء .

و كان لدى فون ( رافنشتاين ) البنزين الكافي لقطع مسافة اخرى . و كان رومل ، وهو في موضعه في الجهة ، يريد ان يسدد فون ( رافنشتاين ) ضربته الى مسافة أبعد على ما اظن ، ولكن المقدم ( ويستبال ) رئيس شعبة ( آ ١ ) في مقر رومل ، قرر بعد ان درس الخرائط البريطانية المستولى عليها وتقارير قواتها العمومية ، ان يتعرض المقابل أمر يتعذر اجراؤه .

و كان يرى القطعات البريطانية قوية جدا ، لاسيما وان فرقة افريقيا الجنوبية الثانية التي كانت شرق خط ( الحلفاية ) لاتزال نشيطة تنظر . فادرك اننا لانستطيع التغلب عليها بقواتنا وهي في حالتها الحاضرة من فقدان النظام والضعف الذي اصابها من جراء المعركة . وعلى هذا فانه ارسل في صباح يوم ٢٦ تشرين الثاني برقية لاسلكية الى فون ( رافنشتاين ) مفادها « ارجع » فشقت الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) طريق العودة عبر الفرقة الهندية الرابعة وقامت بهجمات ضعيفة على ( كابوزو ) و ( موسيد ) وهي متجهة شمالا نحو ( البردية ) . ثم مرت من احدى الثغرات التي فشل النيوزيلنديين في سدها شرق ثكنات ( السلوم ) فدخلت قلعة البردية .

و كان رومل قد عاد من جهة القتال واغتتم فرصة راحة قصيرة نام خلالها في ماموته ، فراجع فون ( رافنشتاين ) شخصياً واخبره بشيء من الافتخار عن تمكنه من اجتياز العدو والعودة بسلام . فانتفض رومل

وقد استولت عليه الدهشة والغضب وصاح به « لماذا أنت هنا ؟ لقد أمرتك أن تكون في موضع تستطيع منه الهجوم شرقا نحو مصر » .  
فأخبره فون (رافنشتاين) بالبرقية التي أمر بها أن يعود عبر اسلاك الحدود ،  
غير أن رومل ادعى بصراحة أنه لا بد وأن تكون هذه البرقية كاذبة  
وأن الانكليز هم الذين أرسلوها مستفيدين من جفرة استولوا عليها من  
فيلق افريقيا . ولما أخبره ضابط ركته فون ( ويستبال ) بأنه هو الذي  
أرسل هذه البرقية مبيناً الأسباب التي دعت به الى ذلك ، أيد رومل أن عمله  
كان صحيحا على ضوء المعلومات التي كانت لديه ، تلك المعلومات التي لم  
نصل الى رومل نفسه لوجوده وقتئذ مع الارتال السيارة .

٢

ولتنفيذ خطة رومل ايضا ، تحرك جحفل معركة من الفرقة المدرعة  
الـ ( ١٥ ) ، وكنتم أنا فيه من منطقة ( سيدي رزق ) بسرعة متجها من  
جنوب ( غامبوط ) شرقا صوب ( البردية ) .

وفي ( سيدي عزيز ) ، حيث اشتبكنا مع النيوزيلنديين بقتال عنيف  
يوم ٢٧ منه واسرنا مقر لوائهم الخامس ، اذكر كيف ان سريتي رأت  
عجلة بريطانية ضخمة تستعمل لانقاذ الدبابات وقد ركبت عليها باتقان  
الروافع والبكرات وتحرسها بضعة عجلات اخرى . وكانت تترأى لنا  
كأنها غنيمة ثمينة . فطاردها بمفرزة سيارة صغيرة يرافقها مدفع خفيف  
مركب على ساحة . وعندما اقتربنا منها ترك السواقون عجلتهم واخذوا  
موضعا في الارض المتكسرة الواقعة على مقربة منها فصاروا يرمونها .  
وبعد الاستيلاء على غنيمتنا ، عدنا الى القسم الاكبر من رتلنا . ووقفنا

مدة قصيرة بعد ذلك بساعة بغية إعادة التشكيل ، فانهزت الفرصة للقيام  
بزيارة سريعة لمستشفى الميدان هناك لتنظيف جرحي وتضميده ولتناول  
حقنة ضد الكزاز .

وبعد ساعتين التحقت بوحدة . فأمرني الملازم الاول ( ويشسيل )  
الذي تولى قيادة الفوج عندما جرح أمره في ( سيدي رزق ) ان اجعل  
سربتي في ذيل الرتل . ثم تابعتنا المسير في الجانب اليميني من اسلاك الحدود  
متجهين جنوباً فمررنا بكاپوزو ( التي شن عليها هجوم خادع ) و ( بالعمرين )  
ثم بمنا شطر ( مادالينا ) . وكادت تأتينا النيران من حين لآخر نارة  
من اليمين واخرى من اليسار .

وتلقيت مرة خبراً خطيراً مفاده « دبابات خلفنا » فاسرعت الى  
اول الرتل لأخبر ( ويشسيل ) فسمعتني هذا واجاب باختصار ( روملي )  
« اطلق عليها النار ! » .

وعدت الى جنودي فأوعزت الى الملازم الذي يليني في القدم ليتولى  
قيادة السرية وامرت رعيلا ( من ثلاثة مدافع ضد الدبابات ) ليخرج  
من الرتل .

واستمر الرتل في التقدم ، وبعد بضع دقائق صار يرى عن بعد  
كسحابة غبار ليس الا . وهياًنا مدافعنا للرعى . وبعد قليل تحقق الخبر  
حيث رأينا دبابات بريطانية ذات العلامة ( ٢ ) تعقب اثرنا — كان  
عددها اثنتى عشر دبابة وكانت تتدحرج اليها ضمن مدى المدافع .  
فصوبنا سدادات مدافعنا عليها اثناء تقدمها نحونا . وحالما اصدرت امر  
الرعى خرجت ثلاث قنابل لتحجيمها . فاشتعلت النار بالدبابة الامامية .  
وخففت الدبابات الباقية من سرعتها فانتشرت .



ثم اكتشفنا الدبابات فوجهت رشاشاتها علينا ، وكانت نيرانها تمر بينا ونحن ممتدون خلف مدافعنا . وقد كشطت رصاصة منها كتفي . ثم انتشرت الدبابات أكثر من قبل وظهر ان التي كانت في الجناح تتحرك نحونا كقرون جيش ( الزولو ) ( ١ ) . وبدأ لي ان الموقف خطير . فنظرت الى الوراء وفي رأسي فكرة مهمة عن الانسحاب ، لأرى امكان ذلك وسط هذه النيران . ولكن يا للهول ! لقد رأيت دبابتين بريطانيتين اخريين من ذوات العلامة ( ٢ ) تتحرك كان نحونا .

ثم تنفست الصعداء عندما لمحت علامة السواستيكا عليها . لقد كانت من الدبابات البريطانية التي استولينا عليها في مضيق ( حلفاية ) أثناء « معركة الفاس » قبل أشهر مضت . فزجرت الدبابتان ووقفنا الى جانبي فتبادلت مع رئيس العرفاء الذي يقودها بضع كلمات بسرعة ، فصاح بي « اسرع في اللحاق بالرتل مع مدافعك يا سيدي الملازم فسأثابك على سترك » .

وقطعت الدبابات البريطانية ناراها فخمنت انها احتارت عند ظهور الدبابتين خلفنا فظنت أنهما ستأسرانا ، وقبل ان تتمكن من تحليل الموقف كنت قد حركت مدافعي وانطلقنا للالتحاق برتلنا . وظل رئيس العرفاء ودباباته يتربصون بالعدو خلفنا ليستروا انسحابنا . واستغرق الوصول الى الرتل ساعة واحدة . وعندما وصلنا اليه كان الظلام قد خيم .

### ٣

واستدعي جحفلنا من واجب الغارة على ( مادالينا ) ومحاولة الاستيلاء .

---

( ١ ) ( زولو ) قبيلة كبيرة في جنوب افريقيا .

على مقر الجيش الثامن . واست أدري في الحقيقة ماالدافع لذلك ؟ فقد اتضح الآن انه كان في وسعنا ان نقضي بسهولة على مقر ( كائنكهام ) لأنه لم يكن محمياً . والظاهر ان رومل قرر وقتئذ انه لا بد من استعادة الموقف جوار ( سيدي رزق ) فقد كان النيوزيلنديون أثناء ذلك قد شقوا طريقهم شرقا الى ( سيدي رزق ) و ( بيل حامد ) بعد ان تركوا لواء خلفهم في ( سيدي عزيز ) فاستولوا على ( سيدي رزق ) ليلة ٢٥ تشرين الثاني ، وبما ساعدتهم على ذلك عدم وجود دبابات لدينا بين ( سيدي رزق ) والبردية في ذلك الوقت . وفي اليوم الثاني قامت حامية ( طبرق ) بحركة خروج ناجحة عبر مواضع الايطاليين فاتصلت بالنيوزيلنديين يوم ٢٧ منه وفي أثناء ذلك استطاع لواء افريقيا الجنوبية الاول من الصمود بثبات خلف حجاب من مدافع ٢٥ رطلا في ( طيب العسم ) فصد فرقة ( ارييت ) الايطالية وبعضها من دباباتنا .

وارسل رومل من البردية أمراً لاسلكيا الى جميع القطعات بالعودة من واجباتها في الحدود ، وقد استخدم كل دبابة لديه لضرب الفيلق البريطاني الـ ( ١٣ ) بين البردية وطبرق . وكانت الفرقة المدرعة السابعة البريطانية قد لمت شعنها ثانية وكان لديها ( ١٢٠ ) دبابة صالحة ، فحاولت مراراً عديدة بعد الظهر ان تصد فرقة ( رافنشتاين ) إلا ان الدبابات التي خسرتها في هذه المعارك زادت على خسائرنا .

على ان البريطانيين نجحوا ، نجاحاً واحداً كبيراً — اذ وقع ( فون رافنشتاين ) بطريق الصدفة أسيراً في ايدي نيوزيلندي الفريق فرايبورغ فكان اول قائد الماني أسر في الحرب . وأسر في ذلك اليوم الرئيس الاول ( وستفيلد ) من هيئة أركان فيلق افريقيا وفقدنا ( ٦٠٠ ) هندي علاوة على ذلك .

و كنت قد تحدثت مع فون رافنشتاين قرب ( سيدي عزيز ) قبل أسره بساعتين ، وربما كان هذا هو السبب الذي جعله يقرر ان يسمي نفسه « العقيد شمت » عندما وقع أسيراً بيد العدو ، وكان يأمل ان لا يميزوا علامات رتبته ، لكنه بعد ان اخذ الى الفريق ( فرايبورغ ) قدم نفسه له قائلاً من تلمقاء ذاته « فون رافنشتاين امير لواء . »

و كانت مع ( فون رافنشتاين ) خارطة تبين توزيعاتنا بصورة تامة فوقت هذه ايضاً بيد العدو

وقضى ( فون رافنشتاين ) ايام اسره في كندا ولم يطلق سراحه إلا سنة ١٩٤٨ حيث عاد الى المانية . وهو يسكن الآن في ( اسير لوهن ) وهو نفس المكان الذي قابلته فيه لأول مرة عندما كنت افضي خدمتي العسكرية قبل الحرب .

#### ٤

وعهد الي في ذلك اليوم قيادة مؤخرة مؤلفة من سريتين ، فضايقتنا باستمرار الدبابات وسيارات الاستطلاع التي كانت تعقب اثر ارتالنا المدرعة اينما تحركنا . و كانت معركة الصحراء بالنسبة لي قتالاً غريباً يجري بصورة معكوسة . فبينما كنا نشق طريقنا بالقتال الى الامام من جهة ، كان علي أن أنظر دوما الى الوراء وان افف لاقائل ثم استأنف الحركة الى الوراء . وكثيراً ما كنا نضطر لأن نتجه الى اليمين تماماً اذ كان العدو يحيط بنا من الجنوب ايضاً . وقد كانت سريتي اي تتحرك كان



دباخا (١) بالتعاقب فبينما كانت احدها تقف وتقاتل كانت الاخرى تتحرك الى الخلف ثم تقف لتسند الاولى اثناء انسحابها ومرورها بها . وكانت الصحراء ملائمة بارتال العدو والسيارة الصغيرة — وهي التي سميت بـ « بارتال جوك (٢) » — وكانت هذه مزعجة كالبعوض إلا انها ليست أشد وخزاً منه في النتيجة — وفي الواقع لم تكن هذه قط قوية بدرجة تستطيع معها ان تحدث ضرراً شديداً .

وكان رومل لا يزال يعتقد ان الخسائر التي تكبدها العدو تزيد على خسائرها . وعندما ساء الجو في ٢ كانون الأول شرع في اعادة التججفل (٣) فتحشدنا متجهين نحو منطقة ( سيدي رزق ) .

وكانت الايام التالية مبهمة إلا أن المرء ليتذكر قتالات محامية كثيرة وانني اذكر بصورة خاصة قتال مؤخرتي من ( البردية ) الى ( الدودة ) . فقد هاجمتنا قطعات قوية من الدبابات التي تعقبت اثراً بشدة عظيمة لدرجة اننا لم نكد نجد مدمعاً من الوقت لناخذ مواضعنا الدفاعية المعتادة . وشعرت بارتياح عظيم عندما جاءنا اسناد مدفعي غير متوقع من احدى مواضعنا الدفاعية جنوب ( الدودة ) وقد قصفتنا الطائرات في ذلك النهار . وفي اليوم التالي حاولنا عبثاً التغلب على مقاومة البريطانيين العنيدة في

(١) « دباخا » ترجمة ( Leap — Frog ) وهو اصطلاح عسكري وضعه المؤلف اعلاه . « العرب »

(٢) ( Jock columns ) « نسبة الى القائد البريطاني الذي استخدمها لأول مرة في حركات الصحراء الغربية . ( العرب )

(٣) اعادة التججفل — وهو مصطلح عسكري معناه اعادة تفعيم القوة الى جحافل او مجموعات .

(الدودة) نفسها . اذ قامت دبابات العدو بعدة هجمات مقابلة جريئة من  
(الدودة) فئات نجاحا لا يستهان به . ومن بعد ذلك قرر رومل نهائيا  
انه لا يستطيع ان يفعل شيئا لدفع الجيش الثامن بقوة الى الورا . فامتد  
خطنا الامامي من جنوب (العدم) بقليل متجها نحو (بئر غوبي) .

وانتهزت الفرصة لزيارة مستشفى الميدان في (العدم) واخذ حقنة  
أخرى ضد الكزاز لأن جرحي لم يشف تماما . وقد صادفت خارج  
المستشفى (فرايهر فون نوراث) ابن البارون (فون نوراث) وزير  
الخارجية الألمانية السابق . وكان (فون نوراث) في طرابلس ممثلا  
استشاريا ، اما هنا في الصحراء فكان يحمل رتبة (سوندر فورر) (١)  
الشبه عسكرية . ولست ادري ماذا كانت واجباته . لكن المفروض  
انه كان مهيمًا للقيام بواجب ضابط الشؤون المدنية في المدن التي نستولي  
عليها من العدو .

وأخيراً أخذت فرقة افريقيما الجنوبية الثانية التي تشترك في المعركة  
من قبل ، تتقدم نحو الغرب . وكان قتال المهارشة جوار (سيدي رزق)  
معتدلاً بشكل لا يمكن البحث فيه هنا بالتفصيل . وقد انتهى بتفوق  
الجيش الثامن . وعلى اثر ذلك أمر رومل بانسحاب عام .

---

(١) وهي رتبة خاصة من الرتب التي تمنح للذين يقومون بواجبات تتعلق  
بالشؤون المدنية في الحرب .

## الباب الحادي والعشرون

### المؤخرة

« في ١٢ كانون الأول وصل رومل تحت ستر قتالات مؤخرة — كلفته ثمننا باهضاً — خطاً يمتد من (الغزالة) نحو الجنوب الغربي . هذا ما ذكره تقرير رسمي بريطاني فيما بعد . ولا شك انني تدربت تدريباً خاصاً على اعمال المؤخرة في هذه الايام القلائل . وتلقيت قرب مرتفعات (الغزالة) اوامراً انقضي بتأسيس خط دفاعي واسع يتجه شرقاً بقوة مرسية ومدفعين بعيدي المدى ( عيار ٢١٠ ملم ) . فاستطلعت الموضع على عجل ووزعت نقاط الاسناد المختلفة واستقرى في الجناح الجنوبي حيث اعتقدت ان احتمال الهجوم منه اكثر من غيره .

واقتربت دبابات العدو الاولى حوالي الظهر ، وكانت تتحرك بعيدة نحو جنوبنا وفي اسفل مرتفع ( طمار ) . ففتحت مدافعنا البعيدة المدى ناراها عليها إلا ان الدبابات لم تبال بذلك بل استدارت شمالاً واندفعت نحو جناحنا . وفي الوقت نفسه تقدمت علينا من الامام قوة أخرى من الدبابات وهي منتشرة — وكانت عددها يتراوح بين ثلاثين واربعين دبابة . وكنا ممتدين خلف مدافعنا ضد الدبابات التي كانت مواضعها محفورة بصورة جيدة ومغشوشة غشاً حسناً .

وضبطنا نارنا في بادئ الأمر ، ثم فتحناها عندما اصبحت الدبابات



على مدى قصير فاشتعلت النار في دبابتين حالا وترددت الدبابات الباقية عن التقدم . وبتأثير نيران مدافعنا البعيدة المدى أيضاً اضطر البريطانيون على التراجع والانسحاب الى خارج المدى المؤثر لاسلحتنا .

وكننا نرى من بعيد عدة مئات من عجلات الجيش الثامن تتقدم غربا تتجملها الدبابات .

ولما حل الظلام استلمت أوامر تقضي بارسال المدفعين البعيدي المدى للاتحاق بالقسم الأكبر . وأمرنا أيضاً بأن لا نترك مواضعنا مهما كلف الأمر حتى تصلنا وصايا أخرى .

وانتظرت وصول الأوامر طيلة ليلة الشتاء الطويلة إلا ان انعطاري كان عبثاً . ولما كان من الواضح اننا لانستطيع ان ننسحب في ضوء النهار فقد هيأت نفسي للقتال حتى النفس الأخير وبينما أنا كذلك أذ بأوامر الانسحاب تأتي لاسلكيا قبيل الفجر . فبلغت الوصايا بجهازي اللاسلكي السيار الى سريتي الشمالية التي يقودها الملازم ( كلينك ) إلا اني لم استلم اعترافاً بوصولها ، لذلك ارسلت على عجل ساعي دراجة بخارية ليتصل به ، فلم يعد الساعي . وكانت وسيلتي الأخيرة ان ارمي اطلاقات التنوير آملاً ان يفهم ( كلينك ) معناها . ثم تحررنا بهدوء نحو الغرب وقد خمن ( كلينك ) معنى الانوار التي اطلقناها وتمكنت سريته بعد ثمانية أيام أن تلتحق بنا بعد مخاطر متنوعة ضاربا عبر الجبل الاخضر بينما سرنا نحن في الصحراء .

وطلع الفجر علينا ونحن نسوق بسرعة جنوبية . فتمكنا ان نسير سراً حثيثاً تحت شعاع شمس الشتاء الكثيفة . وكان رتلنا طيلة ذلك اليوم علامة الحياة الوحيدة على سطح الصحراء .

وفي ذات مرة جاءتنا اسراب من القوة الجوية البريطانية يقدر عدد طائراتها بنحو ( ٦٠ ) طائرة فظننت اننا سنلقي منها اذى كبيراً . وفي غمار اليأس أمرت الرتل بأن يرمي بكل ماله من سلاح ولكن الغريب ان الطائرات اجابتنا على ذلك بارسال مشاعل التمييز . فقبلناها شاكربين ، وقطعنا النار . ولا يمكن تفسير هذه الحادثة الغريبة الا بشيء واحد وهو انه : لابد وان الطيارين اعتقدوا باننا رأس رخ الجيش الثامن المندفع غربا وذلك لكثرة وجود العجلات البريطانية الاسيرة ذات اللون الرملي في رتلنا .

ولحقنا بالقسم الأكبر من قوتنا في اليوم الثاني — وليتنا تأخرنا قليلا اذ كان تشكيل جوي يهاجم القسم الأكبر عند وصولنا . فصرنا نحبط خبط عشواء تحت قنابل العدو التي كانت تنهال علينا من كل جهة . وقفزت من سيارتي الى حفرة . فلما انتهت الغارة وجدت مقاعد السيارة ممزقة اربا اربا . فناديت سائقي الجندي الاول ( شمت ) لكني لم اسمع جوابا . ولمس جندي ذراعي وأشار الى ماتحت السيارة . كانت هناك جثة سائقي ممددة وقد قطعها القنابل .

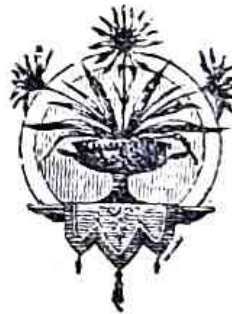
لقد كنا قبل بضع دقائق نتكلم عن زوجته وعائلته وعن الاجازة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر .

ولكنه سوف لا يجتمع بهم بعد الآن .

وكان عدد من جنودي يصرخون من الألم . وعلى مقربة مني كان احدهم يتلوى وقد فقد كلتا يديه وكلتا قدميه . وجاءه طبيب بعد قليل وانحنى عليه ليعالجه . فلوى وجهه المترب محاولا الابتسام وهو يسأل

الطيب : « هل سأتمكن ان استمر بمهنتي كممثل يادكتور ؟ فاجابه  
الطيب « نعم ، يا صاحبي طبعاً . »

وبينما كان يحقنه بالمورفين اذ به يذهب الى رحمة ربه .  
وكانت الحرب مستمرة فوجب علينا أن نستمر . ولم نجد متسعاً من  
الوقت لدفن موتانا لأن الدبابات كانت تعقب اثرنا بشدة . ويم جيش  
رومل صوب الغرب حيث الشمس الغاربة .







امیر اللواء فون رافزشتاین





رومل ، مع المؤلف ، يتفحص مدفعا كبيراً  
قرب ( الحلقاية )

## الباب الثاني والعشرون

### العودة الى ( المقبرة )

ورجعنا الى ( بنغازي ) فوجدنا مستودعات تمويننا هناك تشتعل فوقفت بعض سياراتي وأخذ الجنود ينقذون ما يمكن حمله من المواد اللازمة للسرية ، وعثرنا على حمولة سيارة من الاشياء اللذيذة التي لم نكن نحلم بها — كالقواكه الايطالية المعلبة وخيار ( شير بوالد ) ( ١ ) والبيرة والسكاير والشكولاتة . ولم تكن أعيننا قد رأت اشياء كهذه منذ أشهر طوال .

وأطلقت جماعات الاعراب النار على فيلق افريقيا طيلة انسحابه الى ( بنغازي ) وفي اليوم الذي سبق عيد الميلاد حدثت مناوشة بيننا وبين مدرعات افريقيا الجنوبية والمدركات البريطانية . وقد تمكننا من أسر ضابط بريطاني شاب وثلاثة من المراتب الذين جازفوا بالتقدم الى الامام اكثر من اللازم ، و كان الضابط يبدو انسانا لطيفاً لكنه كان متحفظاً الى حد بعيد ، وهو أمر قد يكون طبيعياً في تلك الظروف . ولم أسأله غير أسئلة قليلة لأثبتت من هويته .

و كانت تلك الليلة ليلة عيد الميلاد فأمرت باعطاء كل من الانكليز قنبنة بيرة وشبثاً من الشوكولاتة والسكاير ، فعاق على ذلك ضابطهم قائلاً : « أرى لديكم شيئاً كثيراً من المأكولات والمشروبات اعيد الميلاد » . ولم

( ١ ) مكان يقع غرب برلين .



أشأ ان اقول له اننا انقذنا هذه المواد من احدى الاكداس التي احترقت  
لئلا يستولي عليها العدو الذي كان يتعقب أثرنا .

وطلب الضابط البريطاني الشاب اذنأ لينام مع جنوده في العراء  
وأضاف قائلاً : « أعدك بشرفي اننا سوف لا نحاول الهروب » .

فأجبتة « اعتقد اعتقاداً تاماً انك ستحافظ على وعدك وانا مستعد  
للسماح لك بما تريد ولكن انظمتنا تستوجب تسليمكم من دون تأخير  
الى الفرقة » .

لكنه ألح ثانية وقال انه سيمضي بكلامه كضابط و كانسان شريف .  
ولما كان رؤسائي لا يعرفون اننا اخذنا اسرى ، فقد سمحت له بما أراد  
وأنا أشعر بشيء من السرور مع قليل من الذنب .

وفي صباح عيد الميلاد نهضت من فراشي في سيارتي وأنا لم أزل  
أشعر بالنعاس — فاذا بالجنود البريطانيين الثلاثة مصطفين برشاقة  
يستعرضهم ضابطهم . فأدى لي التحية بنشاط قائلاً : « الكل حاضرون ! »  
وعندما اضطررنا الى ارسال اسرانا الى الفرقة شعرت بأسف على فراق  
هذا الجندي الباسل النبيل .

ودخل البريطانيون ( بنغازي ) — المرة الثانية — في يوم  
عيد الميلاد .

وانسحبنا جنوباً على الطريق المؤدي الى الخنادق الواقعة بين مستنقعات  
( العقيلة ) والبحر و كان فيلق افريقي في تلك الآونة قوة مغلوبة لكنها  
لم تفقد معنوياتها ، إذ لم أر أية علامة تدل على ضعف المعنويات بين قطعات  
مؤخرتنا . وقد وقفنا وقاتلنا أينما وجدنا أرضاً عالية . واستطاعت

مواضعنا قوات خفيفة من الدبابات البريطانية — من اللواء المدرع الـ (٢٢) على ما يظهر — واجبرتنا على ان ننتقل من مكان الى آخر عدة مرات . وأصدرت قيادة فيلق افريقيا اوامرها بوجوب الاقتصاد في صرف العتاد واجتناب القتال خلال موسم العيد ان امكن — ولم يكن ذلك لرغبتها في عدم القتال لأسباب عاطفية بل لقلة عتادنا ليس إلا . على ان الضباط والجنود في الخط الامامي شعروا بوجوب القيام بشيء ما للاحتفال ببدء السنة الجديدة ، وقد وضعت الخطط اللازمة لذلك سرأ بدون ان يصل منها شيء الى آذان الأمرين الاقدمين .

وفي منتصف ليلة رأس السنة اشتركت جميع القطعات في عرض ممتاز للالعاب النارية من مواضعها المتباعدة ، فرمت مدافع ضد الطائرات الخفيفة والرشاشات العتاد المذنب ، واطلقت مسدسات التنوير الانوار الحمراء والخضراء والبيضاء ، وقذفت القنابر اليدوية التي لم تستعملها لحد الآن إلا قليلا ، فحدثت انفلاقات مرضية جداً ، واشتركت حتى المدافع فاطلقت قنابلها في الهواء او في استقامة الصحراء البعيدة . فحدث ضوضاء عظيم وانيرت الاراضي المقفرة الى عدة اميال واستمر العرض ثلاث دقائق بالضبط ثم خيم الظلام والسكون على الصحراء مرة اخرى .

وقد فرحنا كتلاميذ المدارس الشاردين عندما شاهدنا في الظلام البعيد عرضاً مقابلاً من الانوار الصفراء التي ارتفعت الى عناق السماء — في المكان الذي كننا نعلم ان الدبابات البريطانية رابضة فيه — لتحيي السنة الجديدة .

ولم تصدر اليينا كلمة توبيخ واحدة من رومل او أحد قواده بواسطة سلسلة القيادة ، وبعد أيام قلائل انتهت صفحة واحدة من

معركة الصحراء ، إذ عدنا الى ( العقيلة ) بعد ان كنا قد اندفعنا منها الى الامام اندفاعا غير متوقع نوطا ما قبل نحو ثمانية اشهر ، وحدث في الوقت نفسه قتال عنيف تحول معظمه الى نوبة معارك مستمرة لا هوادة فيها . وقد تكبدت جميع تشكيلاتنا خسائر فادحة وانهكت قوى الجنود واستهلكت التجهيزات . على ان البريطانيين لم يكونوا بأحسن حال منا . فلم يكن في وسعهم انزال ضربة فينا والاستمرار على التقدم نحو طرابلس .

وقد كانت النتيجة مشكوكا فيها خلال الاسابيع الاولى من « كروسيدر » — واطن انه كان في الامكان انتصار رومل لو تبصر لديه اسناد جوي اقوى واستطلاع جوي اوسع . على ان ( اوكلنك ) حصل على الاقل نصراً معنويا وماديا ، وقد احسن عملا حينما استمر على الهجوم علينا بشجاعة بعد النكسة التي منيت بها قواته في ( سيدي رزق ) وذلك باعطائه القيادة الى امير اللواء ( ريجي ) وأمره باستئناف التعرض بكل قواه .

على ان قوات رومل في جبهة ( السلوم ) كانت لا تزال صامدة . ولم يتخل رومل — كما أكد لنا — عن فكرة القيام بتعرض مقابل في اول فرصة ملائمة . فبذل كل ما في وسعه بسرعة لجعل تشكيلاته في قوتها الكاملة مستفيدة من تقويات الجنود ومواد التموين والذخائر التي كانت قد ارسلت أخيراً على عجل عبر البحر الى طرابلس

وقد اراد ( اوكلنك ) ايضا ان ينهي مسألة الحدود — فوجه انتباهه الى ( البردية ) والسلوم والحلفاية . وكانت فرقة افريقيا الجنوبية الثانية



التي يقودها امير اللواء ( دي فيليير ) موزعة امام ( البردية ) وفي منطقة ( كابوزو ) وجوار ( سيدي عمر ) وقد عهد اليها في بداية تعرض « كروسيدر » حماية مؤخرة الجيش الثامن ضد أية حركة التفاف واسعة بحتمل ان يقوم بها رومل . فشن ( دي فيليير ) صباح يوم ٣١ كانون الاول هجوما على ( البردية ) بعد قصف المدفعية الشديد ، وبعد قتال عنيف دام يومين استسلم امير اللواء ( شمت ) الذي كان يقود القطعات المراقبة هناك .

ومن الواضح انه لم يبق لدينا غير وقت قصير لانقاذ حاميتنا المحصورة في ( الحلفاية ) . وقد ظهر بعد حين انه لا يمكن القيام بتعرض مقابل في وقت مبكر لاسترجاع برقة والوصول الى الحامية . وقد سقطت ( السلوم ) بيد قوات ( دي فيليير ) يوم ١٢ كانون الثاني بعد هجوم قام به فوج من ( سكو تلندي الترانسفال ) وقوة من شرطة افريقيا الجنوبية . وبينما كان الافريقيون الجنوبيون يتهيأون للهجوم على مواضع الحلفاية اضطر مدافعوها الى الاستسلام يوم ١٧ كانون الثاني بعد ان نفذ ما كان لديهم من ماء وارزاق . وكانت القوة المدافعة عن هذه المواضع مؤلفة من الايطاليين ومن مفرزة قوية من الالمان بقيادة الرئيس الاول الوقور ( باخ ) .

وكان فيلق افريقيا وقتئذ على بعد ( ٣٠٠ ) ميل في الغرب غير ان « ثعلب الصحراء » كان حاضراً لينزل ضربته . ولم يظهر رومل أية علامة تدل على تزعزعه بنتيجة انسحابنا السريع . بل ازداد تفاؤله بوصول معدات جديدة من طرابلس ، ذلك التفاؤل الذي كان يتأثر به الجميع واصبح مضرب الامثال .

وعلمت استخباراتنا ان جحفل الاسناد السابع الذي يعتبر من اكثر قطعات ( او كنيك ) خبرة والذي ابلى بلاء حسنا في « كروسيدر » سيبدل بجحفل اسناد جديد وهو الجحفل الأول الذي لم تكن لديه خبرة في حروب الصحراء . فقوى هذا من عزم رومل على انزال ضربة مقابلة في اول فرصة ممكنة . وقد تهيأنا لذلك فعلا وفي ٢١ كانون الثاني اصدر رومل الامر بالتقدم .

ويظهر ان البريطانيين ظنوا بأننا نقوم باستطلاع قوي فقط لأن بلاغهم الرسمي وصف تقدمنا بهذا الاصطلاح . غير ان استطلاعنا الجوي كشف ان البريطانيين حشدوا من الدبابات في ( مسوس ) فافترضنا انها في دور تصليح عام وقررنا انزال ضربتنا بها .

## الباب الثالث والعشرون

### رومل يضرب ثانية

كان موضع سريتي على ( وادي فارغ ) في أقصى الجناح الايمن لفيلق افريقيا - وكنا نرى من السفوح الشديدة الانحدار لهذا الوادي الذي هو اكبر الوديان في منطقة ( سرت ) ، منظر آخلاقنا نحو الجنوب ، وهو منظر الجروف العظيمة الجرداء لساحل بحري قديم يرجع عهده الى ما قبل التاريخ .

وتولى أمير اللواء ( فون فارست ) قيادة الفرقة بعد موت ( نريمان سيلكو ) في الايام الاولى من « كروسيدر » . ومن هذا القائد ، الذي قال ثقتنا بسرعة جاءنا أمر المسير نحو الشمال الشرقي .

وبما اننا كنا في أقصى الجنوب فقد كانت سيارتي على حافة السفوح الشديدة الانحدار للوادي الواقع على يميني . وكنت أرى بين آونة وأخرى عجلات بريطانية تفتقل بسرعة نحو الشرق على الارض القاحلة التي تطل عليها السفوح .

وكنا نذهب الى الامام من حين لآخر برشاشة خفيفة مركبة على ساحة . وقد باغتتنا ذات مرة سيارة استطلاع تابعة . وكان نوتيتها على مقربة منها - وهم ثلاثة جنود جالسين بدون انتباه على كراسي معسكر حول نار يهيأون عليها الشاي ، فشربنا الشاي وأخذنا سيارتهم كغنيمة و تركناهم مع تمنياتنا الطيبة لهم بالحصول على واسطة نقل تأخذهم الى



فطعناهم . وحدثت اول مناوشة لنا مع الدبابات البريطانية في اليوم الثاني من المسير ( ٢٢ كانون الثاني ) في منطقة ( انقيلات ) بعد ان اندفعنا خلال حجاب خفيف من لواء الحرس الـ ( ٢٠٠ ) . اذ رأينا نحو ثلاثين دبابة واقفة في اسفل مرتفع في منطقة التلول ، وعندما اخذنا امر الهجوم عليها كنا واثقين من اننا لم نرصد بعد . فادخلنا مدافعنا ضد الدبابات عيار ( ٥٠ ) ملم في موضع يقع في منخفض .

وبوغت العدو مباغتة تامة عندما فتحنا النار عليه ، واندفعت نحو اثني عشرة دبابة من دباباتنا على دبابات العدو . فقرر العدو انه لا يستطيع البقاء في موضعه وانسحب بسرعة بعد ان خسر بضع دبابات .

وكنا قد توصلنا وقتئذ الى اسلوب جديد للهجوم . فصرنا نقفز دبابا بمدافعنا ضد الدبابات الاثني عشر من نقطة مشرفة الى أخرى ، بينما ، كانت دباباتنا تبقى ثابتة ان امكن في مواضع ضامرة ( ١ ) لقسدي لنا النار الحمايوية . ثم ثبتت انفسنا في موضع ملائم لنؤمن للدبابات نارا سارة عندما تندفع ثانية الى الامام . وقد تجتحت هذه التعبيرة نجاحا جيدا ، وبالرغم من شدة نيران دبابات العدو فانها لم تتمكن من صد تقدمنا . ونكبد العدو خسائر كبيرة واضطر على ترك مواضعه مرة بعد اخرى . وشعرنا اننا لسنا ازاء اولئك الحصوم الأشداء المحنكين الذين طاردونا بشدة اثناء انسحابنا على نيسم ( كابوزو ) . وفي يوم ٢٢ كانون الثاني استولينا على ( انقيلات ) و ( ساونو ) وقد حاول عبثاً اللواء المدرع الثاني ( المؤلف من كتيبة الرماحة التاسعة وكتيبة الفرسان الملكية العاشرة وكتيبة الكيت الملكية ) ايقاف احدى هجوماتنا . وتأثير توجيهات الفريق

---

( ١ ) ( Hull Down Positions ) وهي مواضع تساعد الدبابات على الانتزاع بها بحيث لا يظهر منها غير ابراجها .

رومل الشخصية تكونت لدى قطعاته مقدرة لاشك فيها : وهي تكييف نفسها بسرعة حسب تطور الظروف . وقد تعلمت كيف تطبق قوله « ان كل نجاح صغير قد يكون مقدمة لنجاح اكبر . »

وبهذه الغريزة المكتسبة التي تستهدف استثمار كل فوز مهما كان صغيراً والمثابرة على كيل الضربات للعدو كلما بدا انه يترنح ، اندفعت دبابات فيلق افريقيا الى الامام وهي تحمل ارزاق ثلاثة أيام . غير انها لم تكن تستطيع ان تعمل ذلك او تتجاسر على القيام به ، لو لم تكن لديها ثقة لا تزعزع في تفوق اسلحتنا ضد الدبابات في ذلك الوقت على دبابات العدو ومدافعه ضد الدبابات . وقد كان اصدقاؤنا ( القوة الجوية البريطانية ) ساكنين سكوناً نسبياً في ذلك الوقت فادى هذا الى اعلاء معنويات القطعات . فاستنتجنا من ذلك ان البريطانيين لم يتمكنوا من جلب كميات كافية من البنزين الى ( بنغازي ) كما كانوا يأملون . وكانت النتيجة انهم عجزوا عن ادامة طيران مقاتلاتهم القصيرة المدى من مطار ( بنينا ) ومن اراضي النزول الاخرى امام ( طبرق ) .

وظهر ان تقرير الاستطلاع الجوي عن وجود معسكر بريطاني لتصليح الدبابات كان صحيحاً . وقد تقدمنا نحو هذا المعسكر دون ان نلاقي مقاومة تذكر فوجدنا في احدى معامل الميدان غنائم ثمينة وهي عدد من الدبابات التي يمكن تصليحها والاستفادة منها .

ولم تكن مطمئنين تماماً من موقفنا من وجهة البنزين . وقد قال احد الضباط الاحداث لرومل « اننا بحاجة الى وقود اكثر يا سيدي القائد » فتلقى من رومل الجواب السريع التالي « حسناً ، اذهب واحصل عليه من الانكليز » . واستمر تقدمنا فوق السهول الجرداء جوار ( مسوس ) ،



التي هي ارض مبارزة مثالية للقتال بين القوات المدرعة حتى النفس الاخير بالنظر لخلوها من علائم الحضارة ولعدم وجود ما يلهم الجنود عن واجبه الرئيسي ألا وهو تدمير بعضهم بعضا . وجاءت لحدنا الفرقة البريطانية المدرعة الاولى الخبيرة بالصحراء ، كما ان الفرقة الهندية الرابعة خرجت من (بنغازي) للاشتراك في المعركة . فشطرننا الفرقة الهندية الى قسمين . وحصرنا لواءها السابع في ( بنغازي ) . ولم تكن الدبابات البريطانية قوية لدرجة تستطيع معها الوقوف بوجه دباباتنا ، كما انه كان ينقصها الوقود . وكننا نجد في كل مكان مجموعات منعزلة وارتال تموين للفرقة المدرعة وقد تعطلت لنفاد البنزين .

ووقفنا بمدافعنا ضد الدبابات على خط دفاعي قرب ( مسوس ) مدة يومين غير ان سير المعركة كلها كان يتجه نحو الشرق . وقد ذهل (او كمنالك) من تطور الحوادث فطار من القاهرة الى مقر امير اللواء ( ريجي ) في ( تميمي ) والغبي الاوامر الصادرة الى الفيلق الـ ( ١٣ ) بالاستمرار في الانسحاب . اذ كان يأمل ان يقوم بهجوم مقابل في ٤ شباط . كان الجيش الثامن على خط دفاعي جديد في (الغزالة) وكانت فرقة ( بينار ) الافريقية الجنوبية قائمة باعاقة تقدم رومل نحو الشرق .

على ان رومل كان قد تقدم الى اقصى ما يمكن — بل وفي الواقع اكثر مما كان يأمل ان يذهب في الصفحة الاولى هذه من تعرضه للمقابل وكان لا يستطيع المجازفة بالتقدم اكثر من ذلك بوجه معظم الجيش الثامن ما لم يتلق الامدادات — وخاصة امدادات الدبابات الجديدة التي كانت تصل وقتئذ الى طرابلس . ولذلك فقد اكتفى بالاستقرار على خط ( التميمي — الخيلي ) .



## الباب الرابع والعشرون

### خطة طبرق

أسس ( او كنفك ) و ( ريجي ) بسرعة خطا قويا في ( الغزالة ) .  
اما نحن فقد حصل لدينا انطباج ان ( او كنفك ) ينوي التعرض وانه  
لا يريد ان يترك طبرق تطوق مرة اخرى . بل يعتبر الاحتفاظ بالبناء  
حيويا لتموين الجيش الثامن عند قيامه باندفاع جديد ضد فيلق افريقيا .

و كان الخط البريطاني يمتد جنوباً من البحر الى ( بر حكيم ) وهو  
مؤلف من سلسلة أماكن دفاعية قوية . تتصل بحقول الغام واسعة . وقد  
أفادت استطلاعاتنا الجوية التي كانت ترأب هذا الخط مراقبة تامة ،  
انه يزداد قوة يوماً بعد يوم . وصرح رومل انه ينوي شن تعرض مقابل  
قبل البريطانيين فسر لهذا الخبر كل جندي في فيلق افريقيا . غير انه  
حدث فترة هدوء سوف ابحت عنها باختصار .

من اواسط شباط حتى اواخر آذار لم تكن هنالك غير فعالية  
الدوريات . ثم دبر ( ريجي ) حركة ( تحويلية ) ليصرف انتباه المحور  
عن قافلة قوية كانت تمر من الاسكندرية الى مالطة ، وكانت هذه  
الجزيرة كما قال رومل مراراً ( أحد شوكة في جانبه ) . وشعر انه لو  
أخذت هذه الجزيرة بعد ان نزلت قوة حملته الى شمال افريقيا بقليل ،  
لنجح في غزو مصر سنة ١٩٤١ بل لاستطاع ان يشق طريقه نحو ( هلتا

(النيل) لعدم وجود ما كان سيمنع عنه ورود مواد التموين والتقويات بانتظام .

وانني لأتذكر حقا كيف رفض رومل التقويات التي اريد ارسالها اليه في سنة ١٩٤١ معلقا على ذلك بقوله « ينبغي تأمين طرق التموين الى افريقيا قبل ان اوافق على نقل فرق اخرى » .

ولقد اعتقدنا ذات مرة ان القيادة العليا في برلين قررت وجوب الاستيلاء على ( مالطة ) . إذ قامت القوة الجوية الالمانية فعلا بهجمات مستمرة من ( صقلية ) ضد هذه الجزيرة التي جرى الدفاع عنها بشجاعة . وبنتيجة هذه الهجمات الشديدة تحسن ولا شك موقف التموين في افريقيا إلا انه كان من الضروري شل الجزيرة اذا أردنا ان نكون في موقف يضمن لنا النصر .

ولم نقاتل غير قتال قليل بالفرق المدرعة خلال تلكم الاشهر الهادئة . وانني لأتذكر ان دباباتنا كانت ترتاح في منطقة ( درنة ) خلال شهر مارت وسريتي تتمتع بفترة استرخاء في وديان ( مرطوبة ) . وبينما كنا نقضي الوقت معجبين بسماء الصحراء ذات الالوان الجميلة في اوائل الربيع ، إذ داهمنا هجوم غير متوقع — من المطر — فهبت عاصفة هائلة في الليل وعلمتنا ان حياة الفتور في واد جميل لها محاذيرها ، كما ان لها في الحقيقة اخطارها . فقد تضرر عدد غير قليل من العجلات والاسلحة نتيجة هذه العاصفة الممطرة . واكتسحت الى الوادي .

## ٢

ومر نيسان ومعظم أيار والقوة لا زالت تنهياً لانزال ضربة على (طبرق) مرة اخرى .

وقرر رومل ان ينفذ نفس خطة الحركات التي كان يريد تطبيقها في تشرين الثاني الماضي عندما سبقنا الجيش الثامن بهجوم « كروسيدر » وكان على فيلق افريقيا ان يلتمف تحت ستر ظلام ليلة ٢٦ مايس ، حول الجناح الجنوبي لخط ( الغزالة ) في ( بر حكيم ) ثم يندفع شمالا الى خلف العدو . وكان على فرقة ( ارييت ) الابطالية المدرعة ان تحاول في نفس الليلة احتلال ( بر حكيم ) كما كان على فرقة ( تريست ) الابطالية في الوقت نفسه ان تسعى لفتح ثغرة في حقول الالغام البريطانية على المرتفعات التي يمر منها نيسم ( العبد ) - اي جنوب خط القاطع الذي كانت تحتله فرقة افريقيا الجنوبية الاولى .

وكان من واجب التشكيل الابطالي المواجه لخط ( الغزالة ) مشاغلة الافريقيين الجنوبية والفرقة البريطانية الـ ( ٥٠ ) في اليسار ومنعها من القيام بأية مغامرة الى الامام على طوار الطريق الساحلي . وفي اليوم الثاني كان على قسم من دباباتنا - من الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) - أن تضرب خلف خط ( الغزالة ) بينما يهجم الابطاليون على الجبهة . وقد اعتبر هذا الهجوم تمهيداً لهدفنا الاساسي ألا وهو الهجوم المباشر على طبرق في اليوم الثالث بالفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) ، وكان من المأمول ان هذا الهجوم قد ينجح فيتحقق بذلك الغرض الذي نستهدفه ، او انه سيتمنع العدو على الاقل من توجيه فرقة افريقيا الجنوبية والفرقة الـ ( ٥٠ ) نحو الشرق للتدخل في حركات قواتنا التي ستحاول احتلال طبرق .

وكان المقرر احتلال هذا الميناء في اليوم الثالث من الهجوم حسب جدول الاوقات الذي وضعه رومل ، ووصل أمير اللواء فون ( بارلاين ) ليكون رئيساً لهيئة اركان ( كروبل ) قائد فيلق افريقيا . ولا بد ان



القاري. يتذكر ان هذا الفيلق اصبح جزءاً من جحفل افريقيا المدرع الذي كان يقوده رومل والذي لم يزل ( كماوزه ) رئيساً لهيئة اركانته . وعين امير اللواء ( فون بسمارك ) لقيادة الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) في حين ان الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) لم تزل بقيادة امير اللواء ( فيرست ) .

وكان في خطة المعركة هذه شيء من المقامرة وقد ذكر كل من ( كماوزه ) وفون ( باير لاين ) لرومل و كروبل انه من المحتمل جداً ان يحدث موقف حرج بين القوات المدرعة المتقابلة خلال المعركة اذا لم يؤمن خط مواصلاتنا باحتمال ( بر حكيم ) او بتأسيس ثغرة معينة عبر حقول الغام العدو .

وأدرك رومل نفسه ذلك بوضوح ، إلا انه قال « لا بد لنا من هذه المجازفة . وفي وسعنا تجنب المقامرة بالهجوم على العدو بمهارة وعزم ووفق اسس الخطة الموضوعية . ويجب ان لا يعزب عن البال ان البريطانيين لا يعوزهم التدريب السوقي ، فلا بد وانهم أخذوا بنظر الاعتبار احتمال اندفاعنا خلف خط الغزاة ، ولا يحتمل ان نتمكن من شلهم بمباغمة تامة . لذلك ينبغي ان نتغلب عليهم بتنفيذ ما يقتضي لنجاح هذه الخطة من الامور الجوهرية . ان دباباتنا ستكون خلف خطوط العدو ، ولادامتها في المعركة ينبغي ان تشق خطوط المواصلات للوصول اليها »

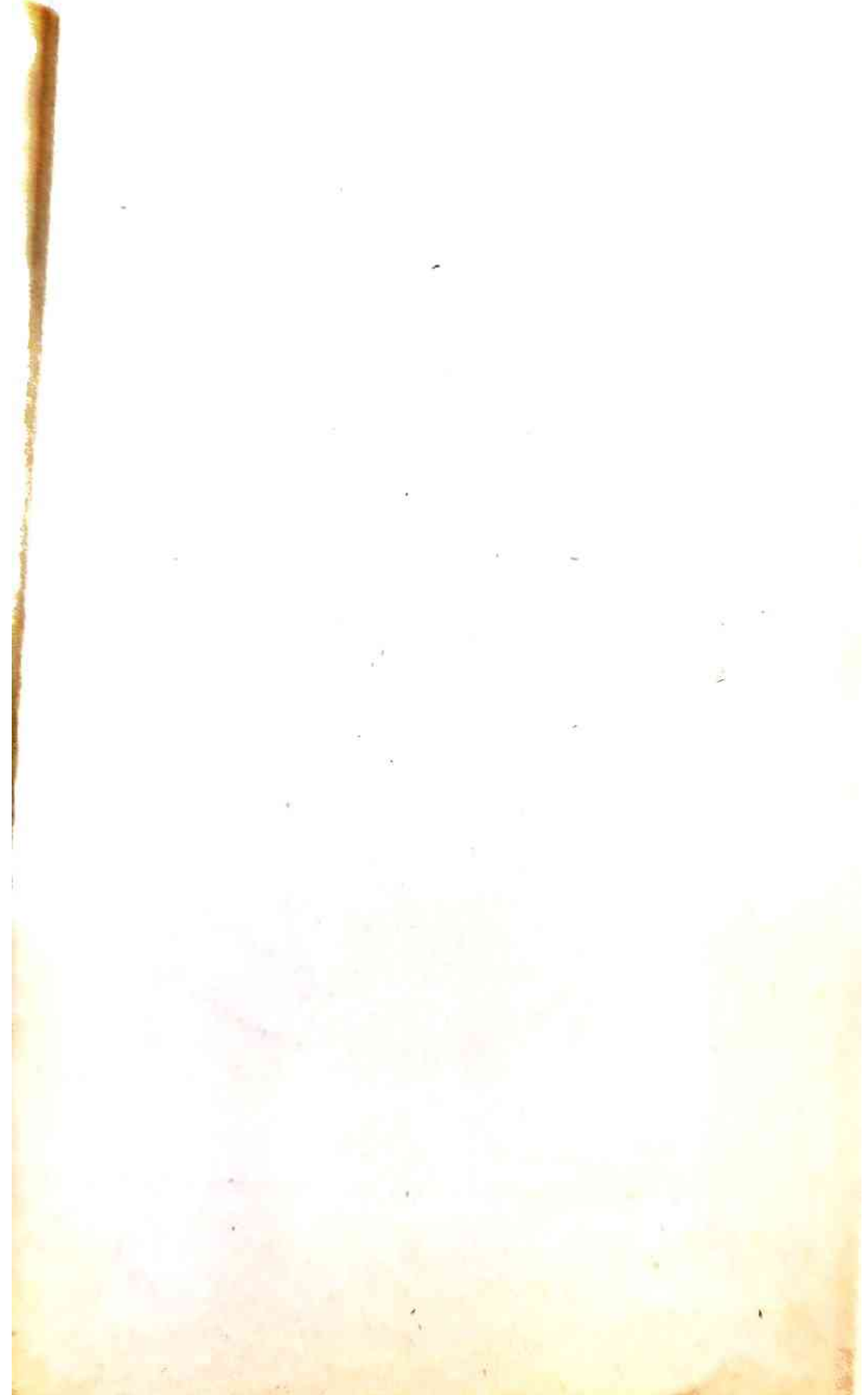
### ٣

وبقينا في وضع الانتظار في منطقة ( روتندا سيكنالي ) وفي ليلة ٢٦/٢٧ مايس تقدمنا حول الجناح الجنوبي لـ ( بر حكيم ) وفي الوقت نفسه ذهب الايطاليون الى بر حكيم والى حقول الالغام الواقع بين الغزاة و ( علم حمزه ) وعلى مرتفعات ( نيسم العبد ) .

وفي الصباح اندفعنا نحو الساحل فجوبهنا بهجمات جوية شديدة  
ونار مدفعية قوية من اجنحتنا ، وبذل اللواء الآلي الهندي الثالث ما في  
وسعه ليصد تقدمنا ، فشققنا طريقنا خلال الهنود بعد ان خسرنا عدداً  
من دباباتنا . وكانت الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) تتقدم على جناحنا الأيسر  
فالتجمت نحو غرب ( عكرمة ) مهددة خط ( الغزاة ) من الخلف . إلا أن  
الفرقة المدرعة الاولى اشتبكت معها في معركة حاسمة مربعة في ( نايتسبرج )  
واتجمت الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) صوب ( عكرمة ) واندفعت جحافل  
معركة منها مستهدفة الوصول الى ( العدم ) وسيدي رزق ( والدودة ) .  
ولم يدم ابتهاجنا بتقدمنا السريع في الصفحات الاولى الا قليلاً إذ  
اننا اصطدمنا بلوائين بريطانيين مدرعين ( ظهر لنا بعدئذ انها اللواء آ  
الـ ( ٤ ) والـ ( ٢٢ ) . فبدأ الشك يخامرنا لأول مرة في تفوق اسلحتنا .  
واشتبكنا باللوائين المذكورين على المنحدر الواقع جنوب ( عكرمة )  
ببضعة اميال و كنت لازل اقود سريتي في الفوج الثاني من كتيبة  
المشاة الـ ( ١١٥ ) - وكانت الاوامر الصادرة لي تقضي بالوصول الى  
( عكرمة ) . ولم يكن ذلك واجباً سهلاً البتة ، لاسيما وانه لم يعزب عن  
بالنا اننا كنا خلف خط ( الغزاة ) للعدو وكنا نعلم ان له قوة دبابات  
جبارة واقفة لنا بالمرصاد .







## الباب الخامس والعشرون

### فوجي يباد

وصلنا الى حافة المنحدر وكانت الدبابات التي اسندتنا عندما شققنا طريقنا عبر الهنود ، مرابطة في الخلف وعلى الرغم من ان الاراضي التي في الشرق والغرب منبسطة نسبيا فاننا لم نشاهد للعدو اية قطععات او مدفعية ، إلا ان نيران المدافع كانت تنصب علينا من كلا الجناحين . وكانت القنابل تقساقط بيننا عندما وصلنا الى حافة المنحدر . وكنت وقتئذ في اقصى الجناح الايسر ، فلمحت عن بعد مرة او مرتين ساحبات عالية وضخمة تحسب مدافع بريطانية بسرعة .

وكانت الدبابات تظهر من بعيد احيانا فتري بضع اطلاقات علينا ثم تختفي ثانية . وهاجمتنا طائرات ( هاريكين ) فازعجتنا كثيراً بنيران رشاشاتها . وكنا نسمي هذه الطائرات بلغة الجنود العامية البسيطة « هورين كينه » ( ١ ) « قوارب الدعارة » . وقد تكرر هجوم هذه الطائرات علينا فاشتعلت النيران في ساحبتين من احسن ساحباتنا واجددنا . وكشفت اعمدة الدخان التي ارتفعت من هاتين الساحبتين موضعنا بوضوح .

---

( ١ ) « ( Huren — Kahne ) » وسبب هذه التسمية هي ان الالمان يلفظون كلمة ( Hurri cane ) « الاتكليزية التي تطلق على طائرات القتال المشهورة « هوري كينه » ومعنى هذه باللغة الالمانية ( قوارب الدعارة ) . « العرب »

وقفت عالياً في سيارتي على قمة المرتفع والشمس خلقي فرأيت في ناظوري باتجاه ( عكرمة ) سحباً كثيفة من الغبار خمنت ان الدبابات احدثتها . وكان مرسمنا في ذلك الحين واضحاً في الافق الذي كانت تنيره الشمس . فانددرنا الى اسفل المرتفع واندفعنا الى الامام دون أن نقاوم او نرمي بالقنابل .

و كانت معظم عجلاتنا منتشرة في السهل انتشاراً واسعاً وهي تتسابق نحو ( عكرمة ) . ولم نكن نرى غير دبابات قليلة أمامنا عندما بدأت قنابل العدو الأولى تسقط علينا فوقنا وادخلنا مدافعنا في الموضع وجاوبنا مدفعية العدو فقطع العدو ناره ثم ركبنا المدافع واستمررنا على التقدم . وشاهدنا أمامنا العلامات التي قد الفناها قبلاً وهي الاعمدة التلفونية التي تربط ( عكرمة ) بمقرنا القديم في البيت الابيض .

ثم شرع العدو يصب علينا نيران المدفعية الشديدة من الشرفة الصخرية قرب قلعة الصحراء الصغيرة في عكرمة فاضطررنا الى التوقف قبل ان نصل المواضع البريطانية وادخلنا مدافعنا الى الموضع ثانية . وهكذا شاء الموقف ان تتلاقى مرة أخرى مدافعنا ضد الدبابات مع عدوتها اللدودة القديمة — الدبابات البريطانية . ودسستنا عجلاتنا في واد صغير يقع قليلاً الى الغرب . وحاول الجنود بقلق ان يحفروا مواضع لأسلحتهم ولأنفسهم ، غير ان الارض كانت صخرية فاقتضى ان يبذلوا جهداً جبّاراً ليهيأوا ستراً قليلاً لحمايتهم . على ان الحظ ساعد بعض مفارز المشاة فوجدت خنادق شقية قديمة كانت قد حفرت في معركة سابقة . وبقينا ننتظر المعركة بفارغ الصبر .

وبعد ان انتهيت من اعطاء الوصايا والضابط الصف المسئول عن المدافع



الموضوعة خلفنا رأيت غزالين يقفزان بين الصخور على بعد ( ٥٠ ) ياردة أمامنا . نخطفت بندقية أحد قذاحي المدافع القريبين مني واستطعت أن اصيب غزالا بطلقة واحدة وهو مار أمامي . لقد عجبت من قابليتي ، لأنني كنت ضعيفا في الرمي عندما كنت مستجداً في الجيش . اما الآن فالظاهر انني وهبت قابلية سحرية . وجلبنا الغزال اليانا حالا فقطعناه ثم اشعلنا ناراً في الوادي حيث ترابط العجلات وشويناه .

وظل كل شيء هادئاً في قاطعي الذي كان في اليسار في حين ان السرية التي في يميني اصبحت تحت نار الرشاشات وصرت اسمعها وهي تجيب نيران العدو . فبحثت عندهم عن الخندق الشقي الذي حفره الجندي الأول ( مولر ) لي ولنفسه . وكان هذا في السابق مراسلا لي فأصبح الآن كساع للسرية بعد ان حرم الضباط دون العقيد رتبة من المراسلين بغية الاقتصاد في القوى البشرية اللازمة لخط القتال .

ونظرت في ناظوري ، الذي كان قد وضعه لي ( مولر ) بشكل ملائم على حافة الخندق ، فرأيت اننا نكاد ان نكون امام ستارات البريطانيين مباشرة فكنت اشاهد ساعاتهم يتحركون بين الصخور على مسافة لا تتجاوز ميلا واحداً . والى يميني وقف رئيس عرفاء سريتي ( تود ) مكشوقا الى حد الحصر في خندقه وقد بدأ يرمي على العدو .

وفكرت ثانية في لحم الصيد فصحت في ( مولر ) ان يركض الى الوادي ليؤكد من عدم استيلاء جنود المدفعية الجياح الذين كانوا خلفنا على حصتنا . فلم اسمع منه جوابا بل سمعت بدلا من ذلك صرخات تذبعت من حناجر عديدة وهي صرخات الحرب المعروفة في الصحراء « دبابات في اليمين ! » . وفي تلك اللحظة شاهدت ( تود ) يسقط ميتا بعد ان اصيب برأسه .

ثم ظهرت نحو اثنتي عشرة دبابة معادية من الارض الميتة الواقعة أمام السرايا التي في يميني ، وكانت من نوع لم نعرفه من قبل واثقل من الدبابات التي قابلناها حتى الآن . وقد علمت فيما بعد انها كانت من نوع « الجنرال غرانت » الاميركية التي وصل عدد منها الى الشرق الاوسط وكان هذا العدد اقل مما توقعه ( او كنتك ) بكثير . وكانت هذه الدبابات اكثر شبها بدباباتنا العلامة ( ٣ ) و ( ٤ ) من اية دبابة ارسلها الانكليز الى الصحراء من قبل . اما الدبابات السابقة التي جهزها الامريكيون — وهي الجنرال ( ستورتس ) — او دبابات « هاني » — فقد كانت سريعة إلا انها لم تكن في الحقيقة أشد تأثيراً من المدرعات .

ولا شك انها لم تكن ملائمة لمجابهة الدبابات الثقيلة .

ومسكت نار مدافعي ضد الدبابات إلا ان السرايا في اليمين فتحت نيران مدافعها ذات الـ ( ٥٠ ) ملم فشاهدت ان بعض قنابلها تنشط من الدبابات دون ان تحدث فيها اذى . ومن الجهة الاخرى كانت النيران التي يصيبها العدو على قطعائنا فظيعة . فكانت انفلاقات قنابله بين مشائنا مهلكة الى حد بعيد ) .

وفي تلك الآونة سرت رعشة في بدني اذ برزت من الارض المنحدرة صفوف بعد اخرى من الدبابات الجديدة — يقارب مجموعها الستين — وقد جاءت اليينا وجميع افواها تقذف بالنيران .

ففتحت النار بمدفعي الأيمن فتوقفت دبابة واحدة واصيبت دبابات أخرى فاشتعلت فيها النار ، الا ان معظمها اندفعت نحونا دون هودة . وساءت نفسي « ماذا اصاب مدفعي اليسر ياترى ؟ » فقد كان صامتاً وكان فيه لايزال متجهاً نحو الارض . فقفزت من خندق وبالرغم من

النيران التي كانت تصفر في كل مكان ور كضت نحو هذا المدفع . فاذا بي أرى اثنين من القдахين ممددين على الارض وكان مغلاق المدفع ممزقا - وكان مالي القنبلة مضطجعا قرب احدي الدواليب والدم ينزف من صدره بعد ان اصيب برصاصة رشاشة وهو يصيح « ماء ، ماء ! »

وانفجرت رشقة جديدة قرب هذا المدفع فكان من الواضح ان الدبابات تهاجمه من مدى قريب ومؤثر جداً . وكان الوقوف في هذا المكان معناه الموت ، فامتدت حلا وحاولت ان امسك رأس الجندي الجريح لاختف عنه .

فهر رأسه لي . وصحت في اذنه قائلا :

« سأحملك الى خندقي — يوجد ماء هناك » فهر رأسه ثانية .

ثم لشد ما اندهشت عندما رفع نفسه على قدميه ومضى يتعثر تار وبر كض أخرى الى خندقي الشقي .

واصبحت الدبابات عندئذ فوق الخطوط الامامية للقاطع الذي في يميني . فرحفت عائدا الى خندقي . لم يكن (مولر) هناك فسحبت الجندي الجريح الى الحفرة معي . وكانت زمزميتي الايطالية ملائنة بالقهوة الى منتصفها وموضوعة في الخندق فشرب منها بنهم ثم مال الى الخلف واسلم الروح وتدلج رجلاه في الحفرة والتوى جسمه على حافتها . ثم بدأت انفجارات القنابل تثور في كل جهة . وبينما اسائل نفسي « هل أنا الآن وحيد هنا ؟ » اذ جاءني الجواب من الخلف حيث كان العريف (وير) يرمي مدفعي الثالث . وكان يقذف بالقنبلة بعد الاخرى - ولكن بسالته لم تنفع الا قليلا .

واستدارت اثنتي عشرة دبابة نحونا لاسكات هذا التهديد . فقذفتنا



مدافعها بنيرانها الحامية بشدة وجعلت تندفع نحونا مباشرة . فتركنا  
ناظوري وتدحرجت الى اسفل خندقي حيث فرش (مولر) بطانية فغطيت  
بها نفسي كوسيلة للحماية لافائدة منها - وكان مقدم حذاء الجندي الميت  
يقع على بعد ست عقد من عيني .

واهتزت الارض . وكانت حنجرتي كورق السنفرة (١) - واذن  
فهذه هي نهايتي . لقد نجوت من الموت في (سيدي رزق) اما الان  
فلا مفر لي منه . وسيقولون لخطيبتى « نخبرك بمزيد الاسف ان . . . »  
وستقرأ اني مت موتة بطل في سبيل وطني . وماذا يعني ذلك ؟ يعني  
اني كنت محض لخبطة دموية في الرمل في بقعة مجهولة وقرب نقطة غير  
مهمة في الصحراء تدعي (عكرمة) . وداست دبابة على حافة خندقي  
وسمعت صوتا انكليزيا ينادي . فهل كان ذلك من شخص في الدبابة  
أم صوت جندي مشاة يسير وراء الدبابة وحربته مركبة ؟ . ان  
البطانية لانفيد شيئا ازاء الحربة ، ولكن ربما لا يروني او ربما سابق  
مضطجعا هنا فأجن . او ربما اقتل بقنبلة . او ربما تسحقني دبابة  
أخرى . ومرت الدقائق ببطء فسمعت بعدئذ اصواتا المانية . يظهر ان  
البريطانيين يجمعون الاسرى في قاطعي . وهانذا مضطجع في الخندق .  
ثم انقطعت النار وبعد نحو ربيع ساعة سمعت الدبابات تتدحرج نحو  
الجنوب وخيم السكون على ميدان المعركة ، لكنني لم ازل مضطجعا  
كشخص نائم

وعندما رفعت رأسي . كانت السماء قد عتمت بعد وميضها النحاسي

---

(١) وهو الورق المستعمل لصقل الخشب ويسمى بالالفة العادية العراقية

(كافد مودة) . المغرب

وقت العصر و كان المساء مقبلا . فلم أر علامة حياة في جميع الجهات .  
ثم جفأت من شبح برز كالعفريت من خندق شقي على بعد قليل في  
الخلف . لقد كان هذا الجندي ( مولر ) .

و كانت على وجهه علامة عذاب فناداني « هل انت بخير ياسيدي  
الملازم الاول ؟ » ثم اردف يقول بغرابة « اما أنا فلست بخير »  
فأمرته قائلاً « تعال هنا . سننتظر حتى يحل الظلام ثم نتحرك » .  
فقال مولر « ياسيدي الملازم كان لحم الغزال جاهزا للاكل عندما جاء  
الانكليز » .

وحالما خيم الظلام على ميدان المعركة أخذني ( مولر ) الى الوادي  
الذي شوي فيه الغزال . فكانت احدي نخذيته لاتزال حارة وموضوعة على  
صفحة من الحديد هناك . و كانت زمزمية ( مولر ) لاتزال تحتوي  
على شيء من القهوة . فقطعنا نتفا من اللحم الشهوي الذي كان قويا  
فابتلعناها . ولازلت اذكر كيف كنت اشعر بعصارة اللحم وهي  
تنحدر من زوايا فمي .

كان من حسن الحظ ان ابقى حيا . وذهب ما كان قد انتابني ،  
وأنا في الخندق الشقي ، من شعور بعدم اهميتي وحسي بالموت المحقق .  
اذ ان روح العزم على الحياة قوي فينا .

ولم يبق من فوجنا إلا اقله ، وقد قتل منه عدد لا يستهان به .  
ونظرت الى مدفع العريف ( وير ) - كانت دبابة بريطانية قد توجهت

نحوه مباشرة ومرت عليه فتمزق اربا اربا . اما ( وير ) نفسه فقد تمكن من الافلات ولقيناه على بعد نحو مائة ياردة في الوادي مع ثمانية من الاحياء الباقين . وكانت بعض عجلاتنا محطمة وقد غنم العدو كثيراً منها فلم يبق منها غير عدد قليل .

وتوليت قيادة الجماعة الباقية فتحررنا جنوباً . وفي نحو الساعة العاشرة ليلاً صادفنا زمرة اخرى من الاحياء الباقين من الفوج ، وتابعنا المسير معهم . وانير الجو باطلاقات التنوير ، فخمعت من لون ( منغنيها ) اللامع انها كانت المانية . فرمى احد جنودي لغرض التمييز اطلاقة تنوير خضراء تلتها بيضاء فحمراء — ثم استمررنا على المسير ، وكنا نقابل علامات التمييز هذه من حين لآخر . وبعد ساعة صادفنا سرية من المدرعات وكانت هذه قطعة خاصة تابعة لـ ( خيالة هوهمير ) التي هي وحدة الاستطلاع الخاصة برومل .

وفي صباح اليوم الثاني أخذتنا السيارات الملحقة بسرية المدرعات الى مقر الكتيبة الـ ( ١١٥ ) التي كانت قد انسحبت جنوباً . فعلنا هناك ان فوجنا قد دمر على وجه التقريب ، وان آمر الفوج المقدم ( روسكه ) الذي التحق بنا في آذار أخذ أسيراً ، وكنت أنا آمر السرية الوحيد الذي نجا من الموت بل ولم يبق من ضباط الفوج إلا أنا وضابط آخر .

اما المراتب فبقي منهم نحو ( ٣٠ ) من نحو ( ٣٥٠ ) ضابط صف وجندي اشتركوا في المعركة . وقد وزع الباقون من فوجي على فوجي الكتيبة الآخرين الى ان تم إعادة التجنيد . وبعد ان اعيد تكوين الفوج اشترك في معركة العلمين أخيراً .



ولقد اعتبرت بعد ذلك أهلا لتولي منصب آمر فوج وجعلت في احتياط الفرقة . ثم الحقت بمقر السكتية واشتركت مع القطعات التي هاجمت طبرق . وبعد انتصارنا هناك ساعدني الحظ لأن أطير الى المانيا بالجزء ، وكانت مدة اجازتي الاصلية ثلاثة أسابيع إلا انها مددت الى ثمانية . ولاشك انه كان للضابط الشاب الآتي من الصحراء حكايات كثيرة — من بينها قصة طبرق — فاتمف بها الذين بقوا في الوطن



## الباب السادس والعشرون

### في الميزانه

كان ذلك اليوم الذي أبعد فيه فوجي يوما جنونيا في المعركة ، وكانت طرق لا تزال هدف رومل . لكننا كنا في مأزق حرج . ونراى لنا لمدة طويلة كأننا سنكون المغلوبين وليس الغالبين في هذا الصراع الصحراوي القاسي . وقد استطاعت إحدى جيحافل المعركة من الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) ان تقضي على مقر امير اللواء ( مسيرفي ) قائد الفرقة البريطانية المدرعة السابعة وان تأخذه أسيراً مع جميع هيئته أركانه وكان هذا القائد يرتدي القميص والسر وال القصير ولا يحمل علامات الرتب ولذلك لم نعرف هويته فاستطاع ان يهرب في غمار الاضطراب الناجم عن هجوم مقابل ، ولم نعرف انه وقع في ايدينا إلا بعد ذلك بوقت طويل .

وجاهتنا صعوبات جمّة . فقد اسقطت طائرة « اللقلق » للفريق ( كرويل ) فوق مواضع الفرقة البريطانية الـ ( ٥٠ ) في خط ( الغزالة ) فأخذ اسيراً ، وكان رومل وهيئته أركانه معنا في الامام كالعادة ، فعاش القائد حياة مخوفة بالاحطار دون ان يصاب بضرر . إلا ان ( كاوزه ) قد جرح فتولى ( بايرلاين ) منصبه كرئيس لأركان رومل وجي .

بـ ( نهرنك ) بالطيارة عبر البحر المتوسط ليحل محل ( كرويل )

وتعرقل تقدمنا بشكل سيء في ( غوط الوالب ) حيث كان اللواء

البريطاني الـ ( ١٥٠ ) يحتمل موضعاً قريباً هناك وقد فشلت جهودنا في حرق حقل الانغام ، وكان علينا ان نعتمد في تمويننا على الطريق الطويل للكشوف المار حول ( بر حكيم ) . فتحرك معظم قوتنا جنوباً بأوامر من رومل ليتصل بقافلة تموين كانت القوة الجوية البريطانية قد قصفتها قصفاً شديداً .

والتقت معنا دبابات البريطانيين يوم ٢٩ مايس ، فنشبت بينها وبين دباباتنا معركة مستميتة ، وكانت امامنا فرقة مدرعة كاملة ( ١ ) مع لوائين آخرين ، إلا ان زوبعة رملية هبت بعد الظهر فأنهت المعركة . إذ لم يكن الانسان يرى اثناءها عدوه من صديقه ، ولو استمرت هذه المعركة لكان من المحتمل ان تكون نتيجتها سيئة بالنسبة اليها ، وربما بقيت ( طبرق ) بأيدي البريطانيين .

وفي فجر اليوم الثاني جاء البريطانيون ثانية الى حيث كنا مرابطين إلا اننا تراجعنا تدريجياً نحو الغرب دون ان يضطربنا العدو على التورط في انسحاب عاجل . على ان الايطاليين تمكنوا اخيراً ، في المعركة التي جرت قبل يوم من ان يفتحوا عنوة ثغرة خلال حقل الانغام في نيسم ( العبد ) ونيسم ( كابوزو ) فتيسر لنا بذلك مجال نستطيع منه الانسحاب الى غرب خط ( الغزالة ) ثانية عند الحاجة او فتمكن بواسطته من ادامة قطعائنا القائمة بالحركات الالتفافية بصورة احسن من قبل ، وقد قصفت الفرنسيون والبريطانيون هذه الثغرة من كلا الجانبين قصفاً شديداً إلا انها ظلت مع ذلك قابلة للمرور .

وقرر رومل ان يسحب دباباته الى الخلف خلال الثغرة فاستخدمنا



طريقتنا المجرية استر الانسحاب ونظمنا حجابا من مدافع ضد الدبابات على قوس واسع على طرفي نيسم ( العبد ) وفي الجانب الشرقي من الثغرة . وكان الجناح الايمن للحجاب مستنداً على حقل الالغام البريطاني .

وجاءت الدبابات البريطانية من الجنوب محاولة احاطة حجابنا هذا ، إلا انها كانت على مسافة بعيدة . وبالإضافة الى ذلك ظهر ان امير اللواء ( ريجي ) صار يفكر الان فيما اذا كان قد حان له الوقت ليتحول الى التعرض فيرسل دباباته حول ( بئر حكيم ) من الجنوب ليحيطنا بدوره من الجناح والخلف .

وفي ذلك اليوم نفسه كان قد قرر — كما علمنا بعدئذ — ان يهجم بالفرقتين الافريقية الجنوبية الـ ( ٥٠ ) على الطريق الساحلي هجوم مشاغلة ليحول انظار قواتنا عن حركة دباباته في الجنوب . إلا ان تشكيلاته لم تكن جاهزة للهجوم المقرر .

وفي اليوم التالي شعر ( ريجي ) ان رومل لم يدحر وانه لا ينوي الانسحاب بل كان يعيد التجهيز فقط غرب ثغرة حقل الالغام . وقد سبق له ان وضع الخطط لاستئناف الهجوم في اللحظة التي يتمكن فيها من ذلك .

## ٢

مر اليوم الذي كان مقرراً فيه احتلال طبرق . ولم نكن مرتاحين في التنوء الذي كنا نحتله في نهاية حقل الالغام اذ كان العتاء قليلا ومواد التموين تأتي عبر الثغرة بصعوبة وبكميات قليلة وقد هاجت القوة الجوية البريطانية كل قافلة تموين جاءت الى الامام هجوما عنيفاً وكان الافرنسيون

الاحرار لايزالون يقاتلون بشجاعة وقد استولوا على بعض الاسرى في  
هجماتهم المقابلة . وبدا لنا ان الاحتياطات السيارة للجيش الثامن التي كانت  
مقدمة علينا قد تتمكن من محاصرتنا . وكنا جالسين وكأنا في  
قفص بين حقل الالغام والعدو . وكان عتادنا قليلا وارزاقنا ناقصة  
وماؤنا غير كاف . ولم يكن لدينا ما نتمكن من الاستغناء عنه لاسرانا  
الذين كان معظمهم من جنود اللواء الهندي الالي الثالث حتى ان جنودنا  
كانوا يخرجون الماء خلسة من مبردات العجلات لغرض الشرب .  
وكان مصير فيلق افريقيا متوقفاً على امكان تأسيس المواصلات  
بصورة جيدة عبر حقل الالغام .

وقام رومل ثانية بعد ظهر يوم ٣١ مايس . فزج بكل مالهيه في  
هجوم ضد اللواء الـ ( ١٥٠ ) . فجاءت الدبابات البريطانية لمعونة المشاة  
إلا اننا تغلبنا عليها عند ظهر اليوم الثاني اذ قضينا على القسم الاعظم من  
احدى الوبة دبابات العدو (١) . وقد قام ( ريجي ) أيضا بهجوم مقابل  
بلواء بريطاني آخر من الشمال وبلواء هندي من الشرق (٢) الا ان كلا  
الهجومين قد فشلا .

وكان غرض ( ريجي ) ان يشق طريقه بالقتال عبر حقل الالغام  
وان يرسل ادباباته غربا لتسد ثغراتنا فتضطر دباباتنا للاشتباك في

(١) لواء دبابات الجيش الاول .

(٢) قام ( ريجي ) بهجومه المقابل الرئيسي يوم ٥ حزيران بالاوراين الهنديين  
التاسم والعاشر ( وليس بلواء هندي واحد كما يقول المؤلف ) . وكان يسندهما  
الواء المدرع الـ ( ٢٢ ) من الشرق . اما الواء الهاجم من الشمال فكان الواء  
الـ ( ٦٩ ) وقد اسنده لواء دبابات الجيش الـ ( ٣٢ )

معركة أخرى معها بينما يحاول الافريقيون الجنوبيون في الشمال التقدم على الطريق الساحلي . غير ان محاولة البريطانيين هذه قد خابت . وكانت النتيجة باختصار ان ( ريجي ) فقد اربع كتائب من مدفعية الميدان ولواء آ هندية (١) والفوج الآلي للواء مدرع (٢) . وحطمنا عدداً كبيراً من الدبابات علاوة على الخسائر الكثيرة التي تكبدتها الوحدات الأخرى . واضطرب نظام العدو بشكل سيء . لأننا قضينا على المقر القوي لحدى فرقه ومزقنا مواصلاته بتحطيم عدد من وحدات مخبرته .

واصبح رومل الآن هو الغالب واظن انه خمن في مساء ٥ حزيران ان ( طبرق ) أصبحت في جمعيته !

---

(١) وهو اللواء الهندي العاشر بقيادة الزعيم ( باوشر ) .  
(٢) وهو اللواء المدرع الـ ( ٢٢ ) بقيادة الزعيم ( كار )



## الباب السابع والعشرون على أبواب (طبرق)

استخدم رومل الآن الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) للهجوم على ( بئر حكيم ) وكان هذا تشكيلا ذا قابلية حركة عظيمة ومدربا في الاصل للقيام بحركات خاصة في الشرق الاوسط ( وقد عهد الي فيما بعد بقيادة فوج من هذا التشكيل ) . ولكن على الرغم من هجمات طائرات (شتوكا) ونيران المدفعية الكثيفة ثابر رجال ( كونيك ) الافرنسيون على الدفاع عن انفسهم بعناد ، وقد قاوموا حتى ليلة ١٠ حزيران حيث كان يجري تموينهم جوا . ثم تعذر على البريطانيين تموينهم بعدئذ فأمروا بالانسحاب ونجح قسم كبير منهم في الخروج من الحصار والالتحاق بالجيش الثامن في الشرق ، وكان دفاع هؤلاء المجيد اول علامة من علائم احياء روح القتال الافرنسية منذ اندحار فرنسة سنة ١٩٤٠ . ففي هذه المرة صمدوا ازاء رومل العظيم قائد « فرقة الشبح »

لقد اخترق الآن خط ( الغزالة ) من مكانين مع ان مواضع قطعات ( بينار ) الافريقية الجنوبية لا تزال سالمة في النهاية الشمالية من هذا الخط ، وقرر رومل ان يجازف في الاندفاع نحو ( العدم ) فتقدمت الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) الى الامام تتبعها الفرق المدرعة التي كانت قد ضعفت نتيجة القتال واستطاعت ان تحتل الارض الواقعة جنوب مطار (العدم) وفي تلك الايام حدثت في ( نايتسبرج ) معركة الدبابات الفظيعة الحاسمة .

ويعزى سر انتصارنا فيها الى تفوق القوة الضاربة لدبابتنا ومدافنا  
ضد الدبابات ليس الا ، واندحرت بنتيجة تلك الدروع البريطانية .  
وبخسر ان معركة الدبابات هذه كانت ( طبرق ) قد ضاعت في الحقيقة .  
ولما ساء موقف دبابات ( ريحي ) شعر بأن فرقة افريقيا الجنوبية  
والفرقة الـ ( ٥٠ ) اصبحتا في خطر فسحبهما . فضربت الفرقة الـ ( ٥٠ )  
عرض الصحراء وشقت طريقها بالقتال خلال تشكيلاتنا لتصل الى  
( طبرق ) وعلى الرغم من تكبدها خسائر فادحة فان معنوياتها لم تتأثر على  
ما يظهر .

اما فرقة افريقيا الجنوبية فانها خرجت سالمة تقريبا ما بين مساء  
١٤ حزيران وبعد ظهر ١٥ منه مستفيدة من ثلاثة طرق في انسحابها  
من المنحدر الى الطريق الساحلي وجئنا بالقطعات والدبابات الى اسفل  
المنحدر فقطعنا الطريق الساحلي الا ان كثيرين من العدو استطاعوا  
الوصول الى ( طبرق ) من النياسم الوعرة القريبة من البحر .

وكان ( او كنهك ) قد قرر مبكراً ، كما استنتج رومل فيما بعد ، اجتناب  
حصار ثان في ( طبرق ) . وكانت خطته تتلخص في احتلال الحصن  
وابعاد قوات رومل وذلك باحتلال مواضع صحيحة من الوجهة التعبوية  
على مسافة مناسبة جنوب نطاق ( طبرق ) وجنوبها الغربي مع الاحتفاظ  
بقطعات ثابتة وبارتال سيارة تستند على الأماكن الدفاعية كقاعدة  
لحركاتها .

والظاهر ان ( او كنهك ) بعد استيلائنا على مواضع ( الغزالة ) اصدر  
اوامره بوجوب ايقافنا على خط يمتد من ( عكرمة ) الى ( العدم ) ثم  
يتجه نحو الجنوب وبمنعنا من احاطة القلعة بها كلف الأمر . ولم يتخل

(او كذلك) عن خطته التي تنطوي على القيام بتعرض مقابل بالتشكيلات التي سيعيد تنظيمها حالما يتلقى التقويات من سوريا (١) — وقد ابدى رومل أسفه لأنه لا يستطيع ان يفعل شيئاً ليحول دون وصول هذه التقويات — على ان ( او كذلك ) احضر في نفس الوقت مواضع دفاعية على الحدود المصرية . وكان قد جرى تعزيز حامية (طبرق) فصارت تحتوي على اربعة او خمسة الوية مشاة مضافا اليها دبابات المشاة البطيئة والمدفعية — إلا ان المدفعية لم تكن كافية كما وجدنا ذلك بعدئذ .

وتولى قيادة القلعة الفريق (كلوبر) قائد فرقة افريقيا الجنوبية الثانية . فقام اللواء آه الرابع والسادس مع اللواء مختلط من فرقة (بينار) الاولى باشغال القاطع الواقع غرب (طبرق) من البحر حتى طريق (العدم) . وكان اللواء السادس في اقصى الغرب والرابع قريباً من الجناح الجنوبي وكان اللواء آن يستران القاطع الذي هاجمه رومل مراراً في ١٩٤١ عندما كان الاستراليون يحملون (طبرق) .

وكان اللواء الهندي الـ (١١) (٢) يشغل القاطع الواقع شرق الافريقيين الجنوبيين . وهو القاطع الذي كنت مهتماً به بصورة خاصة ، اذ اننا كنا سنهاجم القلعة في هذه المرة من (الدودة) التي جرت باستقامتها حركة خروج البريطانيين من (طبرق) في تشرين الثاني الماضي والتي قرر رومل ايضاً الهجوم على القلعة منها . وفي نفس اليوم الذي تولى فيه (كلوبر) القيادة (١٥ حزيران) وصل جحفل الاستطلاع المدرع الذي يقوده (ريتا يستر فون هوهمير) ، والذي كان تحت سيطرة

(١) وهذه هي مقر الفيلق العاشر والفرقة النبوزيلندية .

(٢) بقيادة الزعيم (اندرسون) .



رومل الشخصية الى ( سيدي رزق ) . فادخل ثعلب الصحراء حلا التعديلات النهائية على خطة الهجوم .

ولقد اصبحت ( طبرق ) تشغل بال رومل كثيراً وكانت رغبة الاستيلاء عاها تسيطر على فكره . مدة تزيد على سنة وان كان مشغولا خلال ذلك بحركات أخرى . وقد قال انه لا يستطيع احتلال مصر اذا ترك ( طبرق ) خلفه . وكانت الخطة التي وضعها للهجوم في تشرين الثاني والتي فكر في تفاصيلها بدقة عظيمة قد احبطت بحركة « كروسيدير » . اما الآن فهو متفوق ثانياً وقد عزم على تطبيق خطته القديمة بحذافيرها وباقصى ما يمكن من الدقة في التوقيت . وقرر ان يستخدم كل مالهديه من القوة المتبصرة .

ووجدت نفسي مرة أخرى في الارض التي اعرفها جنوب (العدم) . وكان رومل يتنقل بيننا طول الوقت بقامته القصيرة تبدو عليه امارات العزم ، ويتصرف كما كان يفعل في الاشهر التي كنت فيها بجانبه . وجعلت نيران مدفعية العدو وقوته الجوية حيانا تعبسة . فكان الهجوم الذي قام به جحفل معركة من فرقتنا المدرعة الـ ( ١٥ ) نسلية لنا . وقد دافع البريطانيون عن مواضعهم بثبات تسندهم الدبابات . وارسلت الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) جحفل معركة للهجوم على الهنود في ( سيدي رزق ) الا انه صد بالمدافع والقصف الجوي . وبينما كانت الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) تقوم بهجوم ضعيف باتجاه (العدم) تحرك القسم الاعظم أيضاً من الفرقة الـ ( ٢١ ) من الوادي نحو ( سيدي رزق ) فاستولوا عليه في اليوم الثاني .

وانسحب المدافعون (١) عن (العدم) خلافا لرغبة ( او كينك ) .

على ما اظن ، اذ انه كان ينوي تعزيزهم بقوات أخرى ليتسنى لهم الاحتفاظ بمواضعهم . وبانسحاب هؤلاء بات مصير حامية ( طريق ) مقررأ أكثر من ذي قبل .

وفي يوم ١٧ حزيران رأت عيني ثانية مسجد ( سيدي رزق ) من المكان الذي سبق ان جرحت فيه قبل سبعة اشهر والذي مني به الافريقيون الجنوبيون بنحسائر فادحة . وقد حدث قتال عنيف آخر بعد ظهر هذا اليوم اذ زج رومل نحو مائة دبابه من دبابتنا ضد اللواء البريطاني المدرع الرابع فحطم جميع دباباته عدا عشرين منها . وتراجعت الدروع البريطانية الى ( غامبوط ) تاركة ( طريق ) من دون حماية .

ورأيت في ذلك الحين عجلة القيادة المعهودة — الماموث — تتدحرج على منحدر ( العدم ) ثانية ورومل جالس في وضعه المعتاد في فتحة السقف . فقال :

« لقد تحطم المدرع الذي كان يجب ان يحمي الجانب الضعيف من القلعة شرق هذا المكان . فاكتمسبنا بذلك الجولة الاولى قبل ان نخوض المعركة لحرق النطاق الحمايوي المباشر حول طريق . وينبغي لنا الاستفادة من هذا الموقف حالا . فعلى جميع التشكيلات ان تهجم على القلعة بجميع مالدتها من حول وقوة » .

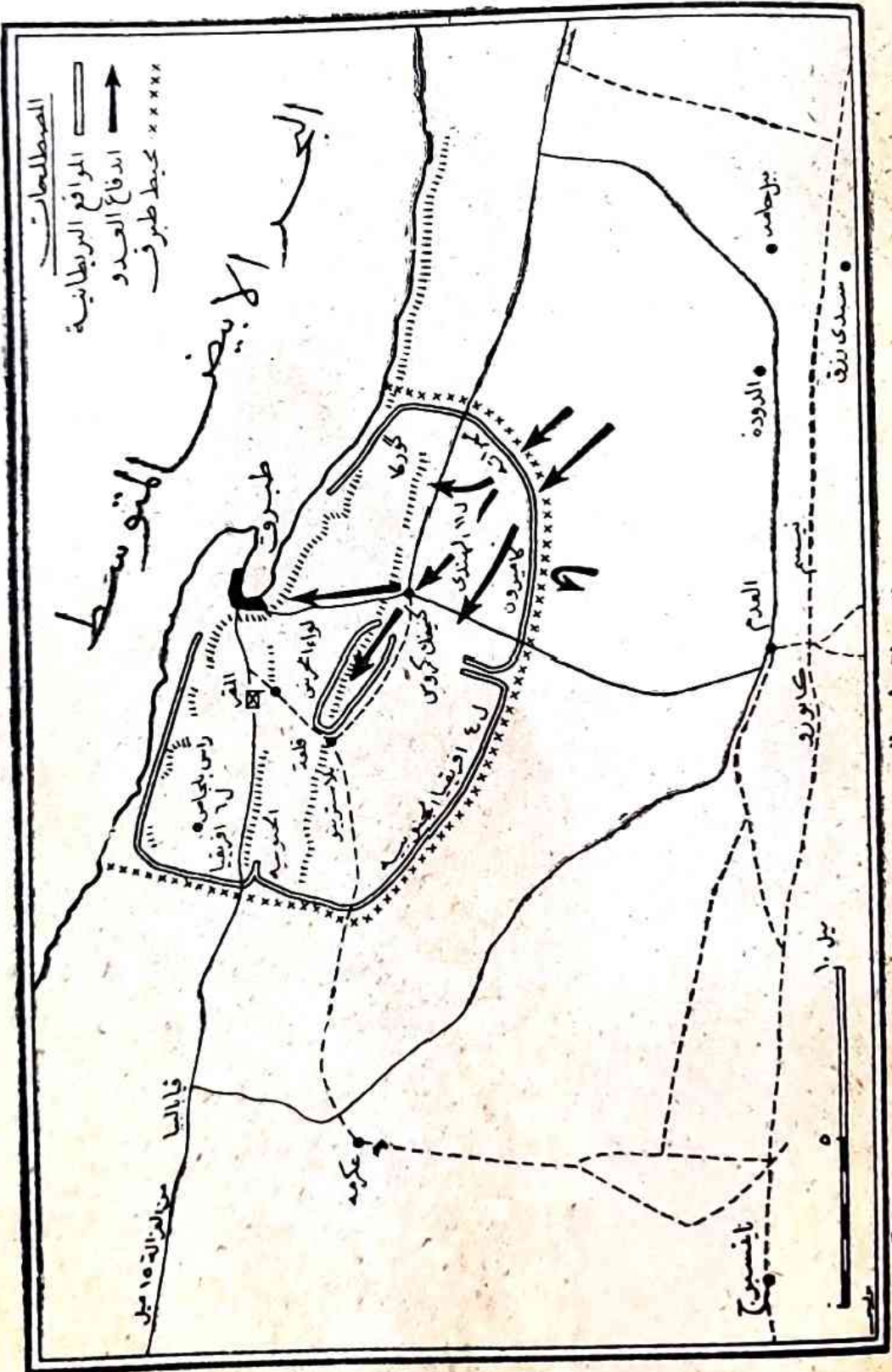
## الباب الثامن والعشرون

### تخطيط طريق

لم تكن تلك الايام من حزيران ١٩٤٢ حارة في الصحراء إلا ان لياليها وساعات الصباح المبكرة كانت ياردة ، وأظن انه لم تكن ثمة ليلة أبرد من ليلة ١٩ — ٢٠ حزيران . وربما كان السبب الذي جعلني احس بالبرد وارتجف كثيراً التهييج الخفي الذي يصيب المرء عادة قبيل كل حركة ، وكانت الليلة هادئة إلا من بعض الانفلاقات التي تحدث من حين لآخر غير انها كانت ستقلب بعد ساعات قلائل الى ليلة مجنونة . وكانت جماعات من الاشباح الزاحفة مزدحمة في واد صغير في الدودة وهي ملتفة بالبطانيات الصوفية ، ولم يكن ثمة كلام في الغالب إلا همسا كأن جنودنا كانوا يخشون ان يسمعهم العدو مع انه ربما كان على بعد اميال منهم — واذا كان هنالك كلام فهو رثرة في غير محله — وشبهه بأي كلام يقال قبل المعركة . وكان بجانب كل مجموعة قتال — مؤلفة من هندسة الصولة وقطعات المشاة الصاعقة — اسلحتها والمعدات اللازمة لها والتي زودت بها من النهار وذلك كالمفرقات والقنابر وكاشفات الالغام ومقصات الاسلاك وقاذفات اللهب وشموع حجابات الدخان والرشاشات والعتاد ولم تبق إلا دقائق قليلة لساعة الصفر

وكان في الوسع التفكير خلال هذه الدقائق القليلة — ولا سيما من قبل الذين اشتركوا معنا في الهجمات العديدة الفاشلة خلال شهري نيسان





سقوط طبيرق



وأيار من السنة الماضية عندما كنا في قاطع ( بلاسترينو - ميداوا ) .  
فهل نشأ هذا التفاؤل بنتيجة انتصار اتنا الاولى ؟ ام كان سببه شعورنا  
بأن (طبرق) لا يمكن ان تكون مهينة في هذه المرة كما كانت سنة ١٩٤١  
- وقد كنا في الواقع واثقين من ذلك - ام كان السبب هو لأنني منذ  
عرفت جهة ( طبرق ) جيداً اعتبرت الدودة أحسن مكان يمكن منه  
الهجوم ؟

وطأت بي الذكري الى بداية نيسان ١٩٤١ عندما أمرني رومل  
أثناء جولته في هذا القاطع ان اقود دورية استطلاع ليلية . فاستطلعت  
بهدهو انا و ( هاندت ) - وكان هذا ضابطاً مجرباً من الفرقة الخفيفة  
الخامسة - الموضع الذي نحتله الآن والارض الواقعة امامها . وكان  
مع كل منا ثلاثة جنود يديرون كاشفات الالغام .

وبعد عدة ساعات وجدنا طريقنا الى الامام الى اقصى مواضع  
الخنادق . وقد فوجئنا عندما وجدناها خالية .

وقبل طلوع النهار زحفنا عائدين باتجاه يكاد ان يكون شمالياً  
وموازياً لطريق ( البردية ) . وقد اهتم رومل بتقريرى اهتماماً عظيماً إلا  
انه لم يكن مستعداً لاجراء أية حركة مهما كان نوعها على هذا القسم  
من النطاق . على ان اشتراكى في هذه الدورية كان مفيداً لي إذ صرت  
اعرف الآن طبيعة الارض .

وبلغنا بالامر « تهيأ » بالهاتفون ، وكان ذلك بعد منتصف الليل



بقليل - فأطفأت السكاير وبدأت الاسلحة والمعدات تطلق ، ونهضت الاشباح السوداء من كل مكان . فركبنا عجلاننا وسقناها بحذر لمسافة اقرب الى هدفنا ثم ترجلنا وتقدمنا الى الامام نقطع الاميال القلائل الباقية سيراً على الاقدام ، بعيون مجهدة وآذان مرهفة ، وقد ساعدني على توجيه نفسي نجم القطب اللامع الذي كان في النصف الايمن من السماء .

وبدأت كاشفات الالغام بالعمل إلا انه لم تعترض تقدمنا اية الغام . وكانت محارات البحر - وهي آثار العصور الغابرة عندما كان البحر المتوسط يغمر هضبة الصحراء هذه - تتكسر تحت اقدامنا محدثة صوتاً ينم عن تقدمنا .

ثم لاحت الاسلاك الشائكة في سواد الليل ، فبدأت مؤشرات كاشفات الالغام تتحرك منذرة بخطر خفي . وكان كل شيء هادئاً في خطوط العدو عدا بعض القنابل التي كانت تهف عالية فوق الرؤس .

وزحفت جنود المشاة الى المواضع بهدوء . فتقدم جنود قلائل من هندسة الصولة الى الاسلاك الشائكة تحت ستر اسلحتنا ، فقطعوا اسلاك المانع واحداً بعد الآخر ورفعوا عدداً من الالغام ثم عادوا اليها زاحفين . وانبطحنا على بطوننا وانتظرنا لحظة الهجوم في الفجر .

وسمنا من احدى الجهات اصوات رمي رشاشات ( فيكرس ) اعقبها صليات قصيرة وسريعة كانت تنبعث من رشاشة المانية . فلابد وان قطعات الصولة في جناحنا قد امنت التماس بالعدو او انها ربما اصطدمت بدورية . ثم هدأ كل شيء مرة أخرى وبقينا ننتظر اشارة الهجوم .

ولاح الفجر الكاذب في السماء ثم طلع النهار . ففتحت مدافعنا ناراها

وشرعت رمي نطاق العدو اولا باطلاقات منفردة ثم بشدة متزايدة .  
وانتجرت الاطلاقات على بعد لا يتجاوز ياردات قليلة أمامنا . فصرت  
أخشى أن تضطر الى رمي اطلاقات التنوير كإشارة لمدفعيتنا فنكشف بذلك  
مواضعنا . على أن السد الناري لمدفعيتنا زحف الى الامام .

ثم بدأ دوي طائرات ( شتوكا ) وهي تقترب — فوضعنا باعتماد  
شق الدلالة التي كنا قد جلبناها معنا . فقد سبق أن ذقنا طعم قنابر  
طائراتنا هذه ( وقد حدث ذلك ثانية في العلمين ) .

وبدأت المعركة — ففي الجناح البعيد الذي سمعنا فيه صوت الرمي  
من قبل ، انفتحت النيران من الرشاشات ومدافع الهاون . وامالت  
الطائرات انوفها فانقضت مارة فوق رؤوسنا واتجهت نحو نطاق العدو ،  
وانحدرت قنابلها وهي تصرخ فاصطدمت في حقل الالغام . لقد ابتدع  
رومل حيلة جديدة في الصحراء . فلم يكن يقصف المدافع بل يريد  
أن يشق طريقاً عبر حقل الالغام ثم تتابع اصوات الاصطدامات  
الواحدة بعد الاخرى فاصبحت متواصلة ، وكانت كل قنبرة تطلق سلسلة  
من الالغام كما يستمر الانقسام الذاتي للذرة بعد صدمة الانفلاق الاولى  
واستدارت طائرات ( شتوكا ) الى الوراء وحملات قنابرها فارغة  
ومحركاتها تهدر ، فطارت بارتفاع واطيء فوق رؤوسنا من دون أن  
تعرضها القوة الجوية البريطانية التي كانت قد طردت من مطار (غامبوط)  
فلم تكن ثمة « قوارب دعارة » لتزعج قوتنا الجوية .

وعندما سقطت القنبرة الاولى ، رأيتنا في الامام اشباحا تتحرك الى  
الخلف تلتمس لها ملجأ — وكانت هذه ستارات العدو . على أننا كنا  
نتمدين في واد غير عميق ويبدو انهم لم يرونا . وقد حانت لحظة الهجوم

الآن — ففرغنا شرائط رشاشاتنا بصليبات سريعة ومعاقبة نحو الارض التي اختفى فيها العدو وصيبنا نيراننا على بناء منفرد مرئى كان يوحى بوجود نقطة قوية فيه . وقفز مهندسو الصولة من مكانهم فتقدموا الى الامام . وكانوا يحملون المفرقات لتحطيم موانع سلكية أخرى . ثم فتحت علينا نار جهنم . اذ جابهنا مدافعو اللواء الهندي ال (١١) (١) بنيرانهم الحامية ، وكانت احدى الرشاشات ترمينا من الجانب باستمرار بصليبات طويلة . لكن جنود هندسة الصولة استمروا في التقدم دون هوادة . واطلقوا اطلاقات التنوير كاشارة للمدفعية فزحف السد الناري الى مسافة ابعد ثم اشعلوا شموعهم الدخانية . وكانت هذه اشارة لنا بالتقدم . فاندفعنا الى الامام تحت ستر حجاب الدخان . وسقط جنود قلائل منا ، غير ان قفزاتنا الطويلة اوصلتنا الى الخندق الأول بسرعة . وكان فارغا . فوجدنا فيه سترأ مناسباً وساحة رمي جيدة . وكان مشاتنا الآليون يزحفون مع مدافع ضد الدبابات والدبابات الساندة نحو الثغرة التي حدثت في الاسلاك تحت وابل من نيران قنابل ( طبرق ) التي صارت تنساقط وراءنا .

وعالجت هندسة الصولة حفرة ضد الدبابات التي كان فيها الطين فأسست عليها جصراً وملأتها بالتراب ، وتابعت الدبابات زحفها الى الامام وأخذ مشاتنا المعززون يقفزون من خندق الى آخر ، فوقفت لحظة لأنظر الى جناحنا الايمن فاذا بنا قد تقدمنا تقدماً جيداً هناك ، وكانت قطعانا

---

(١) وكان مؤلفاً من فوج ( كامبيون هايلندرس ) الثاني لجلالة الملكة وفوج ( مبراطة ) ٥/٢ وفوج ( الكوركا ) ٧/٢ .



في هذا الجناح قد جاوزتنا وصارت ترمي بنيرانها الجماندية مواضع العدو التي امامنا . ان هذا حسن - وانها لمساعدة عظيمة لنا .

ولم تقصفنا مدفعية طبرق بشدة لان الثقل الرئيسي لقصف العدو تحول على الدبابات والمشاة الاكبيين للفرقة المدرعة الـ (١٥) وكنا نحن داخل مواضع العدو الرئيسية تقريبا .

وأخر تقدمنا برهة من الزمن حقل الغام غير متوقع ، ثم اخترقته الدبابات وتبعتها المشاة ومدافع ضد الدبابات ، وقاومنا الهنود بأقصى ما في وسعهم وخاصة فوج مهراطة ( ٥ / ٢ ) إلا ان الظاهر انهم انصهقوا بهجومنا الفجائي وبصدمة قصف طائرات (شتو كا) وجاء جنود الكور كا ( ٧ / ٢ ) يتسابقون في ناقلات برن للقيام بهجوم مقابل . إلا انهم شتتوا بمنة ويسرة بالنيران المتمركزة للرشاشات ومدافع ضد الدبابات والحوارين .

وكانت الساعة في الساعة والنصف او بعدها عندما بدأت مدفعية طبرق تصب علينا نيرانها المتمركزة بصورة حقيقية - إلا ان ذلك كان بعد فوات الاوان - وحاول العدو ان يعقب بناره الدبابات التي كانت بيننا ، لكننا كنا في ستر جيد وفرحين به .

وجرى الهجوم وفق الخطة المرسومة تماما لكنه نجح قبل الوقت المتوقع . وخسرنا بعض القتلى والجرحى إلا ان الخسائر كانت قليلة نسبياً . وارسلنا الى الخلف اول وجبة من اسرانا ثم تابعنا التقدم . فانصل جنودي مع بعض حاملات القطعات من الكتيبة الـ ( ١١٥ ) .

وبعد ظهر ذلك اليوم زحفت دبابات رومل بثبات يسترها خط من مدافع ضد الدبابات المتحركة من كتيبة المشاة الآلية الاولى نحو هدفها

الاول وهو تقاطع طريقى ( طبرق - البردية ) الذى كان يسميه مدافعو ( طبرق ) ( كينكس كروس ) .

وكننا نعلم منذ سنة ١٩٤١ ان العدو قد عيى أشد بطرياته تأثيراً في هذه المنطقة . فوقفنا عن التقدم اولا نيران عدة بطريات من المدفعية الملكية ثم انصبت علينا نيران مدفعية افريقية الجنوبية على ما اظن . إلا ان دباباتنا ومشاتنا حطمت المدافع او سحقتهما الواحد بعد الآخر .

والتقت دباباتنا الأخرى بكتيبة الدبابات الملكية الرابعة قرب ( كينكس كروس ) فزقتها . وكانت الدبابات البريطانية هذه وحدة مختلطة ارسلت على عجل الى الامام كقوة هجوم مقابل . ويظهر انها كانت ناقصة التنظيم وحر كانتا غير منسقة مع اسناد المشاة . كما انها لم تكن تضاهي دباباتنا العلامة (٣) و (٤) — ولذلك فلم يبق منها صالحاً وقت الضحى غير ست دبابات فقط ، فوات هاربة من ساحة القتال .

وحاولت بضع دبابات اخرى — نحو سرية او مايعادها — الهجوم علينا من المكان الذى كان لا يزال فيه جنود ( الكامرون هايلندرز ) من اللواء الهندي يقاتلون بكل ما في وسعهم . الا ان هذه ايضا تحطمت بمدافع ضد الدبابات للفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) على جانب ( البردية ) من ( كينكس كروس ) . ولم ينبج من هذه المعركة غير اربع دبابات فقط حسبما افاد جنودنا بعدئذ .

على ان دباباتنا لم تبد اهتماما بالدبابات القليلة الباقية . فقد كانت خطة استخدامها تقضى بأن تشق القلعة الى قسمين باندفاعها شمالا نحو الميناء . وقد علمنا ان الافريقيين الجنوبيين لم يشتركوا في المعركة حتى ذلك الوقت

لقد كانوا ينتظروننا عشاءاً لأنها جمعهم جبهوياء في قاطعهم . غير أننا صرنا الآن داخل القلعة وخلفهم فاستدارت لذلك مجموعة من دباباتنا غرباً مع عناصر من الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) لتأسيس جناح غربي لمجابهة احتياطات مشاة العدو هذه وللمعالجة لواء الحرس الـ ( ٢٩ ) .

واندفعت على الطريق ( ١٤ ) دبابة يرافقها مشاة آليون من فرقنا المدرعة الـ ( ١٥ ) متجهة صوب الميناء على الرغم من نيران مدفعية الدفاع والنيران غير المجدية التي كان يرميها مشاة العدو والراكبين على العجلات فاستطاعت دباباتنا ، تسندها كتيبتنا الـ ( ١١٥ ) سحق بطريات بريطانية أخرى . ثم تمكنا بعد قليل ان نرى الميناء بوضوح وكانت سفينتان صغيرتان تمخران بشدة وهما تحاولان الهروب . فصوبنا عليهما مدافع ( ٨٨ ) ملم ضد الطيارات إلا أنها كانتا قد ابتعدتا كثيراً في البحر .

ثم اندفعنا نتسابق داخل القلعة مارين بهجلات عديمة الحركة - وكانت هذه معدة لأن تستفيد منها حامية العدو المغلوبة عند قيامها بحركة خروج من القلعة - فوصلنا الى الميناء حسب الخطة الموضوعة قبل الظلام . وهكذا مزقنا طبرق واحدنا فيها اضطراباً على الرغم من أننا لم نكن قد تبادلنا النار مع القسم الاعظم من الحامية وهي قوات ( كلوبر ) الافريقية الجنوبية .

وكان رومل بنفسه داخل قلعة ( طبرق ) منذ منتصف النهار ، وكان الأسرى يمرون بماموته في تقاطع ( كنكس كروس ) إلا ان قليلين منهم ادر كوا على ما يظهر ان الشخص القصير القوي البنية الواقف على سقف العجلة ورجلاه متباعدتان يشاهد بناظوره تقدم دباباته كان



هو « ثعلب الصحراء » نفسه . ولقد ايقن رومل الآن ان الأمنية التي كان يطمح اليها والغرض الذي كان ينشده منذ اربعة عشر شهراً قد تحققا . ولم يكن الفريق ( كلوبر ) كما استطعنا ان نستنتج ، بعيداً في ذلك الوقت . ففي الساعة الرابعة بعد الظهر كانت الدبابات على بعد نصف ميل منه . ويظهر انه نقل مقره عندئذ لسبب قهري . ولا ريب انه لم يكن في وسعه ان يفعل غير ذلك .

وارتفعت اعمدة الدخان الكثيفة الى غناز السماء ، وكان العناد المشتعل ينطلق في الاكدياس الواقعة قرب الميناء . وعندما غابت الشمس كان الميناء كله في قبضة رومل . وكان لواء الحرس — احتياط القلعة يد ( كلوبر ) — قد سحق ومقره قد تحطم . غير ان الفريقين الجنوبيين بقوا في الواقع سالمين .

فقرر رومل اثناء الليل ان يهاجمهم من الخلف ووضع خطة خاصة لهجوم بحري لهذا الغرض على اتجاه مغناطيسي بين الميناء وبلاستريتو .

وفي الوقت نفسه كان كلوبر قد عقد مؤتمراً في منتصف الليل مع ضباطه للبت فيما اذا كان يقتضي القيام بمحاولة خروج من القلعة — وكانت هذه مستحيلة لعدم تيسر النقلية اللازمة — او الاستمرار على القتال حتى النهاية . وكان باتصال لاسلكي مع الجيش الثامن — غير ان ( ريجي ) لم يكن في مقره ولذلك فان اوامره الوحيدة صدرت من مرؤوسيه . وقد طلب مقر الجيش الثامن الاستمرار على الدفاع لمدة ٢٤ ساعة إلا انه عجز في الوقت نفسه عن ارسال قوة دبابات من منطقة ( غامبوت ) الى نطاق ( طبرق ) لمساعدة ( كلوبر ) .

وكانت الخطط السريعة التي فكر بها الافريقيون الجنويون طيلة الليل للدفاع النهائي عديمة الفائدة . اذ كان من المستحيل في الارض الصخرية من نطاق ( طبرق ) حفر مواضع دفاعية جديدة بصورة مستعجلة فجراً باتجاه خلف الخط القديم . ولم يكن في الامكان اجداع أي شيء . اصدهجوم رومل لاسيما وانه لم تكن ثمة علامة تدل على قيام القوات البريطانية المدرعة بحركة تحويلية او بالتدخل في المعركة بأية صورة من الصور .

وفي الساعة الثامنة إلا ربعا صباحا استسلم ( كلوبر ) .

### ٣

ووقع في يد رومل ( ٢٥٠٠٠ ) جندي ومقادير كبيرة من مواد القومين .

وقبل ان ينتهي النهار رقه هتلر الى رتبة ( فيلد مارشال ) ، واحتفلنا جميعا بذلك ، مستفيدين مما استولينا عليه من الفواكه المعلبة والبطاطة الايرلندية والسكر والبيرة المعلبة .

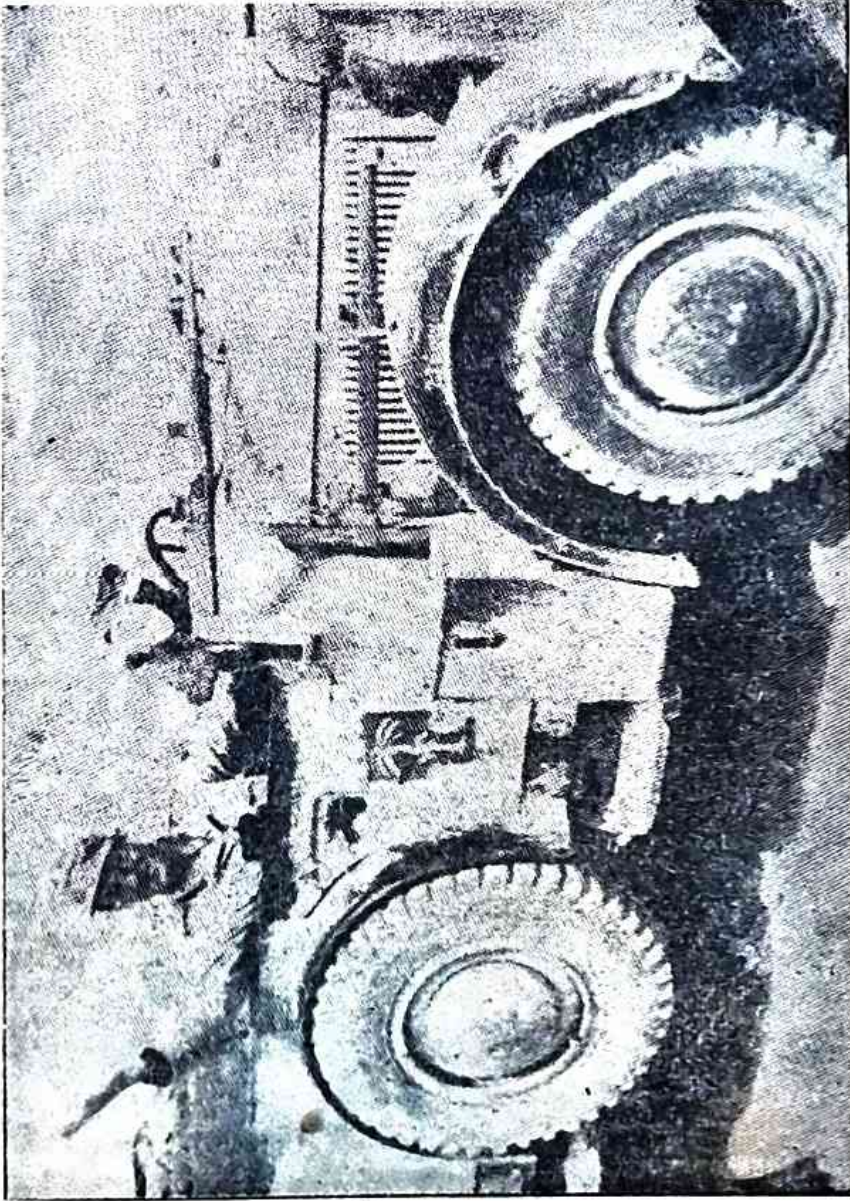
ونعمنا في يوم او نحوه في بركات ( النافي ) البريطاني . وكان من دواعي سرورنا ان نلهو حول مطابخ الميدان حيث يقلى ( سجق ) لحم الخنزير والبطاطة اللذان كانا من الاشياء النادرة منذ أمد بعيد . كما كان من دواعي السرور ان نشرب البيرة البريطانية وان نتناول ( أناناس ) افريقيا الجنوبية كحلى بعد الطعام .

ورفضنا ارضاقتنا الاصلية وخاصة « الرجل العجوز » بكره واحتقار

وبدلاً منها مجدها لحم البقر الأسترالي الذي كان الأستراليون قد ملوه .  
كما مللنا من « الرجل العجوز » . على أننا وجدنا أنفسنا بعد مضي  
وقت غير قليل نتفق مع العواطف التي تعبر عنها رسائل العدو المستولى  
عليها والتي كانت بعيدة جداً عن أطراء لذائذ لحم البقر . وعندما  
ساعدتنا الأحوال صرنا نرسل إلى أهاليها رزماً من لحم البقر الأسترالي .  
فاعتبر هنالك من الكماليات .







المؤلف في سيارته في الصحراء.  
يلاحظ ان رمز فيلق افريقيا مرسوم على الباب

رومل و کسرلنگ یثدا کران





## الباب التاسع والعشرون

### أسباب سقوط ( طبرق )

لم يتسع الوقت في حينه للتحقيق عن اسباب سقوط ( طبرق ) بيد ان  
العضلة العسكرية التي انطوى عليها ذلك كانت واضحة . فهل من  
الانصاف الظن ان قلعة طبرق التي صمدت ازاء حصار دام سبعة شهور  
تعجز عن مقاومة هجوم مماثل استمر يوما واحداً ؟

لا اعتقد ذلك . فعندما اصطدم رومل بنطاق الاستراليين في ( طبرق )  
اوائل سنة ١٩٤١ لم يكن يملك حتى فرقة المانية كاملة . وقد استخدم في  
الواقع قسماً كبيراً من قوته المتبصرة في تهيئة مواضع دفاعية منيعة . يتعذر  
اقتحامها . ولا شك انه لم يهاجم القلعة خلال سبعة اشهر طوال ، بل ان  
الهجمات الوحيدة التي قام بها كانت في نيسان وفي اوائل مايس ١٩٤١ .  
ومن ثم ركز انتباهه في الحدود ، واهتم في نفس الوقت في وضع خطط  
متقنة لهجوم تام على ( طبرق ) في تشرين الثاني . وربما كان ذلك الهجوم  
سينجح ولكن يجب ان لا يعزب عن البال انه كان سيشن ضد قلعة اقوى  
من قلعة طبرق في حزيران ١٩٤٢ .

وفي خلال الاشهر التي كان فيها الاستراليون في ( طبرق ) قاموا بتقوية  
الدفاعات باستمرار ومهارة حتى اصبحت ( طبرق ) تختلف اختلافاً كلياً  
 عما كانت عليه عندما استولى عليها ( ويفل ) . وقد وجهت هجمات رومل  
الاولى ضد قاطعين قوين جداً في جنوب غرب القلعة ، وكلما اعاد تعيينه



استطاع المدافعون ان ينجحوا في تمشيد احتياطاتهم ، وخاصة الدبابات ، في المحل الذي نشأ فيه الخطر . وعندما خمدت حدة التعرض تمكن المدافعون ان يعزوا النطاق الدفاعي من جميع الجهات .

ولما هجم رومل في حزيران في هذه المرة لم يكن المدافعون متيئين جيداً كالسابق من الوجهتين المادية والمعنوية . ولا شك انه لم يكن ثمة نقص في معنويات الافريقيين الجنوبيين ، غير ان القسم الأعظم من هذه الفرقة كان قليل الخبرة نسبياً ولم يخشوشن بالقتال المستمر كسائر رفاقهم الباقين ومثل السواد الاعظم من فيلق افريقيا . ومن المحتمل ان الحامية كلها لم يخطر على بالها الاندحار ، إلا ان الجيش الثامن كان قد اجبر على التخلي عن خط ( الغزالة ) القوي وفقد البريطانيون معركة الدبابات الرهيبة في ( نايمسبرج ) وعرف الذين كانوا في القلعة ان الكتلة الباقية من الجيش الثامن قد انسحبت بعيدة نحو الحدود .

ومع ان نفوس افراد الحامية لم تكن خائرة فانها لم تكن طبعاً كنفسية الظافر . في حين ان رومل كان مزهواً بانتصاراته وكذلك كان جنود فيلق افريقيا .

وقد اهملت قلعة ( طبرق ) من الوجهة المادية لأن اعادة حصارها لم يكن متصوراً . ففي تشرين الثاني كان الجيش الثامن واثقاً من تخلص الحامية بهجمة واحدة تقريباً . وبعد معركة متأرجحة امكن تخليصها في اوائل كانون الثاني . ودفع رومل الى ( العقيلة ) إلا انه تعذر دفعه الى ماوراء ذلك . ويظهر ان البريطانيين نظروا الى ( طبرق ) من الوجهة المعنوية كقاعدة تموين متقدمة ملائمة لبس الا .

وحتى عندما تراجع الجيش الثامن الى ( الغزالة ) لم تهبأ ( طبرق ) كما

ينبغي لتقوى على صد هجوم معاد - ذلك لأن النقاط القوية الخارجية والاحتياطات السيارة في موضع ( الغزالة ) كانت توقف العدو على مسافة بعيدة عن ( طبرق ) بل وقد ضعفت حقول الألغام في الواقع اذ نقل منها عدة آلاف الى خط ( الغزالة ) لتقويته . واهملت حتى حفرة ضد الدبابات فترسب فيها الطين .

واخيراً عندما أصبحت ( طبرق ) في خطر حقيقي ، توقع البريطانيون على ما يظهر ان رومل سيهاجم قاطع ( ميداوا ) ثانية ، هذا على الرغم من وقوع بعض وثائقنا السرية بأيديهم والتي كشفت عن خطة رومل المبكرة عن احاطة ( بر حكيم ) وخط ( الغزالة ) وانزال الضربة على منطقتي ( العدم ) ( وسيمدي رزق ) . وقد نوهت تلك الخطة ان الهجوم على القلعة سيجري من ( الدودة ) اذا استطعنا ان نصل الى هناك وها قد طبقها رومل بحذافيرها ، فاستطاع مع ذلك ان يحصل على درجة كبيرة من المباغنة كما اظهرت النتائج .

ويجب أن لا تنسى ان لرومل الآن مزية لم تكن لديه قبل اربعة عشر شهراً . فقد كانت معلوماته عن دفاعات ( طبرق ) في ذلك الوقت صفراً تقريباً ، وحتى بعد ذلك كانت معلوماته لا يعتد بها . على انه حصل على اول خريطة تحتوي على معلومات مفصلة ودقيقة بعد الهجمات الاولى ، فقوجي . بعدد النقاط القوية التي كانت في الموضع وبنوعها المائل . وقد درسنا الدفاعات دراسة متقنة في الاشهر التالية وقدردنا بدقة نواحي القوة والضعف في كل قاطع عندما وضعنا الخطط للهجوم الذي كنا ننوي اجراءه في تشرين الثاني .

اما الآن ونحن في حيران فان كل قسم من الدفاعات كان اضعف

منه في تشرين الثاني . وكان لطبرق جهة بحرية قدرها ( ٢٥ ) ميلا  
وجبهة برية ذات ( ٣٠ ) ميلا . فلدفاع هذه الجهة الواسعة أمن الجيش  
الثامن ( ٦١ ) مدفعا ضد الدبابات فقط كان ١٨ منها من عيار ٦ رطل  
كما علمنا ذلك بعدئذ . فلم يساعد هذا قائد الجامية على تحشيد قوة كافية  
في الاحتياط لتأمين حجاب ضد الدبابات يتمكن به ان يدحر اندفاعا  
قويا تقوم به دباباتنا او يستطيع صدها لمدة كافية تتمكن خلالها  
دباباته المدافعة من التحشد للقيام بهجوم مقابل مؤثر .

وقد سقطت ( طبرق ) لعدم وجود خطة منظمة لمجابهة الحالات  
الطارئة فيما او هوجمت على عجل ، ولأن الدروع التي كان المفروض  
انها ستمنع رومل من الوصول الى ضمن المسافة الضاربة من طبرق قد  
دمرت في الميدان .



## الباب الثلاثون

### في الرجاسة

استولى رومل على ( طبرق ) لكنه لم يكف بذلك ، وأبى ان يتوانى هناك ثملا بنشوة الظفر . فلم يكذب يمضي يومان على اكتساحه لطبرق حتى أعاد تنظيم قواته فصارت جاهزة لتقدم آخر .

وفي ٢٢ حزيران اندفعت قوات خفيفة على الطريق الساحلي ودخلت ( البردية ) التي كان قد اعتبرها رومل كهديّة ثمينة عندما وصلها ( فون ويكر ) في السنة الماضية ، وانسحبت في تلك الليلة فرقة افريقيا الجنوبية الاولى التي كانت تشغل مواضع مؤخرة على الجانب الساحلي من منحدر ( الحلفاية ) ، وفي الصباح كان رومل يتهيأ للاندفاع نحو مصر جنوب ( سيدي عمر ) .

وفي فجر اليوم الرابع والعشرين من حزيران ارسل رومل قواته السيارة من ( الحلفاية ) الى الامام عبر الصحراء وعلى طوار الطريق . وعند حلول الظلام كنا بموازاة ( سيدي براني ) وعلى بعد ( ٤٠ ) ميلا او نحوها من ( مرسى مطروح ) وكانت بعض مدرعاتنا في الواقع ( ٢٠ ) ميلا أبعد الى الامام .

وتذاكر رومل مع رئيسه الاسمي - باستيكوالايطالي - عندما وصلت مقدمته ( البردية ) فرأى ( باستيكو ) اننا يجب ان نقف وان نختلج جهة السلوم ثانية وان لا نحاول التقدم نحو مصر . إلا ان رومل

أكد لباستيكون ان ( كمرلينغ ) قد وعده بمجمل جميع معضلات التموين الامر الذي يجعل القضايا الادارية اللازمة للتقدم نحو مصر أمينة . فقرر رومل لذلك ان يستمر على التقدم .

واجتازت وحدتي الحدود جنوب ( مادالينا ) وسارت بسرعة شرقا فوصلنا خط السكة الحديدية شرق ( سيدي براني ) مساء ٢٥ حزيران ، وفي هذا اليوم اعني ( او كنيك ) ( ريجي ) من قيادة الجيش الثامن وتولى القيادة بنفسه فكان رومل حتى ذلك الحين قد اطاح بقائدين من قواد الجيش الثامن ( كاننكهام وريجي ) وواجه قائدين عامين ( ويفل واو كنيك ) وقد شهد رومل ذهاب ( او كنيك ) ايضا ثم واجه ( الكسندر ) و ( مونتكري ) وجاء هذان القائدان الشهيران الى الصحراء قبل ان اشهد القتال ثانية و كان ذلك في شهر آب في ( العلمين ) إذ كنت أتمتع بقضاء اجازة غير منتظرة في الوطن .

## ٢

ولقد اخطأت في حينه في تقدير الموقف السوقي . فظننت ان رومل سوف لا يتقدم الى مسافة بعيدة داخل مصر او انه اذا فعل فسوف يصده الجيش الثامن في جبهة ( السلوم ) إذ ان قوته لم تزل كافية ليفعل ذلك . وما كان ينبغي ان افكر بذلك وانا الذي كنت اعرف ما كان يدور في رأس رومل من افكار جريئة ، فما هو قد فعل ما كان يبدو مستحيلا وأخضع ( طبرق ) بأسرع من لمح البصر . وقد أصبح شخصية عالمية وبطلا لبلاده . فرقاه هتلر الى فيلدمارشال حالا - وارتفع نجمه من عقيد الى فيلدمارشال في ثلاث سنوات .

وعلى الرغم من افتخاري بعلاقي الصغيرة يبطل الساعة المحبوب  
اعتبرت نفسي كجندي من الخط الامامي وعندما عسكرت كتيبي بعد  
يومين على مسافة شرق ( طبرق ) بعد احتلال القلعة ذهبت الى ( ٢٢ آ )  
للفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) وطلبت تعييني بالحاح ، وطبعاً باحترام في منصب  
حربي جديد قائلاً : « لنفرض ان فوجي قد تدمر ولكن أليس هنالك  
شاغر في افواج اخرى لضابط شاب لائق » . فأجابني ضابط الركن  
المختص قائلاً :

« انك على حق يا ( شمت ) — انك تريد جنوداً تقودهم » وأردف  
يقول « ولكن ألسنا جميعاً نروم ذلك ؟ وان ما ينقصنا هو القطعات »  
ثم أردف قائلاً بشيء من المزاح « اذا لم نتمكن من اعطائك قيادة فلماذا  
لا تذهب باجازة الى المانية ؟ » . ففكرت انه ليست ثمة فرص كثيرة  
لحركات رائعة على جبهة الحدود المصرية خلال الاسابيع القليلة القادمة .  
فأخذت لذلك قراراً سريعاً وفاجئت الرئيس الاول بقولي « أجل يسرني  
حقاً ان امنح اجازة فاني ( اعتق ) عضو في القوات الالمانية في افريقيا  
مع اني لا زلت في السادسة والعشرين من عمري .. »

وقبل ان اعلم ما سيحل بي . ارسلت على عجل الى ( درنه ) . فقد  
منحت فرصة ثمينة لضابط ركن ( ٢٢ آ ) ليرسلني الى المانية . إذ كانت  
هنالك رسالة مستعجلة وسرية للغاية يقتضي ارسالها بيد ضابط الى ( روما )  
وقد طلب الي ان أطيح الي هناك حاملاً تلك الرسالة .

وهكذا فبعد أيام قلائل من معركة دموية وتاريخية وجدت نفسي  
أسير في الشوارع الآمنة للمدينة الخالدة مع نساء ظريفات ورجال  
كسبن ، وأرتاد المطاعم حيث الحياة لطيفة ومترفة .



ما ألد وأنعم ان يجلس المرء بين يدي حلاق ماهر - فيحلق له شعره ويفسله ( بالشامبو ) ويحلق له ذقنه ويمسده وجهه وان تقلم أظافره شقراء متلاثة !

أكلت ( دوندرمة ) في مقهى ونظرت الى النساء الجميلات المارات امامي . يا لشدة فرحي لأنني سأرى بعد حين خطيبتي ( هيرتا ) . تصور ان اعظم ما كان يسرنى قبل أيام قلائل هو ان أرى معركة دبابات ناجحة تصل الى ذروتها . اما الآن فالحرب تبدو ليست مهمة بعد ان كانت لها المنزلة الاولى خلال الاشهر الطوال . وقد صارت العلاقات الشخصية تأخذ ثانية مكانها الحقيقي في الحياة ، ونعمت بعد الاستحمام بلبس ثوب جديد . وبعد ان اشتريت بعض الاشياء الطفيفة من ايطالي يتكلم الالمانية ويتعاطى بيع الاشياء القديمة ، تبرعت زوجته ان تريني ( روبات ) نسائية وان تشتري لي بعض الملابس بدون بطاقات ، فاشتريت جوارب حريرية نسائية وفستاناً يلبس بعد الظهر وبدلة ( سبورت ) وقبعة لباد (بورساليو) وحقيبة يد وكفوف ومعطف اخ . . . وكنت في سعة من النقود نسياً لأنني كنت استلم راتباً خاصاً من الایطالین فی ( اريتريا ) علاوة على راتي المعتاد في الجيش الالماني ولم يكن في شمال افريقيا ما يمكن صرف النقود عليه ، فكان حتى مغيب الشمس مجانا .

وبعد ان انتهينا من التسوق اشتريت زوج حذاء لدليلتي الكريمة فكان سرورها لهذه الهدية اكثر منه لانتصار ( طبرق )

ومشيت متكاسلاً حول ( بالازيو فينسيا ) فخطبني شاب رشيق ومتأنق يرتدي بدلة سوداء وقبعة سوداء ، وكانت ترافقه فتاة ترندي زياً مماثلاً للزى الروماني وتلبس قراء الثعلب بالرغم من حر الصيف ،

و كانت تتفرج بتكاسل على واجهة دكان بينما كان الشاب الذي  
يرافقها يتكلم معي . و كان هذا يعرفني من الصحراء فهو ( الكونت )  
الشاب الذي ساعدني في تبديل اطار الماموث عندما تعطل رومل شرق  
اسلاك الحدود في مصر . فقال لي .

« يا صديقي العزيز ارجو أن تسمح لي بأن اقدم لك . . . . » فقدمني  
الى الفتاة . ثم استمر يقول متصنعاً لطف ذوي التربية الحسنة « ارجو  
رجاءاً شديداً أن تزورني يوماً ما » فقبلت هذه الدعوة العارة بالحماس  
التقليدي ، لكنني كنت اعرف ، كما كان يعرف هو أيضاً ، ان الأمر كله  
كان شيئاً شكلياً ليس إلا .

وانتهت مهمتي في ( روما ) بعد ان سلمت الرسالة المهمة الى الملاحق  
المسكري . فركبت قطاراً من قطارات الاجازة الى ممر ( برينر ) حيث  
اشتريت زجاجة ( مارسالا ) لها رائحة ( بودرة ) الوجه المعطرة . ثم مررنا  
عبر الأب الى ( ميونيخ ) ، فكانت الحياة المدنية هناك أشد صعوبة منها  
في ايطاليا . ولم يكن فيها شيء من ظرافة المتهزات الرومانية . و كان  
الرجال والنساء يشتغلون جميعاً ويسرعون جميعاً ويرتدون الملابس  
العسكرية جميعاً ، او كانوا يرتدون ملابس المعامل . وقد كاد حشد  
من الحمالين ان يتقاتلوا على حمل حقائبي في روما . أما هنا في ( ميونيخ )  
فكان علي ان احمل حقائبي بنفسى راضياً بذلك . وقد دفعت أنا وضابط  
رتبة رئيس عربية يد حملت حقائبنا الى الرصيف حيث كان قطار  
( كولون ) ينتظر .

وبعد نزولي من القطار في ( هاكن ) ذهبت مشياً الى بيت والدي  
( اذ لم توجد سيارات أجرة ) ، كما ان أبي ذهب ماشياً الى بيت خطيبتي

ليخبرها بوصولي . وقد انبأها بلطف انني لم أمت في شمال افريقيا .  
وبدلت بزني العسكرية بملابس التلعذة القديمة طارحا شعور المسؤولية  
وأنا أرمي على أرض الحمام الملابس التي كنت ارتديها منذ بدء الحملة  
الافريقية لحد الآن .

٣

تمشيت أنا و ( هيرتا ) في الغابات الهادئة عدة مرات فوضعنا الخطة  
ليوم زواجنا . ولم يكن ذلك من السهولة بمكان . اذ كان على الضابط  
الذي يريد الزواج أن يحصل أولا على إذن خاص من مدير الادارة في  
القيادة العليا للجيش الالماني . ولا يمنح الاذن إلا بعد ابراز وثيقة تثبت  
ان العروس من أصل ( آري ) . وشهادة طبية مقنعة ، وثلاثة اشخاص  
معروفين لاداء الشهادة . وأخيرا يجب ان يصادق على ذلك قائد الفرقة .  
وحاولت ( هيرتا ) بحيلتها النسائية وبكل ما اكتسبته بنات حواء  
من مهارة غريزية خلال عصور طوال لتكتشف ذنوبي صغيرها وكبيرها  
طيلة غيابي في افريقيا فوجدتني سالما منها . وقد سألتني قائلة :

« عجباً ، كيف قضيت المدة الطويلة التي بقيت خلالها في ( اسمره )  
بعد مانسرحت سرية المتطوعين التي كنت تقودها وحينما كنت تسكن  
في ذلك الفندق الالماني ؟ . هل تريد أن تقول لي انك عشت طيلة الوقت  
هناك مع رئيس العرفاء ( بوهل ) وحده ؟ »

فبذات جهدي لأن أقدم لها حسابا عن كل ما فعلت ، محاولا اخفاء  
بعض ذنوبي البسيطة ، إلا انها سرعان ما عرفت أكثر مما اخفيت . ولكن



بالعجب ، كيف أصبحت أعمالي البريئة الصغيرة حمراء الى هذا الحد ؟  
وقد بدأت اسائل نفسي ، وأنا تحت استجوابها الماكر : البست الصحراء  
أسلم لي نسبيا من الوطن ؟ . وما عساني ان أفعل غير ان اعترف تحت  
تأثير استجواباتها المبتسمة بأنه : كانت هنالك نساء جميلات تسكن في  
الفندق وان ازواجهن كانوا بهيدين عنهن مع القوات المحاربة .

ومن كانت اجملهن ؟ آه نعم . كانت زوجة رئيس اول ايطالي . .  
وماذا ينفعني لو ادعيت بعد ذلك بأن السيدة الظريفة كانت أما لثلاثة  
اطفال صاخبين ؟ . غير انني لم أقل طبعاً ان اكبر الاطفال كانت فتاة  
جميلة في السابعة عشر من عمرها . وكانت محاطة دوماً بحشد من  
الملازمين الجريئين . وقد لاحظت في صالة الفندق انها تحاول تعلم اللغة  
اللامانية وان لهجتها لم تكن صحيحة . فماذا أفعل غير ان اقدم لها  
المساعدة ؟ .

وبدا ان المقاومة الايطالية قد انسحبت من الميدان . فاستمرت  
دروس اللغة بود ونجاح . وفي مساء ذات يوم ارسلت أم ( السنيورينا )  
الى منضدتي قنينة من الشراب الايطالي مع تحياتها وشكرها . فقال  
( بوهل ) الذي كان يشاركني في طاولة الطعام وهو حائق . « انها من  
حائك ، هه ؟ » .

ولثلاثهم بقلة المجاملة ارسلت الى ( السنيورا ) في اليوم التالي قنينة  
من البيرة الالمانية المصدرة التي كانت جزءاً من شحنة الباخرة ( كوبرغ )  
المحملة الى الشرق الاقصى قبل اشهر طوال .

وفي اليوم التالي وجدنا المناضد قد اقترب بعضها من بعض فعلق

على ذلك ( بوهل ) الذي كان متزوجاً منذ خمس سنوات ويحتمل انه مل مذاق الحموات « ان هذا تدبير حماك » .

وبعد أيام من ذلك سألت ( السنيورا ) هل تسمح لابتها بأن تراقني الى الصيد في الخارج في يوم من الأيام ، فوافقت ( السنيورا ) على ذلك . غير ان اصدقائي الايطاليين اوضحوا لي بعدئذ معنى دعوتي هذه ، اذ انها تفسر عند الطليان بما يفهم منه طلب الزواج ، وان سماح الأم لابتها بحضور الدعوة يعتبر كموافقة على الطاب .

وفي صباح يوم الاحد الذي رتبته فيه نزهة الصيد ارسلت ( السنيورينا ) رسالة تبدي فيها أسفها لعدم امكان حضورها نظراً لمرضها فاضطرت ان ارضى ببوهل كبديل وان كان لا يعوض عنها .

وبينما كنا نقرب من ضواحي البلدة إذ بضابط رواتب سريتي الممرحة يناديني قائلاً « يا حضرة الملازم اخبرتنا القيادة الايطالية العليا ان الطائرة التي ستسافرون بها ستتحرك بعد نصف ساعة . . . » وهذا مما دعاني لأن اسافر من ( اسمره ) الى شمال افريقيا دون ان اودع السيدتين ودون ان استصحب معي أمتعتي .

فهذه هي القصة التي استحصلتها ( هيرتا ) مني ، وهي قصة بريئة تماماً — فهل تظن انها يمكن ان تسبب لراويها اي اذى ؟

#### ٤

وها أنا جندي في فيلق افريقيا يقضي اجازته في المانية ويحاول عبثاً الحصول على اذن بالزواج . وقد قضيت اربعة اسابيع سارة في الاجازة . وانني اذكر كم تمشت مع ( هيرتا ) على ساحل الراين واوقفت

الفراغ التي قضيناها في الزوارق البخارية والساعات التي تسلقنا فيها (ضخور التنين) و (الجبـال السبعة) والامسيات التي دلفنا فيها الى (كافي درسدان) في (كودسبرغ) حيث كان هتلر يحتفظ لنفسه هناك بـجـرفـة خاصة ، وأتذكر ايضاً (الدوندرمة) و (الكيك) ، ولكن (الدوندرمة) و (الكيك) في ايطاليا كانا أحسن منها في المانيا . والحب هو الذي جعل هذه اللذائذ التي لا طعم لها حلوة في نظري .

اضطرت (هيرتا) ان تعود الى العمل ، ولقلة وسائل النقل مددت اجازتي ولم تكن لدي رغبة ان أبقى في المانية دون ان اعمل شيئاً ، إلا انني كنت مضطراً الى ذلك إذ ان من كان في الجيش وقتئذ لا بد وان يعلم كثرة الطامبات على وسائل النقل وصعوبة الحصول على أمر بالتنقل ، وكنت شخصاً قليل الاهمية ، وليست ثمة فائدة في ان اقول انني كنت مرافق رومل — على الرغم من ان رومل كان بطل المانية في تلك اللحظة .

إذ كنت من الوجهة الرسمية ضابطاً محارباً صغيراً ليس إلا ، ولم اكن منقسباً الى وحدة معينة لكي أعود اليها . ثم ان جبهة افريقيا كانت تعتبر ثانوية بالنسبة الى الجبهة الشرقية التي كانت وقتئذ مرعبة هائلة .

واتخذت التدابير لأقضي اوقاتي الزائدة في جامعة (بون) محاولاً ان اعوض عما فقدته من دراسة سنوات في الزراعة لالتحاق بالخدمة العسكرية . على انه كان من الصعب علي ان اركز انتباهي على الدراسة إذ بينا كنت أستمع باحدى اذني الى محاضرة كانت الاخرى تتلف لسماع كلمة عن افريقيا ، وكنت لا أتمكن من الذهاب الى البيت لأرى خطيبتي إلا في عطلة نهاية الاسبوع . ثم أعود الى (بون) فأقضي فيها الايام منتظراً خبراً عن رجوعي الى افريقيا .



وفي الجامعة — كما في أي مكان آخر — كان عدد الفتيات أكثر من الرجال ، وكان معظم الفتيات يلتحقن في الجامعات لمتجنبن العمل في المعامل ، أما الرجال فكان معظمهم من غير اللائقين للحرب وقليل من المجازين الذين يغتنمون فرصة وجودهم في ألمانيا للاستماع إلى المحاضرات . ولم تكن الفتيات مهمات في الحرب أو في الجنود . وبدا أن جموداً غريباً ينجم على كل فرد ، وكان بعض الطلاب في شك من النصر النهائي وكان همهم الوحيد انتهاء الحرب بسرعة لتنتهي بذلك صعوباتهم الحالية . وفي ( بون ) كان المرء يرى أشخاصاً قلائل — نسيباً — بالملابس العسكرية ، وكان معظم هؤلاء يرتدون البزة الرمادية الخاصة بجنود الجبهة الشرقية وهم الذين كانوا يقاتلون في روسيا . وكان بعض الجنود يرتدون الملابس الزرقاء الفاتحة الخاصة بجنود مدفعية ضد الطائرات في ( صقلية ) . أما بدلات الخماكي التي يلبسها جنود فيلق أفريقي فكانت نادرة . وقد اتهمت بالجبن عدة مرات لارتدائي الملابس المدنية .

وكان أبي ، وهو رجل اختبر الحياة ، متشائماً . فكان يصغي إلى ما أقوله عن سير الحرب في أفريقيًا ثم يهز رأسه ، فقد كان يستمع خلافاً للأوامر إلى راديو الحلفاء .

وكان يقول : « رومل ؟ ربما ولكن دعنا نكون واقعيين يا ولدي ... »

ولم تكن الهجمات العنيفة قد بدأت على ( الرور ) إلا أن ( كولون ) قد قصفت . وذهبت لأقضي إحدى عطل نهاية الأسبوع في ( كولون ) فسكنت هناك في فندق قرب الكتدرائية ، ثم ذهبت في نهاية الأسبوع الثاني فإذا بالكتدرائية قد هدمت ولم تبق منها غير للسلات والانقاض

وعدت بفكري الى الورا :

« حسنا . لنرى الآن ما حدث في افريقيا منذ ان تركتها . لقد كنت مخطئا عندما ظننت اننا سوف لا نتقدم ، اذ اندفعنا الى الامام حتى ( العلمين ) وقوات رومل الآن ترابط على ابواب الاسكندرية ودلتا النيل ، واستطعنا ان نخترق حقل الالغام جنوب ( مطروح ) اسرع مما توقعناه ، وحدثت هناك قتالات قليلة بيننا وبين الفرقة البريطانية المدرعة الاولى ولكننا سرعان ما وصلنا الى نقطة على الساحل تبعد عشرين ميلا عن شرق الحصن البريطاني وأخذنا كثيرا من الاسرى . فقضينا بذلك على امكان جعل ( مطروح ) طريقا ثانية ، وللمرة الثانية خلال اسبوعين فقط شقت الفرقتان الـ ( ٥٠ ) والنيوزيلندية طريقهما من بين تشكيلات رومل الامامية واستطاعتا العودة الى دلتا النيل ، ومن ثم وصل جنودنا الى ( العلمين ) ولم يكن هناك غير قليل من الدبابات ترافق كتل عجلات النقلية . وقد سمعت اننا لم نكن نملك اكثر من ( ١٢ ) دبابة صالحة عندما وصلنا الى ( العلمين ) واننا اوقفنا على مسافة ليست بعيدة عن الاسكندرية من قبل الافريقيين الجنوبيين . . . . »

مسكينة ( هيرتا ) الصغيرة . لقد بدأ عليها الاصفرار الشديد عندما انتظرنا بصمت وصول القطار . ولم تتمالك وموعها ، وكان الموقف صعبا بالنسبة الي أيضا ، غير ان البدلة العسكرية والشرائط مما تجعل الانسان أن يضبط عواطفه في مثل هذه الظروف . على اني احسست عندما تحرك القطار ور كضت ( هيرتا ) على الرصيف لاطالة مدة اشارة الوداع ان عيني تدمعان — ليتني استطيع البقاء ، ولكن . . . واسفاه كان علي ان اذهب الى افريقيا .

وسافرت بالقطار من المانية الى ايطالية حتى وصلت ( برنديزي )  
ومن هناك طرت بطريق ( ائينا ) و ( كريت ) الى مطار ( طبرق ) في  
( العدم ) ذلك المكان ذو الذكريات الالمية . ثم سقت بالسيارة في الصحراء  
وعلى الطريق الساحلي القديم الى الجهة في ( العالمين ) .  
والآن — لقد انتهت اجازتي حقاً — فقد هاجمتنا الطائرات الخارة  
بقصفها ونحن في طريقنا الى الامام . فمأ بعد حياة العطالة اللطيفة في ( روما ) -  
وحياة الهيبة القاسية في الوطن . وها انذا في الجهة مرة اخرى .





## الباب الحادي والثلاثون

### غريب في العلمين

وكان منصب جديد ينتظرني في ( العلمين ) . فقد وليت قيادة فوج من الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) ، وكان هذا التشكيل قد تدرب في اول الأمر لغرض الحركات في ايران لكنه كان يقاتل ضد الآن بالتعاون مع الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) .

وشرح لي بسرعة ما حدث منذ أن تركت فيلق افريقيا . وهذا خلاصته :

ضربت قوات رومل الاستطلاعية شرقا وهي تطارد الجيش الثامن حتى اوشكت ان تصل محطة القطار غير المهمة في ( العلمين ) حيث استقبلتها نيران المدفعية . ووجد رجال مدفيعتنا مرصداً على مرتفع يسمى نل ( العيس ) فجاءت عجلة استطلاع مدرعة وهي مندفعة الى الامام وكان بها رومل نفسه فاصدر أوامره الى القطعات بالهجوم على القاطع الشمالي للمواضع التي كانت تبدو كخط دفاعي جديد للعدو ، وذلك بالاستفادة من الشمس التي كانت علي وشك الغروب فتقدم مشاة الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) تسندهم بعض المدفعية . الا انهم جوبهوا بنيران الرشاشات انزلوا من السيارات وحفروا مواضع لهم تحت ستر عجلاتهم نفسها . وهكذا بدأت معركة ( العلمين ) من غير أن يعلموا ذلك .

لقد رحبت القطعات الفنية في الواقع بالتوقف الفجائي للاندفاع الاممي كما رحب به بعض القواد الذين كانوا يريدون اعادة تنظيم تشكيلاتهم غير ان المشاة لم يرضوا بذلك ، فبدأوا يشعرون منذ اللحظة التي وصلوا فيها الى العلمين في نهاية حزيران ، ان أيام الحرب السيارة القديمة قد انتهت وقضى عليهم الآن ان يعيشوا حياة الحرب الموضعية — الشبهية بحرب الخنادق — حيث الكآبة والحمود .

ولم تنجح هجائنا ضد القاطع الشمالي للخط الجديد الغامض اذ صدتنا قطعات ( بينار ) الافريقية الجنوبية ، غير ان الهجوم الذي قمناه في نفس الوقت على منخفض ( دير الشين ) انتهى بتدمير واسر جحفل اللواء الهندي الـ ( ١٨ ) باجمعه تقريباً .

واستمر رومل بضرب الافريقيين الجنوبيين ، ثم بدأ بعد ظهر ٢ تموز يهدد جناح موضع ( بينار ) تهديداً جدياً خاصة بنار المدفعية الكثيفة الموجهة ضد رتل معطل ونصف سيار من لواء ( بينار ) الأول الذي كان من أشد خصومنا في افريقيا الشرقية ( ١ ) . وقد علمنا بعدئذ ان ( بينار ) رجي قائد فيلقه الفريق ( نوري ) ان يسنده بالدبابات او يسمح له بسحب جناحه الأيسر المهدد . فرفض قائد الفيلق ذلك . ويظهر لنا ( بينار ) طلب ذلك من ( اوكتلك ) نفسه إلا ان القائد العام البريطاني

---

(١) شق هذا اللواء طريقه محالاً عبر الحبشة واشترك مع الفرقة الهندية الخامسة في الهجوم على ( امبا الاكي ) في مايس ١٩٤١ .

أبد قائد الفيلق . ولكنه بعد ان أعاد ( نوري ) النظر في الموقف اخبر ( بينار ) بأنه يوافق على الانسحاب لكنه طلب ارسال اللواء الاول في هذه الحالة الى الخلف كاحتياط . فاعتبر ( بينار ) ذلك تحقيراً لقطعانته وهدد بالاستقالة من منصبه . ثم سوى الأمر بينهما وسحب الجناح للكشوف لمسافة قصيرة الى الخلف .

وقد وصلت تكملة هذه القصة الى رومل ولكن بعد مدة طويلة وبشكل يشك في صحته لأن مصدره كان من الأسرى . وكانت هذه التكملة نكتة مشهورة تعزى الى ( بينار ) . فقد قيل انه ليست قنابل رومل وحدها انصبت على الأفريقيين الجنوبيين بل وانصبت عليهم أيضاً نيران الفرقة النيوزيلندية الموجهة خطأ . وقد رمتهم علاوة على ذلك الدبابات البريطانية كما قصفتهم قوتهم الجوية . وقيل ان ( بينار ) نكلم مع قائد الفيلق بال تلفون قائلاً له « اسمع يا نوري ، قل لي من تحارب ؟ هل أنا أم رومل ؟ فاذا كنت تحاربي فاني استطيع ان اضمن لك احتلال الاسكندرية بجنودي الأفريقيين الجنوبيين في ثمانى عشرة ساعة »

ولم نكن نجابه الأفريقيين الجنوبيين وحدهم طبعاً . غير انه لولا هؤلاء ولولا النيران المؤثرة لمدافعهم ذات الـ ( ٢٥ ) رطلا لاستطاع رومل ان يخترق المواضع البريطانية .

وكانت هنالك في الجبهة أيضاً فرقة ( نيوزيلندية ) — وهي قطعات ممتازة صلبة في الدفاع ومتأهبة للهجوم ، وعلى جانب كبير من الذكاء . ولم تفقد هذه كفاءتها الحربية على الرغم من بقائها في الصحراء مدة طويلة واشتراكها في معاركها المتكررة الفادحة الحسار .



وقد طادت الفرقة الأسترالية التاسعة « جردان طبرق (١) » إلى الصحراء من سوريا وفلسطين ، وهي من أشد التشكيمات التي أنزلتها أستراليا إلى الميدان بأساً وقوة . وكان لجيش أستراليا شهرة مخيفة بين جنودنا لقتالهم المرعب بالحرب .

وكانت أمامنا أيضاً تشكيلات هندية ودبابات بريطانية — وفي الأشهر التي تلت ، كان علينا أن نجابه الأفرنسيين والبولنديين والجليك أيضاً . إذ كان يدافع عن مصر جيش يشبه عصبة أمم ولكن بدون المصريين .

وفي خلال شهر تموز ، شيد الطرفان بحرص وقلق جبهات دفاعية قوية . وكان ثمة مجال واسع للمبادأة والأعمال الجريئة من كلا الطرفين في الهجوم والهجوم المقابل وفي القتالات المحلية للاستيلاء على النقاط الحيوية من الوجهة التعبوية .

ونجح الأستراليون في الاستيلاء على ( تل العيسى ) الذي أمن موضعاً أمامياً مسيطراً للجيش الثامن . غير أنه كان لرومل من الجبهة الأخرى موضعاً ملائماً على مرتفع ( المطرية ) في الجناح الجنوبي الذي وضع فيه قطعاته المختارة . وقد استطاع لواء المظليين الذي وصل حديثاً من ( كريت ) بقيادة أمير اللواء ( رامكة ) أن يدفع إلى الخلف الجناح الجنوبي للجيش الثامن في ( منخفض القطارة ) لمسافة لا يستهان بها ، وقد أسنده الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) وجنود منتخبون من فرقة ( فولكور ) المقدمة للمظليين الإيطاليين .

---

(١) وقد سميت بذلك لأن أفرادها عاشوا في الملاجئ أثناء حصار طبرق ودافعوا عنها دفاعاً مجيداً .

وفي خلال النصف الثاني من الشهر تمكن ( او كذلك ) من ان يولد  
بمقوياته الاستراتيجية ودباباته الجديدة التي وردت من وراء البحار ، فعالية  
مشاة نشيطة بحيث جعل رومل يفكر في احتمال انسحاب قسرى الى مواضع  
( السلام ) . ولا اظن ان البريطانيين علموا بذلك مطلقا . ولم يكن رومل  
مرتاحا من نقصنا في الذخائر — اذ كانت المدافع بدون قنابل تقريبا —  
ومن الزيادة العظيمة في فعالية قوات العدو الجوية التي كانت تدمر بشكل  
خطير مواد تمويننا على خطوط المواصلات التي اصبحت الآن طويلة .

إلا ان ( او كذلك ) ارخى في نهاية شهر تموز عنان فعاليته التعرضية  
لقلة احتياطاته الكافية . فلم تبق ثمة حجة لانسحاب رومل . ولو فعل  
ذلك لكان من المحتمل ان لا يتمكن الجيش الثامن من مطاردته بصورة  
فعالة ، ومن المحتمل ايضا ان فترة سكون غامضة كانت ستسود ايضا على  
الحدود فيعود كلا الطرفين في الواقع الى حيث كانا قبل سنة .

وفي اوائل آب سمعنا عن تبدلات هامة في قيادة الجيش الثامن ،  
وزار ( تشرشل ) ( العلمين ) فقدم له ( او كذلك ) تقريراً عن الموقف  
وعن خططه المقبلة ، وقابل ( تشرشل ) ايضا الفريق ( غورت ) الذي تقرر  
ان يتولى قيادة الجيش الثامن الذي كان يقوده ( او كذلك ) شخصيا منذ  
عزل ( ريجي ) . على ان القدر كان قد قرر غير ذلك ، اذ قتل ( غورت )  
بنيران رشاشات احدى طائراتنا التي رمت طائرة النقل التي كانت تقله  
من الجهة الى مطار قرب القاهرة . ولولا هذه الحوادث لكان من المحتمل  
ان لا نسمع به ( مونتكيري ) مطلقا .

ووصل الفريق ( الكسندر ) ايضا فاخبر رئيس الوزراء ( او كذلك )  
ان وزارة الحرب قد قررت ان تستبدله به ( الكسندر ) واعطي ( تشرشل )

القائد الجديد للعدو الاوامر التوجيهية البسيطة التالية « واجبك الاول والام تحطيم او اسر الجيش الالماني - الايطالي الذي يقوده المارشال رومل في مصر مع جميع المواد والتجهيزات وذلك بأقرب فرصة ممكنة » . وقد علمنا ان ( الكسندر ) استلم القيادة من ( او كذك ) يوم ١٥ آب ، ووصل ( مونتكري ) من انكلترا بعد ذلك بثلاثة أيام ليصبح قائداً للجيش الثامن الذي وصفه تشرشل وقتئذ بـ « الشجاع المغلوب » . واصدر ( مونتكري ) امره حالا بأن لا انسحابات اخرى بعد الآن .

وعلى الرغم من عدم حدوث قتال مهم في ( العلمين ) بعد ٦ آب لمدة من الزمن فقد سبق لمونتكري ان اكتسب نصراً بعيد المدى ضد رومل قبل ان يتولى قيادته بصورة فعلية . اذ ان زيارة رئيس الوزراء البريطاني كانت دليلاً على ان دول الحلفاء قررت وجوب بذل جهود عظيمة في هذه الساحة ، ولم تكن ثمة اشارة من هذا القبيل في جانبنا ففي برلين اعتبر شمال افريقيا جهة ثانوية وكانت روسيا هي الجهة الكبرى ومع ذلك كان المنتظر من رومل ان يقوم بأعمال فوق مستوى البشر على الرغم من ان التقويات التي كانت ترسل اليه لم تكن كافية .

### ٣

كان آسري الجديد في قيادة الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) العقيد ( منتون ) . وقد علمت قبلاً انه ورومل كانا صديقين حميمين منذ الحرب العالمية الاولى ، وكان كلاهما ( سوابيين ) ويدعو احدهما الآخر باسمه الشخصي .

وعندما واجهته للمرة الاولى تحدثنا عن معرفتنا المتبادلة مع المارشال



وقد اخبرني ( منتون ) ان موقع هيئة اركان المقر على ساحل البحر قرب ( الضبعة ) وبما انني لم أر « ثعلب الصحراء » منذ سقوط (طبرق) وقبل ذهابي في الاجازة فسألت ( منتون ) فوراً فيما اذا كنت استطيع تأخير استلام فوجي ليوم واحد لكي أقوم بزيارة شخصية للمارشال . فأجابني هذا بلمهجته السوابية القحة :

لا مانع لدي من ذهابك مطلقا فان فوجك سوف لا يستطيع ان يحتل مواضعه إلا بعد ثمانية أيام . اننا ننتظر التقويات ولا تزال هذه متأخرة في ( كريت ) .

وفي اليوم الثاني سقت طوار الساحل حتى رأيت العلم المثلث الالوان ( الاسود والابيض والاحمر ) لقيادة جحفل الجيش ثم انخرفت نحو الكتبان التي يقع فيها مقر رومل ، كانت عجلات القيادة المدرعة قد ادخلت في حفر تستر جزءاً منها وذلك لغرض الحماية ضد قوة العدو الجوية ، وكانت كلها مغطوشة بالشبكات التي كانت مغطاة بالشوك . وقد طلب الي احد الحراس ان اترك سيارتي على مسافة من المقر متجهة نحو جبهة مختلفة لئلا يكشف اثرها مكان المقر .

وكانت وجوه جميع الضباط الذين لقيتهم غريبة عني فقد تبدات هيئة الاركان منذ الايام التي كنت فيها في المقر ، وكان اول من لمحت ( بابر لاين ) رئيس الاركان . فسألت عنه ضابطاً حديثاً كان قد دلي عليه « أي نوع من الرجال هو؟ » فأجابني « آينه كانتز يانتز كيرل » - اي انه رجل ممتاز جداً ! ، وهذا اعمرى احسن مدح في حق جندي الماني .

ثم لمحت ( بيردنت ) الرجل الوحيد الذي عرفته من بينهم . فسررت

لرؤيته ، إلا انني لاحظت انه قابلي بعني من التكلف ، فشعرت بأن ( بيرندت ) قد يخشى اني انوى التثبت في تعييني ثانية في هيئة أركان رومل وسأكون بذلك منافسا له . فاذا كان قد فكر بذلك حقا فانه كان على خطأ عظيم اذ انني كنت سعيداً بوجودي مع القطعات كما كنت أرغب بالطبع أن ارى رئيسي السابق ثانية وهذا ما اخبرته به .

وقد أجابني ( بيرندت ) على رغبتي وهو يدمدم « انك لا تستطيع ذلك لسوء الحظ يا شمت ، اذ أن القائد العام لا يتمكن من أن يسمح لك بمواجهته اليوم او غداً » . ولما سألته « لماذا ؟ » عمد ( بيرندت ) الى الكتمان فلم أشأ ان الح عليه أكثر .

ولغرض مجاذبة الحديث سألته « كم مضى على عودتك الى هيئة اركان رومل ؟ » فقال لي وهو يتهمد قليلا :

« مضت على وجودي ثانية مع القائد العام بضعة اشهر » ثم أردف قائلاً « انتهت الاجازة التي منحتها للقيام بواجب مع الدكتور ( يعني الدكتور غوبلز ) في آذار . وكان علي أن أقوم بعمل مهم جداً هناك لكنني عدت الى هناك في اللحظة المناسبة تماماً وعندما بدأت « المعركة » . وقد كنت في وسط ذلك كله يا صاحبي . فسألته : « وماذا تفعل في هيئة الركن الآن ؟ هل أنت مرافق أيضاً ؟ » فقال لي « لا ، لا ، انني اقود الآن سرية أمن المقر التي ستتمتع قريباً بقوة فوج . على انني اتصل بالاضافة الى ذلك اتصالاً مباشراً بوزارة الدعاية ، ولذلك فاني بتأس يومي مع الفيلد مارشال » . فقلت في نفسي عجباً : هل يعتبر ( بيرندت ) نفسه مسئولاً عن شهرة رومل في الوطن .

وقال لي ( بيرندت ) ثانية انه من المستحيل ان أرى رومل ثم اضاف

فأثلاً وهو يهمس : ان الفيلد مارشال مضطجع في عجلته وهو مريض ،  
مرضاً شديداً باليرقان .

فرجعت وأنا أكاد أشعر بالوحدة واليأس ، فقد كان افراد المقر  
غربين عني ولم أعد اشعر بينهم كأنني في بيتي . وقد حرمت حتى من  
فرصة اداء التحية للرجل الذي كنت بجانبه مدة شهور طوال . وبدأ لي  
ان صديقي القديم الوحيد يحاول ان يبعدني مخافة أن أسعي للتأمر على  
اخراجهم من وظيفته .

على انني التقيت فجأة بجماعة من المراتب الذين كنت اعرفهم -  
كالسواقين وراكبي الدراجات والمراسلين فرحبوا بي ترحيباً حاراً لدرجة  
جعلني أشعر انه لم يزل لدي بعض الاصدقاء القديمين .

وأبدى أحد السواق المملوطة التالية : «يا حضرة الملازم اننا معشر  
السواق نتذكرك دوما كضابط منصف ومفكر كان لا ينادينا للسياسة  
إلا في اللحظة الأخيرة - وفي بعض الاحيان حتى عندما يكون القائد في  
طريقه الى السيارة . اما هؤلاء اخلافك فانهم يجعلوننا نصطف وننتظر  
قبل ساعة من وقت الحركة . »

#### ٤

على انني استطعت ان اتقي برومل فيما بعد قبل الوقت الذي كنت  
أرفعه اذ كانت هندستنا قد شيدت على مسافة ما خلف الجهة الحقيقية  
قطاً قوية نموذجية حسب تصاميم خاصة وضعها برومل نفسه . وكان  
الأمرون والضباط الآخرون يزورونها يومياً ليدرسوا فوائدها ،



وطريقة تشييدها ، وساحات النار ، وتوزيع الأسلحة ، ومنظومة  
المواصلات واخ . . . . وكانوا يشاهدون أيضاً مظاهرات يقوم بها  
المشاة في الأساليب التي يرى رومل انها ملائمة للهجوم على النقاط القوية  
المختلفة الانواع والتغلب عليها .

و كنت ضمن مجموعة من الضباط في احدى هذه المظاهرات عندما  
وصل رومل بصورة غير متوقعة . فبدأ وجهه انحف من السابق بقليل  
لكنني لم أكن الحظ ذلك لولم يقل لي ( بيرندت ) انه مريض . وكان  
الضابط الاقدم - وهو عقيد - يشرح الموضوع عندما وقعت عيننا الفيلد  
مارشال علي . فشكر العقيد باختصار ومشى نحوي وصاحني مستفسراً  
بصورة مباشرة « كيف حالك يا شمت ؟ » . ورب مصافحة وتحية من رومل  
الصامت تعني اكثر من ينبوع من الكلمات من أي رجل آخر . ولم يحي  
أي شخص آخر غيري . ولما ابتعدت سيارته عنا شعرت ان كثيراً من  
النظرات الغريبة تنصبوب نحوي .

وقد احتار الضباط الذين كانوا أقدم مني كيف ان ضابطاً ذا رتبة  
صغيرة ينفرد بتحية القائد .







## الباب الثاني والثلاثون

### محاولة رومل الأخيرة

كان علينا ان نكون جد يقظين في منطقة ( العلمين ) في تلكم الأيام ، اذ ان طياري العدو كانوا واقفين لنا بالمرصاد ليلا ونهاراً ، وقد حرمنا الطائرات البريطانية وطائرات افريقيا الجنوبية من الراحة ولا سيما ليلاً ، وكان طريق التموين يكاد ان يكون مضاءً باستمرار بانوار مشاعل المظلات . وان صوت انفجارات القنابر بدون انقطاع كان يقض مضاجعنا .

وكنّا نستمع في كل ليلة خلافاً لللاوامر ، الى الاخبار والاذاعة الموسيقية من القاهرة ، وكان للبريطانيين هناك محطة دعابة قوية . وقد غلغنا من اسرى الجيش الثامن انهم كانوا يستمعون ايضاً الى « العدو » ليتمتعوا بسماع اغنية ( ليلى مارلين ) (١) بصورة خاصة ، وكانت تذاع من ( بلغراد ) او ( اثينا ) . وكانت النغمة العاطفية تذكر جنود الطرفين ان هناك اشياء اخرى غير القصف الجوي والحرب الصحراوية .

#### ٢

وقد عزز رومل بالتقويات ، إلا انها لم تكن كبيرة كما ارادها .  
بالاضافة الى مظليين ( رامكة ) وصلت الفرقة الـ (١٦٤) من ( كريت )

---

(١) وهي اغنية المانية مشهورة ينشدها الجنود .

وكانت هذه الفرقة بلا وسائل نقل فتقرر استخدامها كـ « دعامه »  
المواضع الابطالية . وكانت التقويات الايطالية تشتمل على مظليين فرقة  
( فولكور ) كما سبق ان ذكرت . وقد تساءلت في حينه عندما توقف  
تقدمنا في ( العلمين ) : لماذا لم تجلب قطعات المظلات من ( كريت )  
بالبطارات فتزل على منطقة ( العلمين ) ؟ والجواب على ذلك ان هذه الخطة  
كانت غير ممكنة من الوجهة العملية وذلك لسيطرة البريطانيين على الجو .  
وكان الوقت يمضي ضدنا . فقد انبأنا احد تقارير الاستطلاع  
بالاخبار السيئة عن شحن عدد كبير من دبابات ( شيرمان ) الامريكية  
وتوقع وصولها الى موانئ مصر في ايلول .

ونشرت احدى نشرات جيش افريقيا الجنوبية الصادرة في القاهرة  
اعلاناً لأحد اصحاب المطابع يلتبس طلبات ابطاقات عيد الميلاد . وقد  
اظهرت هذه بوضوح ما يمكن ان يفترض بصورة صحيحة دبابة ( شيرمان )  
الجديدة . وقد درس رجال الاستخبارات الفنيون باهتمام التفاصيل العامة  
التي ينطوي عليها تصميم مدفع الدبابة الجديد .

وحالما تلقى رومل وعداً جازماً ان مقادير كافية من البزير في طريقها  
اليها ، قرر ان يجازف بانزال ضربة حاسمة على مونتكمري .

وفي يوم ميلادي السادس والعشرين اسقطت القوة الجوية البريطانية  
ربما من غير سوء قصد ولكن بلا مبالاة مع ذلك ، قنبلة على عجلة تموين  
القوج التي كانت تحمل ارزاق ثلاثة ايام لنا . وبينما أنا أرثي فقدان  
هذا المقدار الكبير من الطعام ، الذي كنا في أشد الحاجة اليه ، اذا بي  
استلم اخبار الهجوم الذي تقرر اجراؤه ليلة ٣٠ / ٣١ اغسطس

وكان علينا كما في ( الغزاة ) ان نخترق حقول الالغام ومواضع  
الجيش الثامن في الجنوب . ثم نندفع شمالاً نحو الطريق الساحلي .

وكان جحفلنا الخاص الـ (٢٨٨) الذي أصبح بقوة كتيبة تقريباً يحمل مواضع احتياطية في منطقة الفرقة الخفيفة الـ (٩٠) غرب النقطة المركزية من القاطع المركزي للجبهة كلها .

وكانت الاوامر التي اصدرها رومل للمعركة تبين بوضوح ان هذا الهجوم سيكون الجولة الاخيرة في المعركة التي تستهدف الاسكندرية . وبدأ الهجوم في الليلة المقررة . فرفعت الالغام ، وبعد طلوع القمر تقدمت الفرق الالمانية عبر حقل الالغام تحت نار المدفعية ، وفي ضحى يوم ٣١ آب وصلت نقطة تقع شرق حقل الالغام .

اما نحن الذين كنا في الاحتياط فكان كل شيء في مواضعنا هادئاً ما عدا الفعاليات الجوية المستمرة التي اضطررنا الى ان نخندق جنودنا وعجلاتنا الى عمق اكثر في الاراضي الصخرية ، وقد كانت التقارير تأتي بانتظام من التشكيلات الهاجمة ، فكانت التقارير الاولى مشجعة اكثر مما كنا نتوقع . إذ ظهر ان اثنين او ثلاثة من رؤوس رماح ارتالنا قد اندفعت الى مسافة قليلة من الطريق الساحلي والسكة الحديدية . ومربنا رومل فقال : « ان الحركة تجري بصورة جيدة » .

على اننا لم نستلم مع ذلك تقريراً جازماً عن الموقف او اوامراً معينة ولم يكن لدينا ما نفعله غير الانتظار وتحمل الهجمات الجوية .

فماذا حدث في الواقع ؟ لقد اندفعت دبابات رومل بعد ظهر اليوم الاول من الهجوم الى مرتفع ( علم الحلفاء ) الذي كان حقاً مفتاح جبهة (العلمين) كلها ( كما اشار الى ذلك الفريق الكسندر بعدئذ ) إلا انها طُبت بصورة غير متوقعة نارا دفاعية كثيفة من المدفعية ومن مدافع ضد الدبابات المتخذة تخندقاً جيداً . وقامت القاصفات المتوسطة خلاف



المعتاد بهجمات عنيفة ، بينما انقضت المقاتلات الطائرة بارتفاعات واطئة على عجلات البزير والعتاد . وهكذا شل العدو تنقلات الفرق الهامة وحدد حركتها .

وأصبح من الواضح ان (مونتكري) يسعى بمعونة التفوق الجوي الذي أمنه له المارشال ( تيدر ) ان يستفيد استفادة تامة من مدفعيته وموضعه الدفاعي المشيد في مكان ممتاز ، في قطع طريق التقدم بوجه المهاجمين دون ان يورط دباباته في المعركة .

وشعر رومل في اليوم الاول من المعركة انه لا يمكن الحصول على المباغثة ، إذ كان العدو قد تهيأ له . فلم يتمكن من احتلال مرتفع ( علم الحلقا ) بسرعة كما كان يرغب . واراد ان يبطل الهجوم إلا ان رئيس اركانها اقنعه ان يستمر في المعركة .

وكان (الكسندر) و (مونتكري) قد توقعوا الهجوم منذ ه آب كما ظهر بعدئذ . ولما لم يقيم فيلق افريقيا بمحاولة لاجتياز مرتفع ( علم الحلقا ) من الجانب والاتجاه نحو الشمال الشرقي ، اي الاندفاع صوب الاسكندرية ، تطورت المعركة على ما يظهر حسب ارادها (مونتكري) تماما . فقد كان يريد ان تصطدم دبابتنا بالمواقع المهيئة القوية في مرتفع ( علم الحلقا ) الذي تحتله الفرقة ال ( ٤٤ ) ولو آن من الدبابات .

وفي اليوم الثالث من المعركة كان جحفلنا الخاص لا يزال رابضا بلا عمل في منطقة الاحتياط ، وصارت التقارير الواردة من الامام الامام يكتنفها الغموض شيئا فشيئا ولا تبعث على الرضا . فبدأنا نشعر بأن « الرمية النهائية » على الاسكندرية قد « كذبت » و كنت افكر بأسف منذ زمن انني سأفتقد في دلتا النيل البزات العسكرية الصيفية

البيضاء التي تركتها في الفندق في ( اسمره ) عندما طرت من ( اريتريا ) .  
اما الآن فان اسفي قد تلاشى . وتولدت لدى شكوك خطيرة فيما اذا كانت  
عيني ستكتحل بمرأى الاهرام اثناء خدمتي العسكرية .

واضطرت دباباتنا على التوقف . فتساهل العدو ، كما ظهر بعدئذ : هل  
ان ذلك حركة مدبرة في لعبة رومل يقصد بها اغراء دبابات الجيش الثامن  
على الخروج من مواضعها للقيام بهجوم مقابل ؟ اما حقيقة الامر فهي  
ان دباباتنا قد فقدت وقودها تماما . اذ لم تصل كميات الوقود التي كان  
قد وعد بها كل من ( كسرلنغ ) و ( كافاليرو ) لرومل . وكان تأثير  
القوة الجوية البريطانية لا يقتصر على سير الحوادث في ميدان المعركة  
المباشر فحسب ، بل انها سبب نتائج تعبوية أشد تأثيراً وذلك باغراقها  
ثلاث حاملات في البحر المتوسط وباسقاطها عدداً يرنى له من طائراتنا  
الناقلة من نوع ( يونكر ٥٢ ) . وقد جرح ( نهرنغ ) قائد فيلق افريقيين  
خلفه ( فون توما ) .

### ٣

وفي ليلة ٣ ايلول تخلى رومل عن محاولته لخرق جبهة العدو . فانسحب  
في الايام التي تلت ذلك الى مواضعه الاصليّة . اما جحفلنا الخاص فلم  
يشترك في المعركة قط . وفي الوقت نفسه وصلت ( ٥٠٠ ) دبابة شيرمان  
الى السويس فلم يعد في وسع رومل أن يقهر مصر . وقد اعطيت لي مدة  
( ١٤ ) يوماً لاعادة تأليف فوجي وتدريبه تدريباً غنياً في المنطقة التي  
بن ( العلمين ) والضبعة بغية تهيئته للحركات المقبلة .

وجاءتنا تقويات أخرى من المانية وكانت مؤلفة من محاربين للمان  
قدما ممن سبقت لهم الخدمة في ( الفرقة الاجنبية الفرنسية ) ( ١ ) في  
شمال افريقيا وقسم من البحارة السابقين في البحرية التجارية الذين لاسفن  
لديهم الآن . وكان كلا النوعين رديي الضبط إلا أنهم كانوا عناصر  
محاربة من الطراز الاول اذا امكن ادارتهم ادارة صحيحة . ولما امتنعت  
الافواج الاخرى وامتنع أمر السرايا الاخرين عن قبول هؤلاء  
الجنود وافقت على قبولهم برحابة صدر واعطيت عوضا عنهم بعض  
جنودي المدرين .

واستلمنا أخيراً مدافع جديدة ضد الدبابات . وكانت هذه تشتمل على  
مدافع ( ٢ ر ٧٦ ) ملم التي اسرت من الروس ، وقد دربت جنود الفرقة  
الاجنبية والبحارة على هذه المدافع بصورة خاصة .

واخبرنا الوكلاء وقتئذ ان البريطانيين دبروا انزالا من البحر بين  
( الضبعة ) و ( مرسي مطروح ) . فسبب هذا الخبر تبديلا ساراً في حياة  
فوجي ، اذ امرت ان أوسس مواقع رصد دفاعية على طوار الساحل .  
وقد تمكنا من تأسيس معظم هذه المواقع واحتلالها في مدة يومين .  
وجرى ربطها بسلسلة من المحطات اللاسلكية القوية والمغطوشة غشا  
جيداً . وكنا في اثناء قيامنا بهذا الواجب كأننا باجازه اذ بينما كان بعض  
الجنود قائمين بالعمل ، كان الآخرون احراراً في الاستحمام في البحر  
المتوسط . وقد حصلنا على تبدل سار في طعامنا أيضاً ، اذ استطاع

---

” Foreign Legion ” وهي فرقة يقبل فيها تطوع الاجانب من  
مختلف الجنسيات .



سأني أن يشتري تمرأ وبيضاً ودجاجة من البدو المحليين . على انني كنت انظر الى هؤلاء الاعراب بعين الشك وهم يمرون بنا بهدوء راكبين حميرهم ونساءهم تدلف خلفهم وهن مثقلات بالأحمال . ذلك لأن عيونهم الحاذقة التي جعلتها الصحراء حادة ، لا يفوتها شيء . وكنت على يقين ان معظمهم هنا كانوا جواسيس شأنهم في كل مكان في الصحراء . وبينما كانت تنطاحن امتان في اراض موحشة لاتصلح للسكنى ، كان هؤلاء البدو يرتحلون من مكان الى آخر في وسط الحرب ، والظواهر انهم يعتبرون الصراع الدائر لا يعنهم في شيء بل هو جنون الكافرين ليس إلا ( وهذا هو الواقع على ما اظن ) . وكانوا كلهم يبدون متشابهين اذ لم يحملوا العلم البريطاني او السواستيكا . فلم يكن ثمة وسيلة نعرف بها هل هم بجانبنا أم بجانب العدو . ومن المحتمل انهم كانوا يتجسسون لكلا الطرفين .

وزودناو كلاؤنا اثناء ذلك باخبار دلت بوضوح على ان مونتكمري يتبها لأعظم معركة عرفتها افريقيا . وكان هذا كرومل يستعمل الحيلة والخدع ولكن ( مونتكمري ) كان يختلف عن رومل في تطبيق فن الخداع من جهة واحدة ، فبينما كان رومل يغش المجلات الاعتيادية ليوم انها دبابات حقيقية فيخفي بذلك ضعفه كان ( مونتكمري ) قد قلب الدبابات الامريكية الجديدة الهائلة الى عجالات ثقيلة غير ضارة بالاستعانة بالالواح الخشبية و ( الجنفاص ) والاكياس وذلك ليخفي قوته . وهكذا صار في الصحراء الآن ثعلب جديد .

وقد خدعنا أيضاً بشروعه في مد خط أنابيب جديد ، كامل محطات الضخ ، وذلك في الجنوب . وقد اطيأت مدة اكمله بصورة

مقصودة ، فبدأ عاينه وكان وقتا طويلا سيمضي قبل ان يتمكن الجيش الثامن من شن ما كان يبدو بوضوح انه تعرض مقرر في القاطع الجنوبي من خط ( العلمين ) ولم يكشف الاستطلاع الجوي ان خط الانابيب هذا كان كاذبا ومشيداً من صفائح البتزين القديمة .

وبدأ ( مونتكمري ) يتفوق علينا من الوجهة المعنوية . اذ كان الجيش الثامن يتلقى التقويات من الجنود والمواد باستمرار . وقد عرفت قطعاته ذلك لانه اخبرها به . وكان أمامه واجب ايجابي ألا وهو دحر رومل وازالة الخطر الذي يهدد مصر واكتساب الشهرة بقيامه بذلك .

أما قوات رومل العائدة لدولتين فلم تعزز كما ينبغي وكانت قطعانه تعرف ذلك . وكان رومل قد بلغ اقصى ما يتمكن ، اذ كان قد نال في طريق النصر الذي وضع خطته منذ أمد طويل ، إلا انه لم يكن لديه قط الزخم الكافي ليعقب العدو الى الاسكندرية ، لأن القيادة الالمانية العليا اعتبرت الشرق الاوسط جبهة ثانوية . فشعر رومل اخيراً انه ليس في وسعه ان يجعل نفسه سيد مصر .

ثم ان رومل كان رجلاً مريضاً . فكان يرى في كل مرة انحف من المرة السابقة . وكان قد قضى لحد الآن عشرين شهراً من الاجهاد الفكري والبدني المستمرين في الصحراء هذا علاوة على مسؤولياته السابقة في الحرب . وقد عانى لمدة تزيد على السنة نوبات اليرقان المتكررة فاصبح الآن منهوك القوى .

وكانت الطريقة الوحيدة لشفائه هي المعالجة في المانيا . فطار الى

هناك لهذا الغرض وقبل ان يذهب الى المستشفى في ( سيمبرلنك ) (١) تقابل مع هتلر ، فوضح له الخطر الذي لا بد وانه سيداهمنا في افريقيا . والذي بدأ يظهر فعلا ، وذلك من جراء عدم ورود تقويات من الدبابات الى جبهة ( العلمين ) وقد شدد ايضا على وجوب معالجة معضلة ارسال مواد التموين الى قوات افريقيا بانتظام فوعد هتلر رومل بكل شيء . على انه كان قد تقرر عدم عودة رومل الى افريقيا بل كان في النية اعطائه قيادة جحفل جيش في اوكرانيا عندما يشفى .

اما قيادة جحفله المدرع في افريقيا فقد عهدت الى الفريق ( شتومر ) .

---

(١) في النمسا السفلى جنوب غرب فيينا .



## الباب الثالث والثلاثون

### الزعماء في ( المأميين )

بدأت « حركة الشعلة » - وهو الاسم الرمزي لتعرض مونتكري في العلمين - ليلة ٢٣ تشرين الاول ، ولقد كنتم من هذا الهجوم المدبر الهائل كتماناً تاماً .

فجاء كبتاعة تامة لنا على الرغم من ان هيئة الاركان الالمانية كان قد تجمعت لديها دلائل تشير الى احتمال قيام الانكليز بتعرض قريب خلال الاربع والعشرين ساعة التي سبقت فتح السد الناري .

وقد تهيأ الجيش الثامن لهذا الهجوم منذ ١ آب . إذ جرى تعزيزه بـ ( ٤١٠٠٠ ) جندي وبما يزيد على الـ ( ١٠٠٠ ) دبابة و ( ٩٠٠٠ ) عجلة من مختلف الانواع .

واهتزت النجوم الآمنة في سماواتها عندما برق وزجر نحو الف مدفع في آن واحد ضدنا في تلك الليلة . ولم يسبق لهذه الارض القديمة العهد ان عرفت ناراً مدوية ساحقة كهذه ، وقد زلزلت الارض من (منخفض القطارة ) الى البحر المتوسط . وارنج الجنود على مسافة بعيدة خلف خط الجبهة حتى اصططكت منهم الاسنان .

وبعد ان استمرت النار خمس عشرة دقيقة توقفت لمدة خمس دقائق وكانت هذه كفترة هدوء قبل العاصفة المجددة . إذ في تمام الساعة العاشرة ليلا تمركزت على خطوطنا الامامية نيران نفس العدد العظيم

من المدافع مضافا اليها نيران آلاف من اسلحة الدبابات والمشاة ، وقام بالهجوم الاستراليون بالدرجة الاولى . واشترك معهم ايضا الانكليز والاسكتلنديون والنيوزيلنديون والافريقيون الجنوبيون ، وكان هدفهم الرئيسي مرتفع ( المطرية ) فجرى احتلاله في الليلة الاولى من المعركة غير ان ( مونتكري ) لم يتمكن من تحصين هذا الهدف الا بعد قتال مستميت دام يومين . وكانت الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) في الشمال والـ ( ٢١ ) في الجنوب وهما رابضتان على مسافة قصيرة خلف الاضطراب الدائر في الخط الامامي . وكانتا منقسمتين الى جحافل معركة وفقا للخطط الدفاعية التي رسمها رومل قبل ان يترك افريقيا للمعالجة الطبية في المانية . وكنا في عملنا هذا قد ارتكبنا خطأ كبيرا ، فكان مقصد رومل ان تبقى جحافل المعركة هذه بصورة مستقلة خلال الفترة التي تسبق تعرض العدو المتوقع فقط . ثم يجب تحشيدنا حالما يصبح تعرض العدو محققا واتجاهه معلوما . إذ لا تتمكن غير قوة دبابات متحشدة من الصمود امام قوة الدبابات العظمى التي كونها ( مونتكري ) وقتئذ ، ولم يحلم رومل ان دباباته سيسمح لها بمجابهة العدو وهي مجزأة فتدحر جزءا بعد آخر كما دحر العدو في الماضي جزءا بعد جزء من قبل رومل نفسه .

وكان ( بايرلاين ) رئيس الاركان في الاجازة فاضطر رومل ان يعود الى انقاذ الموقف من حيث لا ينفع . وفي اليوم الاول من تعرض ( مونتكري ) اصيب الفريق شتومه بسكتة قلبية عندما هاجت طائرات العدو الوحدة التي كان معها ، ولم ير سائق ( شتومه ) سيده عند سقوطه من سيارته في الصحراء ولم يعثر على جثته الا بعد حين . وكانت دائرة

الاستخبارات المركزية في برلين قد اخبرتنا ان البريطانيين لا يتمكنون من الهجوم قبل نهاية الشهر .

وخبر هتلر رومل بالتلفون في مستشفى في المانية ظهر اليوم الثاني من المعركة وطلب اليه ان يعود بالطائرة الى افريقيا فوراً اذ كان الموقف مما يبعث على اليأس . وكان رومل قد قضى مدة ثلاثة اسابيع فقط تحت المعالجة ولا يزال مريضاً . الا انه لم يفكر في ان يقول لا . فركب الطائرة صباح اليوم الثاني قبل انبثاق النهار ولم ينزل الا في ايطالية ليرى ما كان يجري هناك وليعلم بصورة خاصة هل ان قواته تحصل على البنزين الكافي ؟ وهل ثمة دبابات اخرى في طريقها الى افريقيا ؟ ثم هل ارسل ( كمرانغ ) مدافع الهاوتات ذات السبطانات المزدوجة ( ١ ) التي كان قد وعد بها هتلر ؟ وأخيراً وصل رومل الى مقر الجحفل المدرع بعد ساعتين من مغيب الشمس في ذلك اليوم .

واظن انه علم في حينه اننا خسرنا معركة ( العلمين ) بعد ان رأى بأم عينيه ما كان يعانيه فيلق افريقيا من نقص في البنزين . فصرح لـ ( بايرلاين ) اننا لانستطيع كسب المعركة . ولكنه قام مع ذلك بمحاولات يائسة ليسترد الموقف . وبقي مستيقظاً طول الليل تقريباً ليضع خطة الهجوم المقابل ضد ( مرتفع السكالية ) ( المطرية ) في الشمال . وبذل جهوداً مستميتة لجمع قواته المدرعة ككتلة متراصة كما كان ينبغي ان تكون قبل وصوله . وكانت الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) قد تدمرت على وجه التقريب فاستدعى الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) وفرقة ( اريدت )



الابطالية الى الشمال وحرك الفرقتين الخفيفة الـ ( ٩٠ ) و ( تريست )  
الابطالية من مناطقها الخلفية لحماية الجبهة قرب البحر .

وحطمت القاصفات المتوسطة ومدافع ٢٥ رطلا - اعداؤنا القداماء -  
المهجوم المقابل الذي وجهه رومل بنفسه فقام بهجوم آخر في اليوم  
الثاني إلا انه دحر مرة أخرى وفقد دبابات كان في اشد الحاجة اليها  
ولا يمكن التعويض عنها . وقد دفعته الفرقة الاسترالية التاسعة الى الخلف  
أكثر من ذي قبل .

وتوقف ( مونتكري ) لاعادة التجهيل بعد قتال دام ثلاثة أيام .  
( وكان الافريقيون الجنوبيون قد انهوا واجبههم الرئيسي في معركة  
( العلمين ) فلم يلتق بهم ثانية إلا في ايطالية . غير انه بقي منهم جنود  
المدرعات الذين كانوا موجودين في كل مكان ) .

وحدث في ( تل العقاقير ) اعنف اشتباك بين الدبابات عرفت معركة  
( العلمين ) . وقد تكبد كلا الطرفين خسائر فادحة ولكن الضربة التي  
اصبنا بها كانت اشد من الضربة التي تلقاها العدو . اذ فنت دباباتنا  
على وجه التقريب ولم تبق منها غير مجموعات قليلة . ولقد ادت « حركة  
الحشوة العالية » التي قام بها ( مونتكري ) - وهو الهجوم الجديد الذي  
اعقب « حركة الشعلة » - الى انتهاء معركة العلمين . وكأخت الفرقة  
المدرعة الـ ( ٢١ ) كفاحها المؤثر الاخير . وعلى الرغم من انها استطاعت  
في احدى المرات السيطرة على عدوتها القديمة - الفرقة البريطانية المدرعة  
الاولى - فانها دحرت ايضا . فقرر رومل الانسحاب ليلة ٢/٣  
تشرين الثاني .

وارق باللاسلكي قراره هذا مع اسباب ذلك الى مقر هتلر في تلك الليلة فلم تعرض البرقية على هتلر الا في اليوم الثاني اذ خشي الضابط القائم بالخفارة ان يوقظه عندما جاءت البرقية . ( وقد انزلت رتبته بسبب ذلك ) . فتكلم هتلر عن رومل كثيراً وشتمه .

وكان انسحاب رومل قد بدأ عندما جاءت برقية لاسلكية رمزية من مقر هتلر تفيد « يتطلب الموقف الاحتفاظ بمواضع ( العلمين ) حتى الجندي الاخير . ينبغي عدم الانسحاب مطلقاً - النصر او الموت ! هابل هتلر » . وكانت الرسالة تحمل توقيع هتلر الشخصي . فبلغت الى وحدات فيلق افريقيا لسبب من الاسباب على الرغم من اننا كنا آخذين في الانسحاب .

ولم تكن هذه البرقية المضحكة لتحسن معنوياتنا في ذلك الوقت غير ان رومل لم يتمكن من ان يتجاهلها بعد ان استلمها واضطر الى الاعتراف باستلامها .

ولذلك فعندما طلب فون ( توما ) قائد فيلق افريقيا من رومل في مقر جحفل افريقيا المدرع جنوب ( الضبعة ) ان يسمح له بالانسحاب الى ( فوكة ) لم يصادق رومل على خطته بل اكتفى باعطائه الصلاحية ليعمل حسبما يراه .

وفي صباح اليوم الثاني استخبر فون ( توما ) ان الانكليز قد أحاطوا بالجناح الجنوبي لفيلق افريقيا ، فأرسل هذا الخبر الى رومل . غير ان رومل كذب هذه المعلومات وادعى ان التشكيل الذي اخبر عن وجوده في الجنوب لا بد وان يكون فرقة ايطالية منسحبة .

فذهب فون (توما) في دبابه لتحقيق الخبر بنفسه ، فانقضت عليه  
الدبابات البريطانية واشعلت النار في دبابته فأخذته اسيراً .

وذهب (باير لاين) رئيس الاركان يبحث عن فون (توما)  
فأشك ان يقع في الاسر ايضاً عندما اقترب الى مسافة بضعة مئات  
الاردات ورأى في منظاره فون (توما) وهو يحاط فانطلق مسرعاً  
لينجو من الخطر وعهد اليه رومل قيادة ما تبقى من فيلق افريقيا .





## الباب الرابع والثلاثون

### الانسحاب

لم تبدأ معركة كتي إلا عندما اضعضنا (العالمين) . فقد جعل الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) خارج المعركة الى ان بدأ الانسحاب . وكان هو الوحيد الذي لم يشترك في القتال . فكنا معذبي الوجدان خلال تلك الايام ونحن نستمع الى المعركة العنيفة تدور على بعد (١٢) ميلا شرقنا في حين ان اساحتنا بقيت دون عمل ولم يكن لدينا ما نفعله غير الاستحمام او التلوكؤ في الشمس .

وعندما مرت آخر دبابة نحو الغرب بدأ واجبنا . ان كان علينا أن نؤلف مؤخرة لرومل . فتجركنا بعد ان مر الجميع ولم نكد ننسحب أميالا قلائل طوار الساحل حتى اشتبكنا مع المدرعات جنوب الطريق توأ . فادخلنا مدافعنا في الموضع وقاتلنا المدرعات .

وتحرك الجحفل الخاص الى الخلف بحركات دباخية . وكان أحد الافواج يشغل دوما موضعاً دفاعياً استر الانسحاب ثم يركب مدافعه ويتحرك . فوصلنا ( مرسي مطروح ) في ٦ تشرين الثاني .

وأمرت أن احتل مواضع مؤقتة في الخط الدفاعي الجنوبي لـ ( مطروح ) او على جانبي نيسم ( سيوة ) . فوزعت مدافع ضد الدبابات — التي كانت لدى سراياي منها خمسة او ستة — في اهم النقاط التعبوية . وكانت مواضعنا تقع بين السدود حيث موانع الاسلاك الشائكة وحقول

للالغام التي تركت على حالها كما كانت في حزيران عندما فكر جنود (او كنيك) في مسك هذا الخط .

وشاهدت قرب المساء دبابات بريطانية على المرتفع جنوب (مطروح) . وعندما بدأ الظلام يخيم فتحت النار على مواضعي الواقعة على النيسم للؤدي الى الواحة . وكانت المطاردة بدون هوادة . اذ تركت الارتال للبقية من جحفلنا المدرع حصن (مطروح) تحت جناح الظلام واستأنفت سيرها نحو الغرب .

وبعد ساعات قلائل جاءني ساع بتقرير موقف مكتوب . فعلت منه ان رؤوس رماح ( مونتكمري ) قد سبق لها ان اصبحت غرب (مطروح) . وانه يحتمل ان تصدر الاوامر حول ترك موضع المؤخرة الحالي حوالي منتصف الليل . وكان علي ان اتحرك على اتجاه معين بالقنص فيؤدي ذلك بي الى الممر الوحيد الباقي عبر حقل الالغام .

واتذكر انني اسفت لعدم سنوح الفرصة لتثبيت وتأشير المدخل الى نفرة حقل الالغام في ضوء النهار . ولكن كان مما يبعث على ارتياحنا ان نعرف اننا سنتمكن خلال الليل التخلص من العدو فقد كان من المؤكد اننا لو بقينا خارج ( مطروح ) مدة اطول لوقعنا في شركه .

وغطى سائقي وساعي الدراجة البخارية عجلتي بالبطانيات فاستطعنا على بصيص مصباح صغير موصل بنضيدة ان نبتلع طعاما من العلب ، وان نكتب رسائل الى ذويها . وانشغلت بالكتابة حتى نسيت ان منتصف الليل قد جاء ومضى منذ زمن طويل . ثم طرق سمعي صوت دراجة بخارية وتوقف محررها فسمعت شخصا يقول « هل هذا هو

المجفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) ؟ » فجاوبه همس خشن « اسكت ، لئلا يسمعك الانكليز ا . »

وجيء بساعي الدراجة الي فامتدت يد من بين البطانيات وهي تحمل الأوامر التحريرية التالية « ( مطروح ) اخليت تنسحب المؤخرة حالا » وكرر ساعي الدراجة هذه الأوامر بنفسه شفويا .

ولقد اصبحت الآن ايجاد سياق الانسحاب . فكان لكل مفرزة في الفوج ساع مكلف بالانتظار قرب عجلتي ، وكانت التعليمات التي اصدرها الي هؤلاء لا تستغرق غير لحظة او لحظتين ، ثم تتحرك دراجاتهم بسكون خلال الظلام الي مواضع المدافع . فتركب المدافع ويحمل العتاد ، ثم تتقارب العجلات من جميع الجهات لتؤلف رتلا واحداً قرب عجلتي التي كانت في واد صغير . لكنه على الرغم من الانتباه الزائد كان يتعذر اخفاء الضوضاء الناجم عن اشتغال المحركات اخفاء تاما . وقد انزعجت وقلقمت في نفس الوقت من صياح بعض السواق عندما كانوا يؤمنون اتصال بعضهم ببعض .

وما كاد رتلي ينتهي من تأليف نفسه الا وسمعنا اصوات انفلاقات وكسر وصفير . وكانت قنابل الدبابات تتساقط على الارض بين اقدامنا تقريبا وتصفر بين العجلات . فاصيب بعضها واشتعلت فيه النيران . واضاء مكاننا الضوء الناجم عن النار فصرنا هدفا جيدا للدبابات البريطانية التي لا بد وانها كانت قريبة جداً من جناحنا الجنوبي . وقدرت ان عدد دبابات العدو ليس كثيراً ، الا ان اوان الحفر قد فات بل ان ذلك في الواقع كان عبثا لا فائدة فيه ، فكان علينا ان نتحرك كما امرنا به . ولكن لمواجهة احتمال



الوقوف والحفر شددت معولا صغيراً في حمالة صدري بشكل منحرف نحو الكتف . فكان هذا سببا في تعطيلنا بعدئذ .

واعطيت الايعاز التالي « بفاصلات واسعة - سر » وركزت عيني وأنا واقف في سيارتي على الابرّة المغناطيسية داخل القنباص ليتسنى لي بذلك ان اقود رتلي في الظلام الى ثغرة حقل الالغام .

وسقنا خلال عاصفة صفري من قتابل العدو . وكان للسواق غرض واحد فقط وهو الابتعاد عن مدى الدبابات المطاردة ، فاضطرب ضبط القافلة . اذ اقتربت العجلات الواحدة من الاخرى خلافا للاوامر بل وصارت في بعض الاحيان تتسابق جنباً لجنب على الرغم من الأمر الصادر باتخاذ الفواصلات الواسعة .

ثم خف القصف شيئا فشيئا وما كدت اتنفس الصعداء الا وحدث زئير وارتنجاج . فترنحت سيارتي وتوقفت واذا بالمبردة والمحرك محطمان . « باللعنة ؟ دبابات امامنا » هذه كانت الفكرة التي لمعت في فكري - وقلت لنفسي !

« لقد قطع الاوغاد علينا الطريق »  
قامرت سائتي وكان قد جرح جرحا خفيفا ان « اقفز »  
وفكرت ان ابتعد من هنا مسرعا اذ لا ينقذنا من هذه الورطة الا السرعة .

وذهبت الى السيارة التي كانت خلف سيارتنا وصحت بالسائق :  
« تقدم لانتحرف » ولكن لم يقدر لهذه العجلة ان تقدم .  
اذ حدث ثانية وميض واصطدام وترنح . وجرح السائق مع جنديين آخرين كانا في نفس السيارة . وبما اني كنت اجلس في

مقدم السيارة فقد نجوت من الاذى . وحينما قفزت من السيارة رأيت .  
في اليمين وميضين ممتازين ثم سمعت انفجارين . ففكرت ان لافائدة من  
الاستمرار على الانسحاب وصححت بالأمر التالي : « رجل - احفر » .  
ولم يكن ثمة ضرورة لهذا الايعاز تقريبا . اذ كانت جميع العجلات  
قد توقفت ومعظم الجنود سبق لهم ان امتدوا على الارض . ولكن  
مما يدعو الى الاستغراب انه حدث فوراً هدوء مطلق لم يعكسه غير  
صوت بعض المحركات .

وكانت تمر فوق رؤوسنا من حين لا آخر قنابل متفرقة آتية  
من خلفنا — وكانت هذه هي الاطلاقات الاخيرة التي كانت تلاحقنا  
بها الدبابات المطاردة . ولكن من هو الشيطان الذي كان يرمي علينا  
من الامام ؟ وبرقت في ذهني فكره فساءلت نفسي « هل هناك من يرمي  
علينا حقيقة أم اننا اصدمننا في حقل الالغام ؟ » .  
ولم أكد اخطو بضعة خطوات الى الامام واخص الارض التي  
خلف اقرب عجلة محطة حتى عثرت على حفر ( التيلتال ) ( ١ ) واذن  
فالالغام موجودة .

وتحيرت اذ كانت قراءتي للقنباص دقيقة الى حد بعيد ، وكنت  
واثقا من ذلك على الرغم من المرعة الفائقة التي كنا نسير بها . ولكن ...  
ولكن وخزاً حاداً دب في جسدي - انه المعول . فلا شك ان فولاذ  
نصل المعول سبب انحراف ابرة القنباص .

وكانت الليلة حالكة الظلام فسكت القنباص قريبا من عيني وأخذت  
اتجاهها على مؤشره الأبيض المنير . ثم رميت المعول بعيداً وأخذت

الاتجاه ، ثانية فاشرت الابرّة كما توقعت الى اليسار بانحراف غير قليل .  
لقد ارتكبت جهالة وها نحن الآن وسط حقل الالغام ودبابات العدو  
نطار دنا دون هوادة . فكان علي ان اعالج الموقف . فهدأت فكري  
وروضت خطتي . وبينما الجنود ممتدين ذهبت ابحت عن حافة حقل  
الالغام .

والح أحد الجنود على مرافقتي . وقد سبق لهذا الجندي ان سرق من  
أحد رفقاته قبل بضعة أيام فاهنته على سرقة على ملاً من الفوج وفي  
ميدان العرض ، ناعتاً آياه بالشخص القذر » فر كض من مكان الى آخر  
غير هباب بالخطر يفحص النياسم ويبحث عن الالغام بدقة .

هذا واننا نعرف عادة ان الغام ضد الاشخاص الخفيفة والسهلة  
الانقجار تزرع بغير انتظام حول الالغام ذات القاعدة الثقيلة التي تستعمل  
ضد الدبابات والعجلات ، ولكن يظهر ان الالغام ذات القاعدة كانت  
اصغر في هذا الحقل من النوع الاعتيادي وانه ليست نمة الغام ضد  
الأشخاص .

وأخيراً عثرت على سلك صادي . من الاسلاك الشائكة التي تدل على  
حافة حقل الالغام وسرعان ما اكتشفت مكان الثغرة وكنا قد اخطأناها  
بخمسين ياردة . وكانت العجلات والمدافع الامامية فقط داخل حقل  
الالغام - وكان معظم الجنود منفتحين في تشكيل دفاعي فطلبت من  
سواق العجلات الخلفية ان يتجهوا نحو الثغرة . وخصصنا ارهاطا اخرى  
للاوجب المخرج الشاق ألا وهو سحب العجلات والمدافع الواقعة في  
الخطر الى حافة حقل الالغام في الخلف وعلى نفس المسالك التي تقدمت  
عليها . فانفجر لغم واحد ولكنه لحسن الحظ لم يقتل احداً . وكانت



الصحراء حوالينا ساكنة سكون الموت فلم نكن نسمع اهلا  
واحدة .

واستغرقت اعادة تشكيل الرتل سالماً ومروره من الثغرة في حفز  
الالغام ساعتين من الزمن . وفقدت اثناء ذلك اربع عجلات ثمينة الاء  
لم تحدث خسائر في الجنود . وقد وجدنا في الحافة الغربية من الحفل  
مفرزة من الهندسة تنتظرنا فلم نكد نمر حتى لغموا الثغرة . وبعد نصف  
ساعة مررا بنا على الطريق ومضوا مسرعين . ومضينا نسرع أيضا  
على الطريق متجهين صوب الغرب . وكان النهار قد اوشك على الطلوع  
ولا بد ان دبابات ( مونتكيري ) كانت قريبة منا وقد تكون في اجنحنا  
او ربما امامنا .

ولامست اشعة الشمس الاولى ظهورنا محدثة ظلالا طويلة أمامنا .  
وفي تلك اللحظة سمعنا ازيز سرب من الطائرات فوق رؤوسنا وبارتفاع  
واطي . فنشرت رتلي بسرعة الا ان الطيارين تجاهلونا . فهل ظنوا خطأ  
اننا مقدمة رتل بريطاني ياترى ؟ . ثم رأينا الطائرات في الافق الغربي  
تنقض فتسقط قنابلها . فعرفنا عندئذ ان هو القمم الاكبر لبلق  
افريقيا .

وتنقلنا عبر منطقة ( سيدي براني ) ليلا وكان الاثر متربا وكاد ان  
يكون في بعض الاماكن غير قابل للمرور . وكادت عجلاتنا ومدافعنا  
ان تنقلب مراراً .

وفتحت فوقنا مشاعل المظلات الاولى قبل ساعة او ساعتين من  
منتصف الليل . ولم اكن قد رأيتها من قبل ولكنها استرعت نظري وهي  
تبدو من الظلمات فاستهواني منظرها فشعرت بجذل لا مبرر له . في

خلال بضع دقائق امتلأت السماوات بـ « اشجار عيد الميلاد » وكانت الاراضي قد اضيئت بالانوار ثم نزلت القنابل ترعد من الطائرات الواطئة . وكنا نتسابق في بعض الاحيان بسرعة جنونية وسط الرعود والبرق ، فاذا ما وقفنا وامتدونا على الارض كانت الطائرات تهاجم حتى الجنود المنفردين فتفاجئهم اثناء الوقوف وقبيل الامتداد . وكانت ظلال الطائرات الغريبة الشكل تتراقص بصورة واضحة على الارض عندما كانت المشاعل تنزل الى الارتفاعات الواطئة وهي مشتعلة — فاذا لم نقف جامدين في أماكننا استطاع العدو ان يرانا . و ضربتنا الطائرات ضربا متواصلا خلال الليل . وكان معدل تقدمنا بطيئاً اذ كنا تارة نتسابق تسابقاً جنونياً وأخرى نقف . وكنا لانجراً على التأخر لئلا تقطع الدبابات علينا الطريق قبل أن نصل الى الجرف والى ( السلوم ) العليا حيث نكون في مكان نسي .

و كانت تلك ليلة ليلاه لفيلق افريقيا . اذ ظهر بنتيجة التعداد فيما بعد انها كلفته خسائر في الجنود والدبابات اكثر مما لو اشتبك في قتال مدرع .

ورحبت بطلوع النهار بسرور معتدل على الرغم من علمي ان الهجمات الجوية ستستمر ، وربما بنفس الشدة ، اذ لاشك من اننا سنشعر باطمئنان أكثر لأننا سنتمكن ان نرى أكثر من الليل وسيتسنى لنا الوقوف وابداء نوع من المقاومة بأسلحتنا الخاصة .

وبعد ان اشرقت الشمس بقليل مرت برآل فوجي كتلة من العجلات وهي تتحرك بسرعة . وكان اجتياز العجلات بعضها لبعض

في أثناء سيرها في قافلة ، ممنوعا عندنا في الحالات التي يوجد فيها خطر هجوم جوي شديد — كما هو ممنوع عند الانكليز — اذ ان الطرق المزدحمة تشكل اهدافا جيدة لطائرات العدو . وبينما كنت انوي ان اتخذ التدابير لتصحيح تصرف السواق المتجهين المارين بنا اذا بفاصلة قصيرة تحدث ، فأمرت السائق بأن يخفف السرعة وان يستدير وتهيأ لـ "كون حازما مع السواق القادمين ثم ميزت العجلة القادمة — فاذا هي عجلة ( الماموث ) المعروفة — وسرعان ما ادركتنا — وكان في اعلاها شخص اعرفه جيداً وكانت اكتافه الى الورا كالعادة . فأدبت له تحية رشيقة ولوح رومل بيده ، واطلق صيحة ذهبت بها الريح المنبعثة من مروره بنا ، وكانت تبدو على وجهه امارات الجد والعبوس .





## الباب الخامس والثلاثون

### دبابات ( سير مانه ) الأمريكية

#### ذات البرج العالي

بحق لرومل ان يبدو متجهماً — ففي صباح اليوم الذي اخلينا فيه ( مرسي مطروح ) كانت الامواج الاولى من قطعات الحلفاء تنزل على شواطئ افريقيا الشمالية الافرنسية على بعد النفي ميل غربنا . وكانت الحدود الليبية امام رومل ، وها هو ذا يقترب اليها للمرة الاخيرة — ذاهباً بعكس الاتجاه الذي كان يصبو اليه . وكان عليه ان يقاوم متراجعاً الى مسافة طويلة . وقد تنبأ منذ ذلك الوقت انه سيعهد اليه مجابهة التهديد الجديد في افريقيا .

و كانت سرعة المطاردة حامية . وقد قاومنا النيوزيلنديين مدة قليلة في الصحراء شرق ( سيدي براني ) وعلى خط حقل الألغام البريطاني القديم في ( بقبق ) . وفي ١٠ تشرين الثاني اجتزنا بسلام لم نكن نتوقعه ، الساحل المنبسط اسفل ممر ( الحلفاية ) . وكانت عن يميننا الشواطئ التي سبحنا فيها أنا ورومل مراراً كثيرة ونحن عراة . وسقنا الى اعلى الممر الحلزوني متجهين نحو ( السلوم ) .

و كان النيوزيلنديين يعقبوننا فاستولوا على ( السلوم ) والبردية و ( كابوزو ) . وتسابقت دبابات الفرقة البريطانية المدرعة السابقة عبر الصحراء طوار حافة الجرف فالتحقت بالنيوزيلنديين . ووقفنا اول وقفة

قصيرة قرب ( سيدي عزيز ) على نيسم ( كابوزو ) . ففتحنا مدافعنا ضد الدبابات حالا ، كما يقتضي أن نفعل ذلك دوماً كتدبير احتياطي ضد الطائرات وضد الهجوم الأرضي معاً ، وبعد أن اكملنا الحفر هيأنا الشاي لنشره مع ( البسكت ) ولحم البقر - وهما من بقايا غنائم طبرق - وها نحن الآن عائدون الى ( طبرق ) أيضاً .

ولم يكد الماء يغلي إلا ولماحنا تلك الاعلام الصغيرة المعروفة تتراقص في الافق . انها اعلام مدرعات افريقية الجنوبية التي كانت تنبج وراءنا . واخذ عددها يزداد شيئاً فشيئاً فوق الافق . ثم تقدم قسم كبير منها الى شكل هجوم قوي . فاتخذ قدامحونا وضع الرمي بسرعة اذ لم تكن قد دعونا هؤلاء الضيوف الى الشاي ، وفتحنا النار في اقصى مدى . فقفلت المدرعات راجعة واختفت خلف ذروة قريبة .

وقد كنا ولا شك ذيل الجيش المدرع الالماني - الايطالي . وكان علينا ان نبقي كمؤخرة لعدة اسابيع مضمينة ، وكان تشكيلنا هو الوحيد الذي لم يشترك في معركة ( العلمين ) فكان عليه ان يعمل كثيراً ليعوض عن ذلك .

و كنت اعرف هذه المنطقة جيداً . وليس ذلك بسبب رحلاتي مع رومل فحسب بل لقيامي باعمال المؤخرة فيها قبل سنة . وقد تطورت وحدتي الآن فأصبحت خبيرة في فن قتال للمؤخرات . وصار في وسعنا ان نتخذ المواضع الدفاعية ضمن دقائق وان نخليها بسرعة .

و كانت المعنويات الممتازة التي يتصف بها فيلق افريقيا لحد الآن تعزي الى ثقة الجنود في تفوق دباباتهم ومدافعهم ضد الدبابات ( التي أمنت حماية جيدة ضد هجمات الدبابات ) على دبابات العدو ومدافعه . أما الآن

فان موازنة التفوق قد تغيرت ، واصبحت دبابات شيرمان الاميركية ذات الأبراج العالية كابوسا علينا . ومنينا بصدمة عنيفة اثناء انسحابنا دباخا على ( فيا باليا ) . فقد وجدت موضعا ملائما يمكن منه مجابهة المطاردين القادمين من الشرق . وكنت مسروراً لورود بعض التقويات الجديدة - وهم جنود المظلات الاقوياء من تشكيل امير اللواء ( رمك ) الذين شقوا طريقهم بشجاعة من حصار العدو في العلمين - وكان لدينا مدفع ٨٨ ملم ضد الطائرات حاضراً للرمي فشعرت بانني منهى . لكل شيء .

وحامت الدبابات الامريكية في الأفق وكانت الأرض متموجة فصارت تظهر تارة وتختفي اخرى . فقلت في نفسي : دعها تأتي . وكانت خطى الانتظار بصبر في الموضع المغشوش غشا جيداً ومسك ناري حتى تصبح الدبابات الامريكية على مسافة قريبة من مدافعنا عيار ( ٥٠ ) ملم فتتمكن عندئذ ان تقاتلها باعظم تأثير ممكن . وقد اكدت هذه النقطة للضابط المدفعي الاقدم معي غير ان جنود ضد الدبابات الجدد كان ينقصهم التدريب أو تعوزهم اعصاب جنود فيلق افريقيا القدامى .

وتقدمت دبابتان بريطانيتان نحونا إلا انها كانتا لا تزالان خارج المدى المؤثر لمدافع ( ٥٠ ) ملم ضد الدبابات ، ففتحنا عليهما النار بمدفع ( ٨٨ ) ملم فاجتباأنا فوراً في ارض ميته . وصرت اترقب بدقة المنطقة التي كانتا فيها بناظوري . واذا بهما تصبان علينا بسرعة نيران القنابل التي كانت موجهة علينا بصورة مؤثرة كأنها آتية من مدفعية حقيقية ، وقد تمر كزت نيران الدبابتين على مدفعنا ( ٨٨ ) ملم الذي كان قد فتح النار



قبل الاوان . فتمذر على قداحي هذا المدفع ان يروا خصومهم .  
ولاحظت حركة على مقربة من المكان الذي اختفت فيه الدبابتان  
هذا اذن هو المحل الذي يترصد منه العدو . وقبل ان نتمكن من معالجة  
مرصد العدو استطاعت الدبابتان ان تعطلا مدفعنا (٨٨) مليما ، وان .  
مشاتنا الآليون لم يحبوا هذا . فقد تعلموا من تجاربهم اننا يجب ان نعتمد  
على مدافع ( ٥٠ ) ملم ضد الدبابات ، وكان من الواضح ان هذه  
لا تستطيع ان تضاهي بمداهها المدى المؤثر لدبابات (مونتكري) الجديدة .

وقد رت اكثر من ذي قبل ضرورة غش المواضع غشا جيدا وضبط  
النار اذا اردنا ان نؤمن المباغته وان ننجح في سلسلة القتالات الطويلة  
من نوع ( اضرب — واركض ) التي صار لا بد منها ، والآن وكان  
الجنود مدربين تدريبا جيدا على هذه الامور وقد سنحت لنا الفرصة  
لتجربة ذلك عندما وقفنا لنقاتل قرب ( اجداية ) .

ودخل البريطانيون ( طبرق ) في ١٣ تشرين الثاني بدون مقاومة .  
وكان القسم الاكبر من قوتهم قد تقدم ( ٢٢٠ ) ميلا في ستة ايام ولم  
تكن لديه مواد التموين الكافية للاستمرار على المسير . إلا انهم استطاعوا  
ان يجعلوا مينائي ( مرسي مطروح ) والبردية صالحين للعمل بعد احتلالها  
بيومين ، فتمكنوا بذلك من ادامة قواتهم الخفيفة التي طاردتنا دون  
هوادة ، واحتل البريطانيون ( درنة ) في ١٦ منه فصار في وسعهم الاستفادة  
من مطارها بالاضافة الى ارض التزل في ( غامبوط ) ليتمكنوا المقاتلات  
من اسناد القطعات الارضية اسنادا قريبا . وقد استطاعت هذه المقاتلات

في حينه ان تؤمن سترأ جويأ الى قافلة خرجت من الاسكندرية لتخليص مالطة عندما كانت هذه الجزيرة على شفا المجاعة .

وفي ١٨ منه دمرت مؤخرتنا مدرعات العدو في ( شليظيمة ) و ( انتيلات ) الواقعتين على الممرات الرئيسية في الجرف . وانسحبنا ثانية في الليل . ففقدنا ( بنغازي ) ، واعطتنا الامطار الغزيرة التي هطلت مدة يومين راحة قصيرة في ( اجدابية ) قبل ان يتمكن العدو من ان يلحق بنا مرة اخرى .

والف تشكيلنا الذي كان لا يزال بقوة كتيبة ، خطا دفاعيا في الاراضي الرملية التي تكثر فيها التلول ، واتذكر اننا كنا جذلين لأن مستودع تموين الماني قريب منا قد ترك فجمعنا منه كميات كثيرة من المدخرات ، واستطاع مطبخ الميدان ان يهيئ لنا وقتئذ طعاما ممتازا وكنا نملك كمية كبيرة من الشوكولاته والسكري ، ولم أحدد أرزاق الجنود فمن يدري ما يأتينا به الغد ؟

وحفرنا مواضع جيدة لمدفعيتنا ورشاشاتنا ، وبهثرنا الرمل المستخرج من حفر المدافع . ووضعنا الهواوين في واد قرب مطبخ الميدان ، وكانت جميع المواضع مغطوشة بشوك الابل .

وبالاستفادة من تعاليم رومل فتشت مواضعي من الامام فكان يصعب اكتشافها ما عدا مدفعا روسيا واحدا عيار (٧٦ ر٢) ملم فلم ارض عن موضعه تماما . ولكن قبل ان اتمكن من اكمال غشه ، صاح الراصد الذي كان يراقب العدو بمنظار قوي مركب على قاعدة من خندقه الشقي « دبابات العدو - الشمال الشرقي » فقفزت في الحفرة التي بجانبه ونظرت بالمنظار وأنا اصدر الامر التالي :

« للقتال نهياً — دبابات في الشمال الشرقي » .

فتوقفت حالا كل حركة مرئية في موضعنا . وجرت المخبرات بعد ذلك بتلفون الميدان فقط .

وصرنا الآن نستطيع رؤية الدبابات في القواطع الأخرى أيضا . وطارت فوقنا طائرتا استطلاع بريطانيتان فلم تكشفانا وصبت عليهما مدافع ضد الطائرات الواقعة غربنا تيرانها الحامية فتمكنت من إسقاطهما معا وخابرنى ضابط من مقر العقيد ( منتون ) مفيداً أن أحد الطيارين البريطانيين انقذ حياته بتزوله بالمظلة وعند وصوله الى الأرض أخذ اسيراً . ثم أكد لي بشيء من الدهشة ان الطيار لم يكن يدري انه كان فوق مواضعنا . وانكشفت أمامنا الآن صورة رائعة . فقد تحشدت تدريجياً نحو ( ٣٠ ) دبابة في واد طويل ضحل أمام جبهتنا . وكانت مدفعيتنا الثقيلة ترمي العدو من ( اجدابية ) من الخلف بنيرانها المتقطعة التي كانت تمر فوق رؤوسنا . ولكن هذه لم تكن ذات تأثير كبير . والتحققت بالدبابات في الوادي بطريقتان من مدفعية العدو مع قوة من مشاته . وجاءت عجلات العتاد الى المدافع . وكنت استطيع في الحقيقة ان اميز خلال المنظار حر كات ايدي القداحين وهم يدرون آلاتهم عندما كانوا يرمون نار مقاتلة البطريات على استقامة ( اجدابية ) . وكانت قناباتهم تمر من فوق رؤوسنا . ثم ميزت عجلات العتاد المدرعة . فظهر منها عدد من الضباط البريطانيين من ذوي الرتب الكبيرة طبعاً ، إلا ان أوامر جازمة كانت قد اعطيت لمدفيعتنا بعدم الرمي على أي هدف لم يتجاوز خطاً معيناً — وكان جنود المدفعية يظهرون هدوءاً وضبطاً مثالين .



ورأيت بعدئذ خلال المنظار - الجاسوس - ضابطا بريطانيا يحمل سوطا ويعطي إشارة يدوية . فبدأت دبابات ( شيرمان ) تخرج نحونا . وتقربت ثلاث منها على نيسم وكانت أحد مدافعي تسيطر عليه . وكان المدفعيون من جنود الفرقة الاجتبية القدماء .

وتقربت الدبابات من خط الواجب الناري تدريجيا ، ثم بدأت دبابات أخرى تتقدم . ووصلت الدبابة الاولى الى الخط واجتازته . فانطلقت قنابل متعاقبة من افواه مدافعنا ، فاصيبت الدبابة الامامية باطلاقة مباشرة على برجها الشبيه بالقبة غير ان القنبلة تنططت دون أن تحدث ضرراً اذ كان الدرع جيداً جداً .

ووقفت الدبابات فاستدار بعضها الى الخلف ومن بينها دبابة ( الشيرمان ) الامامية . وفيما هي تستدير تناولتها الرشقة الثانية من قنابلنا من الجناح . فاشتعلت فيها النيران . وهكذا فقد وجدنا نقطة ضعيفة حتى في المارد الجبار .

ثم صار الصراع بين الدبابة ومدفع ضد الدبابات في اوج شدته واستمر مدة ساعتين ، فتدمر بنتيجة ذلك موضعان من مواضع مدافعي إلا اننا حطمنا دبابات اكثر نسبيا ووقفنا تقدم العدو . وسحب جنود الانقاذ بمهارة وجرأة عظيمين دباباتهم المحطمة من ميدان المعركة الى مكان أمين بينما كان القتال دائراً .

على ان وقوفنا لم يكن نافعا فان طليعة اللواء المدرع الـ ( ٢٢ ) التي اجتازت ( ٢٦٠ ) ميلا من الصحراء قد وصلت الى يميننا وهددت جناحنا بالاحاطة . فأخلينا مواضعنا مرة أخرى وانسحبنا الى ( العقيلة ) . وهكذا اضاع رومل ( برقة ) كلها .

## الباب السادس والثلاثون

### ضباع ظرابلس

استدعيت في (العقيلة) الى مقر فيلق افريقيا فسألني القائد ان ابين له مختصراً عن الامكانيات الدفاعية لواحة (مرادة) . (لا بد ان أحد ضباط ركن المقر قد تذكر مهمتي في اوائل ١٩٤١) .

فأجبت « يمكن الدفاع عن (مرادة) بسهولة اذا تيسرت لها قطعات كافية وامكن تأمين مواد تموين كافية لها . وقد تدعو الحاجة الى تموينها جواً لأن العدو يستطيع ان يقطع خطوط التموين الأرضية الى الواحة بسهولة » . وكان ما ذكرته اشبه بدليل الطفل الى الحرب . ولم يكن ثمة ما تناقشه غير ذلك . وكان القائد وديا معي . وبعد ان ناقش آرائي برهة من الزمن قدم لي فنجانا من القهوة — وهو اول فنجان لذيت ذقته لاسابيع خلت . واستنتجت من سياق الحديث أن النية قد اتجهت الى اهمال فكرة مرادة من قبل لانه لا يمكن تهيئة نظام دفاعي بين (العقيلة) (ومرادة) في المدة القصيرة الباقية قبل ضغط العدو علينا مرة أخرى . وقد كانت (العقيلة) اقصى ما بلغه التقدم البريطاني في ليبيا مرتين

من قبل . وهي اقوى المواضع الدفاعية في هذه المملكة ، اذ يصل المهاجم أولا الى منطقة مستنقعات ملحية ثم يلاقي ثغرة بين هذه وبين مستنقع ملحي آخر في الجنوب ، ثم أرضاً مهحلة تحتوي على كثبان ناعمة الرمال كوفت منها رياح الصحراء اشكالا هلالية . والى جنوب ذلك جوف

مر رفع و كشيان ومستنقعات ملحمة اخرى . وتبعد العقيلة ( ١٥٠ ) ميلا عن ( بنغازي ) و ( ٣٠٠ ) ميل عن ( طبرق ) . فلا يأمل أي جيش ان يخترق هذا الموضع مالم يكن منتعشاً واموره الادارية مضمونة . لكنه ظهر لي بوضوح في المقر اننا لانستطيع البقاء في ( العقيلة ) هذه المرة . وصحيح ان رومل قد اعلن ان « ( العقيلة ) هي الجهة النهائية التي ينبغي توقيف تقدم الجيش الثامن عندها » . إلا انه كان متعذراً تقويتنا بالمعدات الكافية لمعركة دفاعية ناجحة .

وكان الجو - طبعاً - مليئاً بالاشاعات ، وعرفت قطعاننا ان امدادات كبيرة قد نزلت في تونس . وكان سواقو عجلات التمر الذين وصلوا من تونس يتحدثون عن دبابات « النمر » الضخمة - وهي الدبابات الثقيلة التي وعد هتلر بها رومل قبل ( العامين ) - وكذلك عن قاذفات الدخان القاذفة الصميت التي ظهر بعدئذ انها مدافع هاون مزدوجة جوي بها من الجهة الروسية . وتحدثوا أيضا عن الـ ( جايبكانتن ) - وهي الطائرة الشراعية الناقلة الضخمة التي تستطيع ان تحمل دبابة خفيفة او ( ٢٥٠ ) جنديا .

واستمرت الحكاية تقول ان القيادة العليا في برلين نوت أخيرا أن تتم هذه القوة ( المتحمة ) في افريقيا . بيد اننا لم نشاهد في الجهة الواجبة للجيش الثامن اية تقويات حقيقية ، بل على العكس من ذلك سعت بعض الوحدات الفنية من فياق افريقيا وارسلت على عجل الى تونس .

وفي الغرب استطاعت قوة الغزو الانكلو - امريكية ان تثبت اقدامها في مراکش والجزائر .



وفي هذه اللحظة الحرجة كانت على بعد ( ٢٥ ) ميلا من تونس .  
وقد ارسل كل مثقال من التقويات التي امكن تخصيصها لأفريقيا الى  
تونس ولم يرسل منها شيء الى رومل في ليبيا . واذا حسبنا كل جندي  
التحق بنا خلال انسحابنا الطويل كان مجموع قوتنا الآن لا يزيد على  
( ٢٥٠٠٠ ) ايطالي ( ولم يكن كلهم يؤلفون قطعاً محاربة فعالة )  
و ( ١٠٠٠ ) الماني . وكانت لدينا اقل من ( ١٠٠ ) دبابة .

وكانت خطة رومل تقضي بعدم الاحتفاظ بالعقيلة اكثر من المدة  
اللازمة لاجبار ( مونتكمري ) على الانفتاح والتهيوء للهجوم ثم ينسحب  
الى ( البويرات ) لستر ميناء ( طرابلس ) نفسه .

ويظهر ان العدو قد شعر في اوائل كانون الاول بأننا ننوي  
الانسحاب الى مسافة أبعد . ومن المحتمل انه ادرك ذلك لأن رومل قد  
ارسل الايطاليين الى الخلف مقدماً خوفاً من خطر وقوع آلاف منهم في  
الاسر من جراء نقص النقلية الآلية كما حدث في معركة ( العلمين ) .  
وترك القوات الألمانية السيارة تحتفظ بالموضع حتى انزل ( مونتكمري )  
ضربته الجديدة .

وبدأنا ننسحب ليلة ١٢ كانون الاول بعد ان اتضح لنا ان العدو  
ينوي القيام بهجوم جبهوي ، وكان على الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) أن  
يحمي مؤخرة فيلق افريقيا من جنوب طريق ( مرادة ) حتى الطريق  
الساحلي فالبحر المتوسط . وكان البريطانيون بطيئين في شق طريقهم  
عبر مصائدنا والغامنا وحفرنا ، لكنهم استطاعوا في ٢٥ منه ان يلحقوا  
بنا ، فانزلت بنا دبابات اللواء المدرع الثامن ضربة شديدة على طريق  
( مرادة ) فقدنا بنقيجتها سرية كاملة تقريباً .

وقد اوقفنا الدبابات البريطانية بواسطة حفرة عميقة مقامة عبر الطريق الرئيسي . غير ان ( مونتكري ) كان في نفس الوقت قد استخدم النيوزيلنديين في احدى كاشاتهم البسرى التي اشتهروا بها . فقام هؤلاء باحاطة واسعة حول الموضع الرئيسي وهددوه من الخلف في وادي ( ماراتن ) الواقع نحو ( ٦٠ ) ميلا قرب ( العقيلة ) . و كان قسم غير قليل من مؤخرتنا ، التي كانت تنسحب دباخا على الطريق ، لا يزال على الجانب الشرقي من الوادي . و كان الطريق الوحيد السهل عبر الوادي هو الطريق العام نفسه ، فاستطاع النيوزيلنديون ان يحتلوا موضعا على الطريق ولكنهم لم يبذلوا جهدهم في هذه المرة كما ينبغي . وظهر انهم اضاعوا طريقهم ليلا على الرغم من ضوء القمر ، فتمكنا بانقسامنا الى جماعات صغيرة كل منها بقوة سرية ان تندفع خلال الثغرات التي بينهم . لكننا فقدنا بعض الدبابات والمدافع والجنود . و نسفنا القناطر والجسور على جميع الوديان ونثرنا الالغام على الطريق فاضطر العدو ان يندفع بحذر ، الا انه استطاع مع ذلك ان يلحق بنا في ( النوفلية ) ليلة ١٦ كانون الاول فحدثت بيننا وبين مقدمة ( مونتكري ) بعض المناوشات مدة يومين ثم انسحبنا نحو ( سيرت ) .

وفي ٢٢ منه بقيت فرقة واحدة فقط في الامام وهي الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) . إذ كانت الفرقتان المدرعة الـ ( ٢١ ) والخفيفة الـ ( ٩٠ ) في الخلف مع القسم الاكبر تهيمتان خطأ جديداً في ( البويرات ) ، وتردد العدو قبل ان يتحرك الى ما وراء ( النوفلية ) إذ كان على بعد يزيد عن الـ ( ٢٥٠ ) ميلا من قاعدته في ( بنغازي ) غير انه كان عليه مع ذلك ان يحتل اراضي

نزول متقدمة اذا اراد ان يقاتلنا في ( البويرات ) ولذلك فانه دفع مدرعاته الى الامام نحو ( سيرت ) الواقعة على بعد ( ٨ ) اميال الى الغرب . وعلى الرغم من ان المقدمة كانت خفيفة فانها هددتنا بالتطويق ، فقام الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) بقفزات دباخية مرة اخرى . وترك القرية الى العدو .

٢

وفي عشية عيد الميلاد ، وجدتني أقود الفوج الامامي من المؤخرة على طريق ( فيا باليا ) وعلى مرأى من ( سيرت ) ، وكنت أرى قطعات ( مونتكري ) وهي تدخل القرية بعد ظهر ذلك اليوم بل ورأيتهم أيضاً يطهرون أرض النزول .

يا لها من ليلة غريبة احتفلنا بها ! فقد اتخذنا شجرة عيد الميلاد من عمود من الخشب ثقبنا فيه ثقباً لتحمل اغصان الشوك البري . وزينا الشجرة بالاوراق الفضية واستحدثنا نوعاً من الشموع . واستلم كل جندي من جنودي ثلاث سكاير هدية بمناسبة هذا العيد ، وكنا قد ادخرناها منذ مدة لهذه المناسبة ، واستلمنا كيساً خفيفاً يحتوي الرسائل الواردة اليها من الوطن ، فكانت هذه خير هدايا عيد الميلاد .

وبينما كنا مشغولين في ايقاد الشموع على شجرة عيد الميلاد في الهواء الطلق لمحنا ثلاثة جنود يترصدوننا من الارض الظلماء ، فأمرت بجلبهم . فجاءوا مترددين ، فظهر انهم دورية المانية مؤلفة من ضابط واحد واثنتين من المراتب . ووضح الضابط ان وحدته ، التي كانت غربتنا أمرته أن يكتشف من هم أمامها .



فقلت له « ليست ثمة حاجة لأن تذهب أبعد من هذا . فليس أمامنا  
غير البريطانيين . وخير لك ان تشار كنا في هذا الاحتفال الفقير » .  
غير ان هذا الضابط كان ذا وجدان مثالي فاعتذر قائلاً انه يجب ان  
يستمر في دوريته . واختفى في الظلام متجها صوب الشرق .  
ولقد لقيته صدفة في ايطاليا بعد مدة طويلة فاخبرني بما حدث له :  
لقد ضل الطريق ، وبعد ان تعثر في الظلام عدة ساعات وجد نفسه  
ثانية في المكان الذي نصبنا فيه شجرة عيد الميلاد ، فاستنتج انه كان  
ينبغي لنا ان نلغم الطريق ، بعد ان تركنا موضعنا — وكان استنتاجه  
هذا صحيحا . ثم تعثر غربا ليعثر على العجلة التي تركها عندما بدأ بدوريته  
مشيا على الاقدام . فوجدها وتعبنا فيها باتجاه الغرب ، ولكنه كان  
يتجنب النيسم الذي يمرنا عليه خشية أن يكون مانعا . إلا انه اصطدم  
مع ذلك ببعض الالغام التي قذفت بعجلته الى اعلى فاصيب بجرح خطير .  
وحمله رفيقا ، اللذان جرحا جرحا خفيفا ، حتى اتاح لهم الحظ ان  
يصادفوا جماعة من الهندسة كانوا مشغولين في زرع الالغام فواصلوهم  
الى حيث الامان .

ربما ليست لهذه الحكاية أية حكمة خاصة — وان دلت على شيء  
فإنما تدل على ان وجدان الانسان قد يكون أكثر حساسية عشية  
عيد الميلاد .

تظاهر رومل بالوقوف ثانية عند وادي ( زمزم ) غرب ( البويرات )  
مباشرة . وقد استغرب العدو في حينه من ذلك واستغرب كذلك بعض

ضباطنا . اذ كان يبدو منطقيا ان لاندافع عن هذا الموضع الذي طوله نحو ( ٢٥ ) ميلا والذي يمكن احاطته بسهولة وان نقف بدلا منه على الخط الطبيعي القوي بين ( الحمص ) و ( ترحونة ) .

والحقيقة ان القيادة العليا كانت قد قررت قبل انتهاء السنة ان تضحى بطرابلس الغرب كلها وان تركز الجهود على ادامة رأس جسر في افريقيا حول تونس . فاذا استطعنا ان نصد القوات الانكليزية امريكية هناك فسيتمكن لنا الاحتفاظ بسيطرتنا على القسم المركزي من البحر المتوسط لاسيا ونحن نحتل ( صقلية ) أيضا ، وينبغي ان نحرم العدو من استعمال هذا البحر بحرية ، كما ينبغي بالاضافة الى ذلك ان ان نبعده عن الجناح الجنوبي لاوريا الذي كنا نعرف انه يرغب في مهاجمته رغبة شديدة . وكان تشرشل قد ذكر ذلك بوضوح تام .

وفي اوائل كانون الثاني ارسل جميع الطليان الى الخلف غرب ( البويرات ) وافرت صديقتنا الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) من جيش رومل الالماني — الايطالي المدرع فارسلت للالتحاق بالفريق فون ( ارني ) . وزكنا في ( زمزم ) مع الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) والفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) .

وكان في وسع ( موتسكري ) ان يطردنا من خط ( البويرات ) بسرعة لو عرف اننا لاننوي الاحتفاظ بموضعنا . وكانت معضلته ، انه اذا اكتسب هذه المعركة عليه ان يتهيأ حالا للاندفاع الى ميناء ( طرابلس ) . وقبل ان يصل الى هناك سيصبح على بعد ( ٦٠٠ ) ميل

من اقرب ميناء ملائم للتموين في ( بنغازي ) — أي انه سيكون في موقف خطر .

وقد قرر ان ينزل ضربته على مواضعنا الواقعة على طرفي الطريق العام بفرقتين من المشاة وان يرسل دباياته والنيوزيلنديين للقيام بواجبهم الالتفافي المعتاد من اليسار . لكن ميناء ( بنغازي ) اصيب في الواقع باضرار بالغة من جراء عاصفة عاتية ، فاضطر ( مونتكري ) أن يعطل إحدى الفرقتين اللتين كان ينوي استخدامهما في الهجوم الجبهوي وان يستفيد من نقليّة هذه الفرقة لجلب مواد التموين على عجل من ( طبرق ) التي تقع على مسافة أبعد . ولا بد أن ذلك قد اقلقه .

ولكن لم يكن ثمة داع الى زيادة قلقه ، اذ لم تكن اقوياء بدرجة نستطيع معها ان نبدي مقاومة عظيمة . وزحف النيوزيلنديون بسرعة حول جناحنا . اما في الجهة فان قطعات ( مونتكري ) عبرت وادي ( زمزم ) في اليوم الاول . وهكذا استأنفنا ثانية عملنا المرهق القديم ألا وهو القفز دباخا الى الخلف وزرع الالغام وقلق التخريبات . وفي ليلة ١٧ كانون الثاني اخلينا ( المحص ) . وكانت المنطقة وعرة فساعدتنا ضد العدو الذي كان متفوقا علينا تفوقا ساحقا بالعدد . واستطعنا إيقاف ( مونتكري ) بعناد قرب ( طرحونة ) خاصة بجنود ( رامكه ) وبدباياتنا التي كان قد تضاعل عددها بشكل مؤلم .

وقد قاتلت المؤخرة قتالات شديدة غرب ( المحص ) لكنه على الرغم من ان الدفاعات التي هيأناها هنا كانت صحيحة فقد كان عددنا قليلا



وقد سبق ان اتجهت انظار رومل نحو الارض الخلفية في تونس .  
فقاتلنا لذلك قتالات بسيطة في ( كوراديني ) و ( كاستلفردة ) ثم ابدت  
الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) آخر محاولاتها ليلا على بعد نحو ( ١٢ ) ميلا  
خارج ( طرابلس ) . وابدت المؤخرة مقاومة في ( كاستيل بفيو )  
و ( عزيز ) و ( غريان ) . ثم انتهى واجبنا فانسحبنا دباخا مرة اخرى .  
ودخل ( مونتكمري ) طرابلس في ٢٣ كانون الثاني بعد بدء معركة  
( العلمين ) بثلاثة أشهر تقريبا .



## الباب السابع والثلاثون

### مع الأمريكيين لأول مرة

قمنا نحن والحلفاء باعادة تنظيم جهازنا الحربي بأجمعه في شمال افريقيا وقد اجتمع تشرشل وروزفلت وآيزنهاور في الدار البيضاء في واسط كانون الثاني ، فوضعوا الخطط التي تقرر بموجبها ان يصبح الجيش الثامن عند دخوله تونس تحت امرة ( آيزنهاور ) القائد العام والفريق ( الكسندر ) القائد المقاتل الرئيسي لقيادة ماسمي بجحفل الجيش الثامن عشر — الذي استنبط اسمه من توحيد رقمي الجيش الثامن والجيش الاول الذي كان يقوده الفريق ( اندرسون ) والمسؤول عن القتال الاول الذي جرى في تونس ، ولم يدخل تحت امرة الجيش البريطاني الاول في بادى الامر الفيلق الأمريكى المستجد او الفيلق الافرنسي التاسع عشر الذي أبى الفريق ( جيرو ) ان يسمح بأن يقوده قائد بريطاني . بيد انه عندما اضطربت امور هذين الفيلقين واصبحا في وضع حرج اضطر ( آيزنهاور ) ان يخرجهما من سيطرته التي لم تكن محكمة عليهما نوعا ما ، وجعلها تحت امرة الفريق ( اندرسون ) بصورة مباشرة . وتولى الكسندر القيادة الرئيسية على عجل في ١٧ شباط قبل الموعد المقرر لذلك ببضعة أيام ، لأن رومل انزل ضربة حاذقة غير متوقعة على منطقة ( قصرين ) وقد كنت هناك لحسن حظي .

وفي الوقت نفسه لاقى رومل ( فون إرنيم ) في ( قابس ) فناقشا

خطة المحور ، وكان ( فون ارنيم ) يعتقد انه بعد ان نجح جيشا المحور في الاتصال ، عليها ان يحتفظ برأس جسر قوي من ( بيزرت ) الى خط (مارث) الذي كان يعتبر ( ماجينو ) افريقيا ، والذي شيده الافرنسيون قبل سنوات طوال على الحدود التونسية الطرابلسية ، ولكن رومل خالفه في ذلك اذ لم يكن يعتقد امكان الاحتفاظ بجهة واسعة كهذه مدة طويلة ، وقد استت القيادة العليا للمحور حينذاك مقر جحفل جيش لبيساطر على حركات جميع القوات المحورية في تونس .

وفي ٢٣ منه عهد الى رومل بالقيادة العليا لهذا الجحفل الذي اطلق عليه اسم جحفل جيش افريقيا (١) . وبقي ( فون ارنيم ) قائداً للجيش الالماني الخامس المؤلف من القوات الاصلية التي ارسلت الى تونس على عجل لمقاومة الغزو البريطاني - الامريكي والذي عزز تعزيزاً ضخماً منذ ذلك الوقت ، وعندما اسس رومل مع معظم هيئة اركانها الاصلية مقرهم الجديد ، الفى مقر الجيش المدرع الالماني - الايطالي ( وهو التشكيل الذي قاده رومل منذ ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٢ ) . وبدلاً من ذلك اعيد تنظيم القوات المحورية التي طردها الجيش الثامن من مصر فسميت بالجيش الايطالي الاول بقيادة الفريق ( ميس ) الذي سبق له ان قاد فيلقا ايطاليا في روسيا ، وقد اشتمل هذا الجيش ايضا على الفيالقين الايطالي الـ (٢٠) والـ (٢١) .

وجرى تعزيز القوات التونسية بفرق كانت تمكن رومل قبل سنة

---

(١) وقد بقي رعباً للقائد العام لجحفل الجيش هذا حتى ١٣ مايس وهو اليوم الذي انتهت فيه جميع مقاومة المحور في افريقيا .



ان يخرق مصر حتى قنال الضويس — لو ضمن لهذه الفرق مواد التموين اللازمة لاطعام جنودها ولتأمين قابلية حركة عجلاتها . فقد حصل (فون ارنيش) على الفرقة المدرعة العاشرة وهي احدى الفرق التي ابليت بلاء حسنا في فرانسة وفرقة المشاة الـ ( ٣٣٤ ) وفرقة ( هيرمان غورنغ ) المدرعة وكتيبة ( بارنتين ) وكتيبة ( كوخ ) الصاعقة ( وهاتان الاخيرتان مؤلفتان من الها بطين بالمظلات ) والمفرزة المدرعة الـ ( ٥٠١ ) التي كانت بقوة فوج والمجهزة بدبابات « النمر » الحديثة العلامة (٦) وفرقة (مانتوفل) التي وصلت مبكراً وعدة افواج من حملة الرمايات من الكتيبة الـ (٤٧) التي كان قسم من جنودها قد جاء من ( كريت ) والقسم الآخر مؤلفا من تقويات وردت حديثا من المانية . وهكذا اصبحت لدينا ثلاث فرق المانية مدرعة واخرى مجهزة بدبابات ايطالية ، وقد قيل ان القوات المحورية في تونس بلغت نحو اربع عشرة فرقة كان نصفها المانيا . وكان لدى الكسندر تسع فرق فقط عندما تولى القيادة إلا انه اتخذ التدابير لزيادتها حتى بلغت نحو عشرين فرقة في مائس .

وفي الوقت نفسه كانت تصلنا التقويات أسرع من العدو — وقد قدر (الكسندر) اننا نتلقى ألف جندي في اليوم ، وكانت التشكيلات الجديدة أحسن دواء لما رشا لنا المريض (١) ، ولا جدال في ان انسحابه (الاقتصادي) ببقايا فيلق افريقيا من العلمين ( حيث فقدنا فيها المعركة قبل وصول رومل ) حتى خط ( مارث ) كان من اعظم مآثره كقائد

(١) يعني المؤلف بذلك المارشال رومل الذي كانت صحته قد ساءت وقتئذ  
الحد بعيد (المعرب)

تعبوي وان كان من المحتمل انها لم تنل من التقدير ما نالته ما ثره  
الآخري .

واني لا اتفق مع النظرية القائلة ان رومل كان « انسانا كاملا »  
فعندما كنت بقربه وجدت ان قابليته على التصور وذكاءه اقل بكثير  
من الصور الخيالية التي صورها له أصدقاؤه واعدائه على السواء ،  
ولكنني كواحد من الذين كنت غالبا بتماس مستمر مع العدو خلال  
الانسحاب الطويل من ( العالمين ) الى ( مارث ) اعترف بمهارته في ادارة  
حركاتنا طيلة ذلك ، إذ لم يفقد أكثر مما ينبغي وقا تل لاكتساب الوقت  
لتأسيس معقل جبار لتجربة القوة في تونس .

ولم يكدر رومل يتصل بـ ( فون آرني م ) ويسحب فيلقه الافريقي  
على عجل الى ملجأ خط ( مارث ) إلا وصار يضع الخطط لاستئناف  
الحركات التعرضية ، كما هو معروف عنه . وكان الخطر الذي يخشى  
منه رومل في ذلك الوقت قيام القوات الانكليزية — الامريكية في  
تونس بهجوم على الجهة الواسعة السكائنة وراهه ، فقرر لذلك ان ينزل  
ضربته اولا بهجوم مباغت بجميع قواته الآلية لتحطيم اعظم ما يمكن من  
جيش العدو ، ثم بلفتت بسرعة نحو ( مونتكري ) ليطرده الى الحلف  
نحر الشرق فيؤخر بهذا التعرض الذي لا بد وان الجيش الثامن سيقوم به  
ان لم يفعل هو ذلك .

اني لا انوي كتابة تاريخ عسكري عن معركة تونس المعقدة  
على الرغم من انها معركة خلاية . فاذا لم تكن دارسا للحرب فسوف  
لا تعبأ بالاسباب التي ادت الى ارسال وحدثني على الطريق الجيد المؤدي  
من ( قابس ) الى واحة ( قفصة ) ، اما اذا قد درست لها ، فستعرف ان

هناك طرقاً تخرج من الواحة فتعبر السلسلة الغربية لجبال تونس في ( قصرين ) و ( فريانه ) فيتضح لك من ذلك منشأ خطة رومل .

وقد اسس رومل خلف ( فايد ) قوة احتياطية لجحفل الجيش ، كانت نواته الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) . وكان الفيالق الامريكى الثانى المؤلف من قطعات مستجدة لم تتعود على المعارك الدموية بعد ، مرابطا عبر سهل ( فايد ) بين ( قفصة ) و ( فندق ) وكان مضيق ( قصرين ) خلفها . وكانت الفرقة الامريكية الاولى منتشرة في منطقة ( سيدى بوزيد ) على جبل ( ليسوده ) — وهو قمة منعزلة شمال القرية — وفي ( سبيتلة ) وعلى طريق ( سبيتلة ) — ( بيشون ) .

وفي ١٤ شباط زج رومل نحو مائة دبابة وقطعات سائدة ضد الامريكيين واستخدم طائرات ( شتو كا ) كوسيلة اضافية جيدة لدحر ( الاولاد الجدد ) . وعلى اثر ذلك سحقتم المدفعية الامريكية ففقدت ثلاثين مدفعا . وحطمت الدبابات الالمانية الدبابات الامريكية تحطبا شديداً .

وقام الامريكيون في اليوم التالي بهجوم مقابل غير ناجح ، فتقهقروا على اثره نحو ( سبيتلة ) تاركين مشاتهم منقطعين على جبل ( ليسوده ) فأمر عدد كثير منهم . وقد قل عدد دباباتهم بدرجة سيئة — اذ تحطمت منها ست وثمانون دبابة — فتعذر عليهم الدفاع عن السهل واضطروا الى الانسحاب الى ابعد من ذلك حتى سلسلة ( دورسال ) الغربية .

وظهرت وحدتي — الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) — على المسرح في اليوم الثانى من هذا التعرض . فقد أمرنا بالهجوم لاحتلال واحة ( قفصة ) التي توقعناها محتملة من قبل المظليين الامريكيين والافرنسيين



الاحرار . غير ان الواحة كانت محتلة في الواقع من قبل الامريكيين ( الكوماندو ) وخيالة ( دير بيشاير ) البريطانية التي حصلت بالاشتراك مع الهوسارس الـ ( ١١ ) — اعداءنا القدماء في الصحراء الغربية — على شرف احتلال تونس بعد ذلك بمدة غير طويلة . على ان هذه القطعات انسحبت اتفاقا مع الانسحاب الامريكي العام الى سلسلة دورسال الغربية اما الافرنسيون الاحرار الذين كانوا على ( دورسال ) الشرقية فانهم تراجعوا أيضا الى السلسلة الاخرى .

وفي خارج ( قفصة ) تهيئنا لفكرة لقاء الامريكيين في ميدان المعركة للمرة الاولى ، ولم نكن ندرك وقتئذ ان الامريكيين في هذا الدور لا يعرفون شيئا عن فن الحرب وانه لا يمكن مقارنتهم بجنود الامبراطورية البريطانية الاقوياء الذين قاتلناهم طيلة السنتين الماضيتين . وربطنا شرق الواحة في الوادي الذي يمر منه طريق قابس ، وبينما كنا نحضر أسلحتنا للقتال بعد ظهر ذلك اليوم اكتشفت قطعات الاستطلاع ان الواحة خالية . فذهبنا اليها عند غروب الشمس نتلمس طريقنا خلال حقول الالغام . وكان القتال الوحيد الذي قنابته مناوشة صغيرة مع جماعة صغيرة من العدو على الحالة البعيدة من الواحة .

وقدشنا حالا عن السكاير — فكم كان سرور الجنود عظميا عندما وجدنا عدة عجلات امريكية وكانت احداها ملائى بالسكاير ، وهكذا فبعد ان كنا نعاني نقصا في ارزاقنا خلال الانسحاب العظيم اذا بارزاق امريكية وافرة تقع بأيدينا . فيا له من تغير كبير ! وفي الفجر عندما كان سائقي يهيئ فطوراً فأخراً من الطعام

الامريكي استدعيت لمواجهة الرئيس ( مير ) آمرى الجديد . وكنت قد قدت لحد الآن الفوج الثاني من الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) ، إلا ان ( مير ) الذي وصل من المانية حديثاً كان اقدم مني ولذلك فانه حل محلي . وقد قلمصت سرايا الفوج من ثلاث سرايا الى سريتين قويتين فقدت احدهما . ولم تكن العلاقة بيني وبين ( مير ) ودية بوجه خاص ، ولما سلمت اليه الفوج لم يظهر أي اهتمام بما قلته له عنه .

وناقشني ( مير ) خلال المواجهة عن الموقف السوقى والتعبوي . ثم قرأ علي الأوامر التالية الواردة من مقر الجحفل وأنا ادرس الخريطة « أوامر الى الفوج : يندفع الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) الى الامام على الطريق باستقامة ( فيريانة ) حالا . نظام المسير للكتيبة كما يلي : الفوج الثاني في المقدمة يتبعه الفوج الاول ثم باقي الكتيبة » .

ثم أضاف ( مير ) قائلاً « لتكن سريتك في الامام . تلتحق بك صائدات الدبابات » .

حركت سريتي حالا وكانت صائدات الدبابات خلف سيارتي مباشرة وتليها مفرزة من الهندسة مع كاشفات الالغام وكان الطريق من ( قفصة ) الى الشمال معبدا واحسن مما توقعته بكثير .

واعترضت حركتنا بعض المزعجات . اذ قصفتنا المدفعية خارج ( قفصة ) بقليل ولا بد ان راصديها كانوا على الارض العالية الواقعة يسارنا . فقابلنا نار العدو بمثلها . وانقضت علينا طائرات القصف الحر ، ففقدت اثنتين من احسن عجلاتي . وأعدنا التجهفل عندما جاءنا أمر الكتيبة يقول « استمروا على المسير » .

وتابعت سريتي مسيرها مسرعة نحو الشمال وهي على بعد ميل او ميلين في الامام ، فهاجمتنا طائرات قصف الحر مرة أخرى في حين ان طائرات أخرى كانت تطير بارتفاع واطي . لم تتحرش بنا .

ومررنا بزنجي امريكي ميت على الطريق . وكان عاريا ، ومن المؤكد ان العرب نزعوا ملابسه .

وأرسلت الطرف بعيداً فلمحت دبابات تتحرك شمالا . ولا بد انها امريكية وكانت خريطتي تشير الى اننا نقرب من ( فيريانة ) . وقد تحقق فعلا . فبعد ان قطعنا ميلا او ميلين انحدر الطريق الى واد فصرت أرى بيوتاً في اسفله . وامرنا في نزول المنحدر فوصلنا ضواحي القرية بينما كان ذيل رتلنا موازيا الدروة التي خلفنا . وبدأت المدافع التي في القرية تقصف ذيل الرتل . وحالما قفزنا انصببت علينا نيران البندقيات من البيوت القريبة ، فقابلنا ذلك برش القرية بنيران الرشاشات لعدم وجود اهداف فردية معينة لرمي عليها . وترجل باقي الفوج بسرعة وتقدمنا على جبهة واسعة بأسلوب المشاة . ثم توقف الرمي وتدفق من البيوت عدد من العرب رجالا ونساء واطفالا وهم يلوحون بأيديهم ويهتفون بالاهازيج الكاذبة التي يتلقى بها هؤلاء القوم دوما اية قطعات ظافرة على ما يظهر . وميزني شيخهم كضابط آمر فركض نحوي يدين مفتوحتين وتمم بعبارات التحية . إلا ان يدي اليمنى كانت على مسدسي احتياطاً للطوارئ . وتسكع نحوي محاولا تقبيل يدي ، ولما سجنهما مشمئزاً حبا على ركبتيه وقبل خدائي .

وكان هم العرب ان يرهنوا على انهم موالون لنا ، ولكنهم كانوا بلا



شك مع الأمريكيين قبل دقائق قليلة . وقد اشرروا انا على حقل الالغام وافذرونا بأن المدفعية الامريكية انسحبت قبل حين وقالوا ان عدداً من الدبابات الثقيلة لازال على الجانب البعيد من القرية . وكان حقل الالغام قد زرع حديثاً وقد دل التراب الجديد على محل كل لغم بوضوح .

واخترنا طريقنا بين الالغام بحذر ، وكان جنود الهندسة خلفنا يؤشرون الطريق للمدفعية الآتية وراءنا .

وفيما وراء حقل الالغام بدأ الطريق يرتفع ثانية وبينما كنت استدير في عطفة حادة رأيت دبابة ( شيرمان ) على الطريق ضمن مدى الهجوم فادرت السكّان ، وهو في يدي السائق ، فاستدارت العجلة استدارة حادة نحو الجانب الأيسر من الطريق . وفهم الاشارة بسرعة القдахون الذين كانوا مع المدفع السائر خلفي مباشرة . وفي بضعة ثوان قفزوا من مقاعدهم وفصلوا المدفع عن جرارته فاداروه نحو جهة الدبابة ورموا الاطلاقة الاولى ، بينما كانت الدبابة الامريكية واقفة لا تبدي حراكاً . وكانت فوهة مدفعها مصوبة نحو رابية في نصف اليمين منا . فاصابت قبلتنا الاولى الدبابة في زاوية جناحها فالتهمت فيها النار .

وتابعنا المسير الى الامام وسرعان ما جوبهنا بنيران الدبابات والرشاشات المنفتحة على جانبي الطريق . وبعد ان ارسلت ساعيا الى ( مير ) ميمنا له للوقوف ، فتحت سريتي تحت ستر مدافعنا ضد الدبابات للهجوم على المرتفع الواقع يميننا فوصلنا القمة بنحسائر قليلة . وفي الوقت نفسه تحركت السرية الاخرى بقيادة الملازم الاول ( بوخهواتز ) نحو المرتفعات التي في اليسار ثم تابعت تقدمها .

واستمر القتال ساعة واحدة ثم ارتفعت اعمدة كثيفة من الدخان الاسود واعقبتها انفجارات حدثت بلا شك في كدس عتاد ، وقطعت دبابات العدو ناراها فاستأنفنا التقدم مسرعين الخطى ورأينا الدبابات المتراجعة التي كانت تؤلف ذيل قوة العدو القائمة بقتال التعويق .

ولم يتيسر الوقت للنهب او اللهب في ( فيريانه ) فخصصت مفرزة لانقاذ ما يمكن انقاذه من الوقود المشتعل والعتاد ومستودعات التموين ونحر كنا بسرعة نحو المطار القريب في ( ثليجة ) حيث بدأنا نقدر نتائج التعرض الجديد . فلقد ترك العدو هنا ستين طائرة غير صالحة وحطم كثيراً منها قبل ان ينسحب كما اتلف مقادير كبيرة من المدخرات .

وقضينا الليلة في مواضع دفاعية شمال المطار ، فتلقينا قبل طلوع النهار اوامر نقضي بالاندفاع شمالا . ولم نجابه في بادئ الامر مقاومة البتة ثم صادفنا دبابات منفردة ( من الفرقة الامريكية المدرعة الاولى ) في السهل غرب سلسلة الجبال التي كانت تشرف علينا من اليمين . وقد فسر احد تقارير الموقف الصادرة من قيادة اعلى سبب ذلك اذ ذكر « تنسحب فرقة الدبابات الامريكية الاولى بعد خسائر فادحة نحو ( طبسة ) وقد وصل الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) منطقة جبل ( لبسودة ) . »

وفي منتصف تلك الليلة ( ١٦ / ١٧ شباط ) هاجمت دباباتنا ( سبيتلة ) ثانية وبعد قتال عنيف شقت طريقها الى المدينة في الصباح . وتراجعت الفرقة الامريكية المدرعة غرباً ثم سحبت الى الاحتياط جنوب شرق ( طبسة ) لاعادة التشكيل . وقد اقلق الفشل الامريكي الفريق ( اندرسون ) القائد البريطاني لدرجة انه اوقف لواء مدرعاً بريطانياً كان

في طريقه الى الخلف ليبدل دباباته الـ ( كروسيدر ) القديمة بدبابات ( شيرمان ) الحديثة ، فأرسله بدباباته القديمة مع بعض دبابات ( شيرمان ) التي ساقها لقيف من النوتية البريطانيين ) ليقوى الامريكيين .

وفي ١٨ منه اوقف رومل قوته السيارة التي اصبحت الآن متحشدة نحشداً تاما لاعادة التجحفل والتموين . وكان قد احدث نتوءاً عميقاً في الخط ( الانكليزي - الامريكي ) ، وصار في وسعه ان يحيط جناح العدو الى مسافة أكثر بالتقدم على الطرق الثلاثة المختلفة من ( قصرين ) ومن ( سبيتلة ) و ( سبيبة ) ومن ( فيريانة ) المؤدية نحو ( طبسة ) .

وعلمنا فيما بعد ان قوات العدو قد اصابها الاضطراب . وكان الفريق الكسندر قد طار من طرابلس الى الجزائر يوم ١٥ شباط فاويا استلام القيادة بعد خمسة أيام لكنه اضطر ان يذهب الى الجهة على عجل ويستلم القيادة بنفسه حالا . فوجد الموقف اخرج مما كان يتوقع كما كتب عن ذلك فيما بعد . وكانت القطعات الامريكية والافرنسية والبريطانية قد اختلطت حابلها بناابلها خلال الفوضى الناجمة عن الانسحاب . ولم تكن ثمة خطة منسقة للدفاع وكانت القطعات تتخبط في معرفة القيادة المسئولة عنها . واضطر الكسندر في اول مضيق جبلي زاره - وهو مضيق ( دريانة ) الكائن فوق فيريانة على طريق ( طبسة ) ان يعين حالا اقدم ضابط امريكي كآمر مسئول عن ذلك القاطع وان يأمره بوجوب الاحتفاظ بالارض التي فيها حتى النفس الاخير .

أجل كان رومل قد خلق الفوضى في صفوف الحلفاء على طريقته الخاصة . وكنت اينما اسوق اعثر على مجموعات منعزلة من المشاة

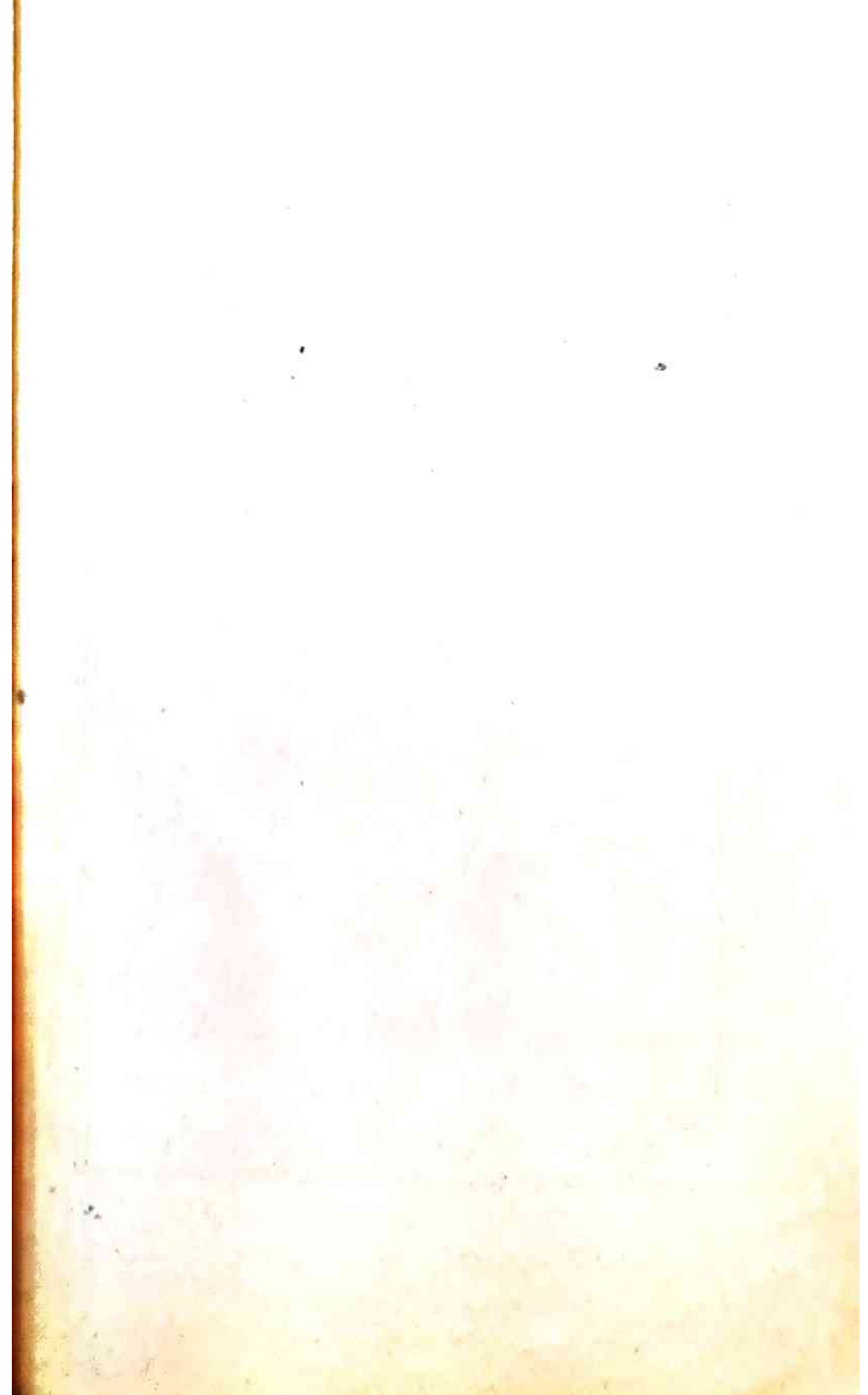


الامريكيين الذين كانوا مختبئين بين الصخور وبين شجيرات السفوح الجبلية . وكانت نقلاتهم قد حشرت بعيدة عنهم في الوديان . وقد وقع عدد لا يستهان به من سيارات الجيب والعجلات في ايدينا وكانت كلها جديدة وجميعها مجهزة تجهيزاً جيداً الامر الذي أثار دهشتنا .

وحاولت أن اتحدث مع بعض الامريكيين الذين اسرناهم . ولشد ما بوغت عندما علمت انهم بولنديون — وهم اولاد المهاجرين الذين رحلوا من اوربا الى الولايات المتحدة . وكنت قد ارسلت كشافا — وهو نمسائي كبير السن — الى واد عميق ليخبرني فيما اذا كانت فيه جماعات منعزلة من الامريكيين . فعاد مسرعاً الخطى وهو يقول :

« يا حضرة الملازم الاول : توجد دبابات معادية في الوادي »  
فاخترقنا الوادي بحذر بمدافع ضد الدبابات . فاذا بنا نرى حقاً بعض العجلات الشبيهة بالدبابات على المرتفع حيث تبدأ الشجيرات . وكانت هذه تحاول الوصول الى الشجيرات الواقعة في بطن الوادي لتختفي بها . على ان هذه العجلات لم تكن دبابات بل كانت حاملات قطعات مدرعة ونصف مسرقة ومجهزة بمدافع ذات عيار صغير ففتحنا عليها النار فترك السواقون عجلاتهم حالا واستتروا بالشجيرات . فتسابقنا في التقدم نحوها واستولينا على جميعها ( وكان عددها ستا ) وقد وقع في ايدينا أيضاً احد السواقين . وكانت هذه العجلات الست كتنقوية سارة لصربتي اذ سبق ان فقدت ستا من عجلاتي من جراء هجمات العدو . واذن فقد استرجعنا ديننا الآن .







## الباب الثامن والثلاثون

### مضيق ( قصرين )

انحدر الطريق تدريجياً فاستدار نحو اليسار ثم صارت تبدو في الامام ظاهرة بارزة — كانت هذه مضيق ( قصرين ) . ولم أكد اصل العطفة إلا وجاءني أمر من الكتيبة ان : « اهجم على مضيق قصرين — الفوج الاول يسار الطريق والفوج الثاني يمينه ، استفد الى اقصى ما يمكن من الآليات — مقر الكتيبة — البيت الاول شمال عطفة الطريق » . وكان هذا أمر الهجوم كله .

وكان ( بوخهولتز ) قد استلم الامر من قبل فكانت سرية تنفتح باستقامة الارض العالية في اليمين ، فانحذت سريتي تشكيل القتال في دقائق قليلة واندفعنا بسرعة جنونية خلال احد المروج ثم مررنا من بين الاخاديد والصخور متجهين نحو التل المسيطر على الممر الكائن في اليمين .

وصبت علينا مدفعية العدو الموجهة توجيهاً جيداً قنا بلهما ، إلا أننا هجمنا تحت وابل القنابل بفواصلات واسعة بين العجلات فاصيبت عجلة واحدة فقط وتسابت العجلات الباقية الى أسفل الصفح غير ان وادياً عميقاً اعترض طريق تقدمنا فاضطررنا للنزول من العجلات وففز الجنود منها بأسلحتهم واستدارت العجلات الى الخلف الى حيث الستر .

وشققنا طريقنا الى أعلى في سفح وعبر مستفيدين من كل صخرة  
وطية في الارض للحماية من مدفعية الامريكيين وأسلحة مشاتهم ،  
وسرعان ما تسلقنا زاحفين الى ارتفاع مواز لسرية ( بوخواتز ) التي كان  
في وسعنا ان نراها على الجبل الواقع يسارنا عبر الطريق . واني لأذكر  
كيف ان فكرة غامضة خمرتني وهي ان جناحي الايمن كان مفتوحاً .  
وتلحسنا طريقنا الى أعلى فأعلى باتجاه ذروة الجبل ونحن نتصبب عرقاً .

و كانت القمة نفسها مرتفعاً من الصخور ذا انحدار شديد . وقد  
مسكت صخرة وسحبت نفسي الى أعلى . وحالما بلغ رأسي أعلى القمة  
مرت صلية من نار رشاشة بالقرب من اذني فامتددت حالا . وفكرت في  
أنه لابد للامريكيين موضع رشاشة على مسافة قريبة امامنا ( تقدر  
بثلاثين ياردة على اكثر احتمال ) .

ووقفت تحت صخرة نائمة برهة من الزمن مع قليل من جنودي  
لأخمن موضع العدو والكي أشرب قليلاً من الماء من زمزميتي ووصلت  
حضيرتا اللاسلكي . فاخبرت مقر الكتيبة عن موقفي بسرعة .

والى يساري وصل الملازم ( بيكر ) أحد آمري الرعائل الى الذروة  
أيضاً ، وكان في موقع ممتاز لرمي النار الجانبية وقد اجبر جنود رشاشة  
العدو على ترك موضعهم الذي كان أمامي ثم انصبت علينا من العليقة التي  
في جناحنا الايمن المفتوح نار متفرقة . غير اننا كنا في الواقع قد بلغنا  
هدفنا الأول — وهو المرتفعات .

وكننا من موضع ( بيكر ) نستطيع أن نرصد جميع الوادي  
خلف مضيق ( قصرين ) . وكان الطريق الرئيسي يمر من الوادي فيؤدي  
إلى المضيق الكائن في يسارنا .

و كانت عجلات الأمريكيين تمر صاعدة هابطة في سيل مستمر .  
وافترضنا ان العجلات التي تأتي صاعدة كانت تحمل الذخائر والتقويات .  
وها نحن هنا فوق الأمريكيين نرى جميع اقسام جبهتهم فكأننا نتفرج  
على مناورات جيش من الاقزام . ان الجنود والعجلات والمدافع تترأى  
صغيرة تحتنا وتبدو غير ضارة .

وجاء خبر الى حضيرتنا اللاسلكية يفيد : « ان دبابتنا ستهاجم  
المضيق » فانتظرنا بشوق أخباراً أخرى ثم زحفت دمدمة المعركة  
ودويها الى أعلى الجبل باتجاهنا إذ كان الأمريكيون يصبون ناراً دفاعية  
شديدة ضد قوتنا الهاجمة .

« فشل الهجوم » يا إلهي انه خبر جديد جاءنا باللاسلكي . لكنني  
لسبب ما لم اهتم بهذا الخبر الرئيسي كما اهتممت بخبر ثانوي آخر أفاد  
بأن ( مير ) قد قام بالهجوم لاسناد الدبابات مستفيداً من عجلاتي  
الأمريكية الست نصف المسرفة التي سبق ان أسرناها وانه اضاعها  
جميعاً ماعدا عجلة واحدة .

وبينما كنت استلم هذا الخبر كان ( بيكر ) يدرس بناظوره الطريق  
المر على مسافة بعيدة تحتنا . فنهني بغتة الى فكرة . لقد كان هذا ضابطاً



حديثا التحق بنا في افريقيا في نهاية معارك الصحراء والانسحاب الطويل  
غير انني عرفت مقدما انه ضابط مقتدر وصاحب أفكار جيدة . فأشار  
علي قائلا : « يا حضرة الملازم الاول » — هل ترى ذلك الجسر الصغير  
على الطريق المار تحتنا ؟ اذا استطعنا أن نصل اليه وتمكننا ان نبقى  
هناك فسنقطع المواصلات الامريكية من الخلف . فدرست الارض  
وقلت : « انها خطة جريئة يا ( بيكر ) » . أجل انها جريئة وليكنها  
ممكنة . دعنا نذهب .



## الباب التاسع والثلاثون

### الجسر والرجل منه ( بروكلن )

جمعت بسرعة فصيل صولة من ثلاثة ضباط وواحد وعشرين جنديا مسلحين بالاسلحة الاوتوماتيكية . وحملنا اكثر ما نستطيع من العتاد ثم زحفنا تحت ستر الشجيرات الى اقرب اخدود .

وانتهت الشجيرات فقفزت الى اخدود يابس يمتد الى اسفل السفح .  
يلبغني الآخرون ، وزحفنا مستترين بالاخدود الى بضعة مئات من الياردات ، ثم استوى المنخفض ، فخشيت ان نظهر بغتة في ارض مكشوفة لكننا رأينا لحسن الحظ تجويفا آخر على بعد نحو ( ٢٠ ) ياردة . ومع ان المسافة كانت قليلة فانها كانت خطرة لأن الارض كانت مكشوفة تماما لا شيء فيها نستتر فيه حتى ولا شجيرة واحدة . فاذا كانت ثمة عين تراقب هذه الارض فلا بد وانها سترانا ، واصدرت امري « تقدم منفردا » فاندفع الملازم ( ايبنيشيلر ) أولا مع سلاح او توماتيكي ، ثم تسربنا الواحد بعد الآخر عبر هذه الفترة . والغريب اننا قمنا بهذه المجازفة دون ان نشاهدنا العدو على ما يظهر ، إذ لم تطلق علينا اطلاقا واحدة . فهل اخطأ العدو يا ترى فظن اننا قطعنا حليقة لقرب مسافتنا ؟ أو ربما لم يتوقع العدو ان يرانا في هذا الجانب من الحاجز الجبلي .  
ثم بدأت الشمس في الغيب . ففكرت انه يجب علينا ان نعمل حالا اذا اردنا ان ننجح في خطتنا ، ويجب ان نحمل الجسر .

واستمر الحظ يساعدنا . فالاخود الذي كنا فيه يؤدي رأساً الى الوادي الذي يقطعه الجسر ، ولم يكن هذا جسراً في الواقع بل قنطرة ذات قوسين يزيد ارتفاعها على الستة اقدام بقليل وطولها نحو اثني عشر قدماً ، ووصلنا الى الجسر فتنفسنا الصعداء مرة اخرى . ووضعت رشاشين على كل من جانبي الطريق التقريبي المؤدي الى الوادي والجسر و كانتا متجهتين نحو خلف العدو .

وحل الظلام على الوادي بغتة ثم اقتربت بعد دقائق قليلة عجلة من منطقة العدو الخلفية ، وبينما كانت تتدحرج نحو الجسر حاولنا ان نوقفها فقللت من سرعتها إلا ان جنودها عرفوا بأننا المان . فرمى أحدهم علينا من وضع الوقوف ، وأسرعت العجلة في سيرها وشقت طريقها عبر الجسر قبل ان نفتبه من هذه المباغته .

وكان ذلك درساً لنا . فتصرفنا بحكمة اكثر عندما سمعنا العجلة الثانية وهي تملع قادمة نحونا ، وكانت تلوح بشكل غامض في الظلام الدامس . وجاءت نحونا بسرعة وعندما اقتربت منا صبت عليها النار كلتا الرشاشين من جانبي الطريق فانحرفت عن الطريق وانقلبت . فوثب احد جنودي فاسر من كان فيها - وهم اربعة جنود اثنان منهم مجروحان ، وكانت اصابة احدهما شديدة فدثرناه بالبطانيات واخذناه مع الاسرى الثلاثة الآخرين الى حيث الظلام والامان في الوادي المار تحت الجسر .

على ان نار رشاشاتنا كشفت وجودنا ففتح جنود المشاة الامر بكيون في مكان ما في الوادي نيرانا منفردة من بنادقهم باتجاه الطريق العام . فارسلت ثلاثة جنود مع ضابط صف للاستطلاع .



فعاد احد جنود الدورية وهو يلهت وقال لي بسكون وبسرعة  
« جماعة من الجنود الامريكيين تقترب منا - وهم قريبون جداً » .

وبعد دقائق قليلة كان ستة من جنود البندقيات الامريكيين يعبرون  
الجسر . وما كادوا يصلون وسطه إلا واسرناهم برمشة عين . فقد وثب  
عليهم جنودي من كلا الجانبين بغتة وسمروهم في مكانهم قبل ان يتسع  
لهم الوقت ليفعلوا شيئاً ما .

وبعد ثوان سمعنا صوت عجلة اخرى قادمة - فاستترنا مصرعين  
وحالاً اقتربت العجلة الى الجسر وجهنا عليها الرشاشتين ، فكان من بين  
اسرانا في هذه المرة ثلاثة ضباط واحتفظنا بالضباط الاسرى تحت احد  
قوسي الجسر حيث ترابط جماعي الصغيرة من الاحتياط . اما المراتب  
الامريكيون فاحتفظنا بهم تحت القوس الثاني ووضعنا عليهم حرساً  
وبالاستفادة من العجلتين العاطلتين أمرت جنودي بأن ينشئوا مانعاً  
مرتجلاً على الطريق فوق الجسر ، وقد اصطدمت عدة عجلات امريكية  
اخرى بهذا المانع فابطأت سرعتها ثم وقفت فأسرنا جنودها دون ان  
نري اطلاقاً واحدة .

ولا زالت لدي دورية في الخارج . فعاد أحد جنودها لاهنا وهو  
يتنفس بشدة : « يا حضرة الملازم الاول - لقد سقط الباقون ... إذ  
بينما كنا نستدير في عطفة في الوادي وجدنا انفسنا امام الامريكيين  
وجها لوجه ، ولا بد انهم رأونا قادمين ، وقبل ان نتمكن من ان نفعل  
شيئاً رمونا بغدارات ستين ... وكنتم خلف رفاقي الآخرين قليلاً  
فتملصت ... »

فأرسلت اعداد رشاشة اخرى الى حيث المنعطف في الوادي لحماية جناحنا .

٢

وبدأ احد الضباط الاسرى يتكلم ، وكانت ( انكاييتي ) ضعيفة فلم أتمكن من ان افهمه إلا بصعوبة فأدركت انه كان يسأل فيما اذا كنت الضابط الأمر . ثم قادني الى جنديين تحت الجسر مجروحين جرحا شديداً ، وكان يرى انه ينبغي الاعتناء بهما اكثر من ذلك . غير ان الجندي الطبي الذي يرافقنا قد سبق له ان فعل كل ما في وسعه ، وكان احدهما مصابا في رأسه - فكان يتأوه . ما ارهق على المرء ان يسمع تأوهات هذا الجندي الفاقد شعوره تحت هذا الجسر في ظلام تونس ! انه قنطرة من الصمنت المسلح لا قيمة لها . . . ومع ذلك فقد كان يموت بسببه في ليل افريقيا رجال يبذلون شجاعة خارقة وتتحطم جماجمهم بقطع صغيرة من المعدن القاتل .

وعدت الى مكاني في الظلام بهدوء فتكلم معي ضابط أسير آخر وقدم نفسه قائلاً ( الرئيس سمث ) وهو كأي اسم حسن آخر فكرت فيه في هذه الظروف . ثم قال بتحفظ « ان سيارتي قريبة خلف السيارات المحطمة التي انشأت منها المانع - وهي في حفرة بجانب الطريق - وبما انه ليست معي ماكنة حلاقة ولا فرشاة اسنان فأرجو ان تسمح لي بجلبها منها .

من المحتمل ان سيارته كانت لا تبعد اكثر من عشرين خطوة إلا ان الليلة كانت مظلمة وجنود المشاة الامريكيين على مقربة منا ، فاشتبهت

ان ( سمث ) يحاول ان يجد له فرصة للهروب واذا ما هرب فسيعود اليها على رأس تقويات امريكية لكي تنقض علينا فقلت له بلطف :

« لا نقلق ايها الرئيس ( سمث ) فلدي ماكنة حلاقة جديدة في حقيبتني وفي وسعي ان اعطيك ايضا فرشة استان جديدة » ولا ادري فيما اذا كان قد ابتسم في الظلام لعدم تصديقه لما قلته ، لكنني قلت له الحقيقة . فقد وجدت في سيارة ( الجيب ) التي استولينا عليها والتي كنت اركبها خلال اليومين الماضيين طاقما جديداً من ادوات الحلاقة والزينة - وهو بلا شك هدية من امرأة مشتاقة في الولايات المتحدة . فهل تصورت قط عندما اهدته الى زوجها بأنني - وأنا العدو - سأستعمله في يوم من الأيام ؟

وكان أحد الاسرى ملازما واخف من ( سمث ) روحا . فتحدثنا بطريقة مسرة غريبة عن امورنا الخاصة تحت جسر ( قصرين ) هذا . فأمر الى انه من ( بروكلن ) وانه يسكن هناك مع زوجته وطفليه . فتمكنت ان أقول له ( بانكليزيتي ) الضعيفة : « انها مدينة رائعة - احب ان أراها يوما ما »

فأجابني بشيء من السخرية :

« ربما يمكن تدبير ذلك قريبا »

ففهمت مايعنيه وحدثت عن الجواب فقلت « اظن اننا سنحتاج الى بعض الوقت لنكسب الحرب ... » فضحكنا معا .

وسألني من اين جئت ؟ وهل انت متزوج ؟ . فأجبته على سؤاله واذكر اننا تحدثنا عن الحرب فقال أحدها انها تدبير فظيع ولا ضرورة لها .



ثم أخبرته انني ولدت في ( ناتال ) وان اختي ولدت في ( نيوجرسي )  
في الولايات المتحدة . فقال انه يعرف ( نيوجرسي ) وقطع حديثنا زئزئة  
جهاز اللاسلكي — كان ذلك مقر الكتيبة — وقد اراد المقر ان يعرف  
موقعي بالضبط . فعينته له بأدق ما يستطيع من خريطة . فلم يمض  
وقت طويل على ذلك إلا وطلب المقر المعلومات نفسها ثانية مؤكداً بأن  
احداثيات الخريطة التي ذكرتها لا يمكن أن تكون صحيحة . فكررت  
الارقام التي قلمتها من قبل .

وعلى الرغم من مخبراتي معهم فانهم لم يدركوا بوضوح اننا قطعنا  
الطريق وراء ( قصرين ) .

ومضت نصف ساعة منذ ان اصطدمت السيارة الاخيرة بالمانع الذي  
أقمناه على الطريق . فصرت الآن اسمع قرقرة عن بعد باتجاه الشمال .  
وبدأت الارض تهتز قليلاً فاشتبهت وتساقطت من الوادي الى اعلى الجرف  
فسمعت في العراء بوضوح صوت محركات تدوي في المكان الذي علمنا  
ان الامريكيين يرابطون فيه . فلا شك انها دبابات العدو . فأمرت رامي  
اقرب رشاشة قاتلاً :

« اذا تقدمت الدبابات على الجسر لا ترم دعها تمر »

« أمركم يا سيدي الملازم الاول »

ثم صارت قرقرة المحركات وقعقة الرفات نزداد وضوحاً، ولاحت  
دبابة على الطريق وقد بدا لي مرتسمها — وأنا احدثق اليها من حافة  
الوادي — جسماً على صفحة السماء ذات النجوم التي كانت وراءها .  
وكان باب برجها مفتوحاً وآمرها واقفا بصورة مكشوفة ينظر بعناية

ويسرة . ثم توقفت الدبابة ، ورن صوت يقول « لم هذا المانع على الطريق ؟ » فلم يحصل أمر الدبابة على جواب . وكان جنودي قد وضعوا افراد المسدسات على ضلوع الاسرى تحت الجسر وتكلم أمر الدبابة بسرعة الى سائقه . فاندفعت الدبابة الى الامام طارحة العجلات المحطمة على احد الجوانب .

ثم رمت احدى رشاشتنا صلية على برج الدبابة مباشرة . يا للعنة ! لقد نسبت ان اتأكد من وصول امري الى الرشاشة التي في الجانب الآخر من الوادي . وها هو ذا راميتها يرمي على دبابة شيرمان كأنها لحم قطعة بالنسبة لرشاشة . فاختفى أمر الدبابة في برجه كما يختفي الارنب في حفرة ، ورشت الدبابة نارها رشا جنوبياً . وحينابدأ الرمي انحدرنا الى اسفل الجرف واندفعنا تحت الجسر حيث لا تستطيع الدبابة ان تصيبنا . وزحفت الدبابة الثقيلة على الجسر فوق رؤوسنا وهي ترعد . انها مرت لكن الدوي لازال مستمراً ثم اعقب ذلك ثانية قعقعة الرعد وصرير السرفات وجلجلتها ورمي مدفع ورشاشات وصحب ذلك اهتزاز الأرض . لقد مرت دبابة أخرى على الجسر وتلتها ثلاثة فابعة ثم مرت الخامسة فكانت الأخيرة .

وقد زحفت جميعها نحو المضيق ثم انحرفت يمينا في الاتجاه التقريبي الذي تخمت وجود المشاة الامريكيين فيه فصرت عندئذ اخشى ان ترمينا بنارها الجانبية ونحن تحت الجسر فنكون واسرانا في وضع حرج . غير اننا بقينا في مكاننا دون ازعاج وانقطع الدوي . فهل ذهبت الدبابات باتجاه جبهة العدو المهددة يا ترى ؟ ام انها وقفت على مقربة منا لانها علمت من المشاة ان العدو واسراهم الامريكيين مخبئون تحت الجسر ؟

حدثت نفسي ثانية : يا لهذه الحرب من لعبة مستهجنة عقيمة !  
وتخيلت اني لا ازال ارى اشكال الدبابات المنفردة في الظلام البعيدة  
فاذا تركت الجمر الان فستقضي علينا الدبابات باسلاحها الجبارة لذلك  
فان الشيء الوحيد الذي يجب ان تفعله هو ان نظل تحت الجسر حتى تبتعد  
الدبابات عنا ابتعاداً تاماً . . . ولكن لا بد وان هذه ستعود فتعبر الجسر  
ثانية . افلا يحتمل ان تعود مع المشاة للقضاء علينا ؟ او أليس من المحتمل  
ان ترمي على حفرتنا قنابل يدوية من ابراجها من كلا جانبي الجسر . .  
وها انذا بدون مدافعي المعهودة ضد الدبابات وليست لدى قنابل لافلاق  
سرفات الدبابات ولا حشوات تخريب لنسف الجسر . ثم قد يكون من  
الضروري بقاء هذا الجسر سالماً لنا . . وكانت الساعة التالية ساعة قلق .  
وقدم لي الملازم الامريكى من (بروكلن) علماً وسيكارة . اني لا ادخن  
إلا نادراً . لكنني شعرت ان السيكارة قد تريحني . وبدا لي ان احتمال رؤية  
(بروكلن) او بعض انحاء امريكا على الاقل لم يعد بعيداً جداً حتى قبل  
انتهاء الحرب . فقلت لنفسي :

في الحقيقة ان كل ما كنت اريد ان افعله بعد تخرجي هو الذهاب  
الى افريقيا الشرقية للفلاحة ولاشك اني اريد ان ارى امريكا يوماً ما  
ولكن ليس بهذه الطريقة - أجل ليس بهذه الطريقة . اوه ! باللعنة ،  
لماذا لم يتركني العالم لآتم دراستي واذهب الى افريقيا الشرقية للفلاحة ؟  
وصرت اشعر بأن الرئيس والملازم الامريكين يراقبانى بانتباه .  
فتصنعت الهدوء التام واخذت تقساً عميقاً من السيكارة متظاهراً بانني  
انتمتع بذلك كمدخن اعتاد التدخين . . . وفكرت بارسال دورية صغيرة ،



فلذا كانت الدبابات قد واثت فيجب ان اعود على الطريق الذي جئت به  
أخذاً معي هؤلاء الاسرى .

وسألني الملازم الأمريكى وهو يقترب منى « ماذا يحدث الآن  
يا صاح ؟ » فهزئت ككتفى متظاهراً بعدم المبالاة واجبت باختصار  
« انتظر » ثم عدنا توا الى حديثنا الشخصى الذي كاد ان يكون من  
دون غرض . وكنا في موقف غريب ، فلم يكن الأمريكى او الالماني  
يعلم ايها سيكون الأسير في صباح اليوم التالي . ولذا فقد كان كلا  
الطرفين وديين ومطمئنين ثم سمعنا دوي الدبابات مرة اخرى ، في هذه  
المرّة من جهة ( قصرين ) فرمق بعضنا بعضاً بصمت وامتدت الايدي  
الى غدارات تومي . وهبط اعداد الرشاشتين الى الستر في الوادى . وفتحت  
الدبابات النار على الجسر عن بعد فمرت قنابل مدافعها وهي تدوي  
وتساقطت على الجرف ، واهتزت الارض تحت اقدامنا مرة أخرى وسمعنا  
صرير السرقات وزعيقها ، ثم الرعد فوق رؤوسنا .  
واحد ، اثنين ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة .

فمرت الدبابات وتابعت مسيرها وزحف اعداد الرشاشتين الى  
مواضعهم . ثم تلاشى دوى محركات الدبابات في البعيد كاصوات المزامير  
غير الموزونة .

وتبادلت انا والامريكيون النظرات ودمدم الملازم الآتي من  
( بروكلن ) قائلاً « خذ قطعة من العلك يا صاح ! »

لقد ايقنت انه حينما سيخبر الدبابات عنا قيادة اعلى فان التدابير  
ستتخذ ضدنا . فيجب ان نبتعد عن هذا الجسر بسرعة .

واصدت الاوامر العالية «الملازم (ايندبشلىر) مع قليل من الجنود

يتقدمونا

الملازم (بيكر) يؤلف مؤخرة صغيرة .

فتهاجم الجنود . ولكن كان علينا اولا ان نريج الجرحى اكثر ما يمكن . فالتفت الى الجماعة الصغيرة من الضباط الامريكيين وحاولت ان اقول لهم (بانكليزيتي) الضعيفة «ايها السادة فى وسع احدكم - مع جندي مضمّد - ان يبقى مع الاسرى ولكن عليه ان يعاهدنى بشرفه انه سوف لا يتخذ اية تدابير فورية ضدنا ولا يتتبعنا قبل مضي ساعة على بدء حركتنا فهل انتم موافقون ؟»

فاستمعوا بامعان وهزوا رؤوسهم دلالة على الموافقة الصامتة .

وتركت لهم الخيار ليقرروا ايهم سيبقى ، فاقترعوا بينهم برمي قطعة من النقود الى فوق (١) . وكان الرمية الاخيرة بين الرئيس (سمت) والملازم من (بروكلن) . فاهتممت عندئذ فى الموضوع ايضا . ودارت قطعة النقود فى الظلام مرة اخرى ثم سقطت على الارض ، وفي بصيص من النور شوهدت انها (طرة) . وكان ملازم (بروكلن) هو الذي نادى (طره) . واذن فهو الذي سيبقى وسوف لا يكون اسيراً لذي . وقد سررت بذلك .

وقال الرئيس وهو منكسر الخاطر قليلا «اذن فانا ذاهب معكم . فلما رأيكم حول اخذ ماكنة الخلاقة وفرشة الاسنان اللتين فى السيارة ؟» فقلت له «لا تقلق ، سأزودك بما تحتاج اليه بعد ما نعود الى خطوطنا» .

---

(١) وهي الطريقة التي يطلى عليها العامة (طرة وكتبة) .

وذهب (ايبنبشر) وجنوده الى الامام يسكون فتبعتهم مع جنودي  
وعندما نركنا المشي تحت القنطرة نادى الملازم من (بروكلن) بهمس  
ضاحكا : مع السلامة يا صاح - سأراك في برلين ! » .  
ولم تكن سخريته لتبعث على الاشتزاز . فاجبته بصوت منخفض :  
مع السلامة - والى اللقاء في ( بروكلن ) عندما تنتهي الحرب ! » ثم  
لوح بيدي ورحت اتسلق الى اعلى الجرف مع جنودي والاسرى .  
ونسلقنا بحذر الى ذروة الجبل المشرف على ( قصرين ) ثم انحدرنا مسافة  
طويلة الى حيث مواضعنا . وعدت الى مقر الفوج ، فسلمت الاسرى  
الامريكيين . ثم انبطحت على الارض مسرورا ونمت مع جنودي .  
وعندما استيقظت كانت تباشير الفجر قد لاحت في السماء وكان  
الاسرى قد سبق ان ارسلوا بسرعة الى حيث يستنطقون ، ثم الى قفص  
الاسرى الموقت . وهكذا فلم يتمكن من ان ازود الرئيس ( سمث )  
بما كنه حلاقة وفرشة اسنان .  
وبدأ النهار يطلع . فجاء مع انها امر لهجوم جديد .



## الباب الرابعون

### امريكيوه في الضباب

دعني أنجنب الوصف الطويل للتطورات السوقية فترك الكلام للفريق (الكسندر) ليقول لك الحكاية في بلاغه المختصر :

« في ١٩ شباط قام العدو بهجمات استطلاعية ضد الطرق الثلاثة كلها محاولا ان يكشف أيها أسهل للهجوم . وكان مركز ثقله الرئيسي في اليمين ضد ( سببيه ) ، وقد جرى الهجوم على المضيق الواقع فوق ( قصرين ) بنحو فوج مشاة فقط . اما القوة التي سبرت غور مضيق ( درنايه ) فوق ( فريانه ) وعلى طريق ( طبسه ) فلم تكن غير قوة استطلاعية صغيرة . وفي جنوب ( سببيه ) صمد لواء الحرس الاول في مواضعه وصد العدو ، غير ان الهجوم في مضيق ( قصرين ) لقي نجاحا وبدأ العدو يتسلل عبر المواضع الامريكية . وعلى هذا عزز العدو في اليوم الثاني ( ٢٠ منه ) هذا الاندفاع وصرف النظر عن الهجومين الآخرين وقد تم تطهير المضيق واستطاعت الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) مع المشاة وبعض الدروع من مفرزة من فيلق افريقيا ان تندفع الى الخوض الكائن فيما وراء المضيق . وهنا وجد رومل نفسه امام طريقين . إذ بعد اجتياز المضيق يتشعب الطريق نحو الغرب والشمال . وسيؤدي به الانجاه الاول الى ( طبسه ) التي هي قاعدتنا الجنوبية الرئيسية ومركز المطارات . »

وراقبنا رومل بنفسه ، ونحن نقوم بالهجوم الجديد من نقطة عالية قرب مضيق ( قصرين ) .

ومع اننا كنا قد أخذنا الطريق المار عبر المضيق فقد قاومت المشاة والدبابات الامريكية بشدة تقدمنا نحو السهل الواقع وراء المضيق وأمر الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) ان يمهّد السبيل للاندفاع الرئيسي على الطريق . فانفتحنا على طرفي الطريق . وكانت سريتنا فوجي اللتان احتلنا المرتفعات الواقعة فوق المضيق مرابطتين يمين الطريق ، وكانت المرتفعات التي قاتلنا عليها فوقنا وعن يميننا . فقد تسرب بعض المشاة الامريكيون عائدين الى أعلى السفوح وأمسوا عشي رشاشات كانت شوكة في جنبنا . وفقدت الطريق عن بعد في ناظوري باحثاً عن الجسر الذي كان مسرحاً لمجازفتنا الليلية خلف الخطوط الامريكية فلم أعرّ عليه . وقررت انه من المحتمل انه مخفي في طية من الارض . وقد شاهدت مرة دبابة ( شيرمان ) تتقدم على الطريق الآتي من مناطق العدو الخلفية وهي ترفع علماً أبيض فلم نرم عليها ، فجمعت بعض الجرحى وعادت من حيث أنت فحمنت ان الجسر لا بد وان يكون قريباً من النقطة التي استدارت فيها الدبابة .

ولم نتقدم الى الامام إلا بعد الظهر ، وكانت اوامر الخركات متقدمة وقد استهدفت توحيد جهود الصنوف المختلفة . وكان واجبنا نحن المشاة تحطيم المقاومة مقدماً . لكننا كنا قد وعدنا باسناد الدبابات والمدفعية والطائرات .

ان تجاربي السابقة في الهجوم علمتني ان لا أعتد اكثر من اللازم على الاسناد الموعود ولكن الحركة كلها في هذه المرة كانت منسقة بدقة تامة ، وقد تقدم خلفنا جحفل مدرع يقوده الرئيس ( سلون ) حسب الخطة الموضوعة ، وعندما صار بموازاتنا اطلقت قاذفات الدخان ( التي وصلت حديثاً من المانيا ) نيرانها الباصقة التي انبعثت تولول من افواهها الثمانية بشكل سد مؤثر زحف على مسافة قريبة امامنا . ثم اكتسحت طائرات ( شتوكا ) الجو فزادت في ثقل القصف . واندفعنا الى الامام كالموج . فوجد المشاة الامريكيون انفسهم امام موج هائل لا يستطيعون مقاومته بالنظر لقلة قوتهم فانسحبوا مسرعين الى السفح المنحدر المتكسر ذي الشجيرات الكثيفة الكائن وراءهم . وخرجت الدبابات الامريكية في نفس الوقت من مخبأ فولت هاربة قبل ان يقطع عليها طريق الرجعة وقد غرزت دبابتان منها في واد حينما انحدرنا اليه ، فتركهما نوبتها ونجوا بأنفسهم .

وخيم الظلام علينا ونحن نتقدم إلا ان الطريق في الامام قد انفتح كما اراد رومل وقد جرى هجومه التمهيدي الصغير حسب الخطة الموضوعة تماماً ، وبهذا الجو الملائم لاستثمار الفوز قرر رومل ان يندفع الى الامام بأشد ما يمكن من القوة .

٣

لقد اعطى بعدئذ للجحفل الخاص ال ( ٢٨٨ ) واجب كبير مع انه كان صغيراً نسبياً . إذ كان علينا ان نشق طريقنا ليلاً باتجاه الموضع الامريكية في ( طبه ) وان نخرقها اذا استطعنا الى ذلك سبيلاً . وقال



رومل : انه يجب علينا ان نعوض عن نقص ذخائرننا بما لدينا من تجارب  
حرية ، وعلينا ان نستفيد من فرصة الاضطراب الذي سيجب  
قوات العدو .

وجرى ذلك المسير الليلي خلال المظلام وقد اكتنفته المعاصب، إذ  
اصطدمننا بموانع عديدة وفقد فوجنا التماس مع الفوج الاول .  
وعندما اوشك النهار أن يطلع وصلنا الى اسفل مرتفع متدرج .  
فركبنا عجلاتنا وتقدمنا مشيا على الاقدام . وانبثق الفجر ونحن تتسلق  
زاحفين كالقطط ، منحدرأ مغطى بالحشائش . وقد اخفى الضباب  
الكثيف حركتنا .

ومسك الملازم ( بيكر ) فجأة ذراعي وكان يسير محاذيا لي . لقد  
حدثت فتحة في الضباب فصرنا نرى اشخاصا آخرين يتسلقون سفح  
التل على مقربة منا . فقال ( بيكر ) :

« انهم امريكيون على ما اظن » .

فظننت ان ( بيكر ) على خطأ إذ يجب ان يكون هؤلاء بعض  
جنود سريتنا . ولكن لم تكذب دقيقة او اثنتان إلا وهز ( بيكر )  
ذراعي ثانية وقال متلعنا من فرط التهييج :

« انهم امريكيون بالتأكيد » وأشار الى اشخاص آخرين كانوا  
بلوحون من حين لآخر خلال الضباب . فلم اصدقه ايضا على الرغم من  
انه اصر بأنه ميزهم من اشكال خوذهم .

إلا انني تحققت صحة قوله بعد ثوان قليلة فقد رأيت امامي على  
بعد ياردات قلائل شخصين منحنيين يدلحان الى اعلى التل - ولم يكن  
ثمة شك في انهما امريكيان .

ولم نجرأ على الرمي . إلا أننا أدركنا أنه يجب علينا الوصول الى الذروة ونرسيخ اقدامنا فيها قبل ان تبدد الشمس الضباب ونبقى مكشوفين في وضوح النهار .

ولكن للأمريكيين عيوننا كذلك ، وهم لم يمسكوا نارهم مثلنا . فقد تعثر ( بيكر ) وبعض جنوده بعدد آخر من جنود العدو فدوت بضع اطلاقات قبل ان يكتنفنا الضباب ثانية . فهوى النائب الضابط ( واكنر ) الذي كان من خيرة جنودنا - فقد اصيب بجرح مميت

وكان النهار في رابعته عندما وصلنا الذروة . فاكشفت انها ليست إلا ذروة كاذبة . وكانت الارض تمتد مستوية الى مسافة قصيرة ثم ترتفع ثانية الى ذروة اخرى . ولم يكن ثمة ما نفعله الآن غير ان نحفر حيث كنا ، اذ كان من الواضح اننا ننتطح برؤوسنا مواضع العدو .

وقد وجدت مقراً ملائماً في القعر الصخري لجدول صغير يابس يشرف على الجناح الايمن . وكانت له ساحة نظر جيدة على الارض المنبسطة الواقعة في جناحنا .

وبدأت المدافع الامريكية قصصنا بنارها كلما ازداد ضوء النهار . وفي الواقع لم يكن مطلع هذا النهار علينا مسراً ، وزحفت من موضعي في قعر الجدول الى الامام نحو ذروة مرتفع صغير . فاستطعت ان أرى من هناك مواضع مدفعية وعدداً من الدبابات على مسافة ليست بعيدة تحتنا . واذن فقد اصبحنا في قلب الفرقة الامريكية المدرعة الاولى .

وازداد النهار هياجاً . وبدأت القنابل تمطر علينا من كل الجهات وقد راقبت الفوج الاول الذي يقوده الرئيس ( مول ) وكان يسارناً،

فإذا بالعدو يهاجمه ويكاد ان يحيطه بالدبابات ، وكان موقفه خطيراً جداً ولم ينقذه غير الانسحاب العاجل . وان انقسام قوتنا جعلني أشعر ان وحدتي أصبحت معزولة اكثر من قبل .

و كان يدور خلفنا والى اليمين قتال عنيف بين دباباتنا والدبابات الامريكية من أجل الاستيلاء على ( ناله ) . ذلك لأنه بعد ان قدر (الكسندر) تقديرًا صحيحًا ، ان رومل سبندفع شمالًا ، امر القائد البريطانى الفريق ( اندرسون ) ان يحشد دروعه للدفاع عن ( ناله ) . فأرسل البريطانيون على عجل قوة مختلطة الى هذه المنطقة كان معظمها من جحفل اللواء المدرع الـ ( ٢٦ ) وقد عززت بفوجين من المشاة البريطانيين وفوجين من مدفعية الميدان الامريكية .

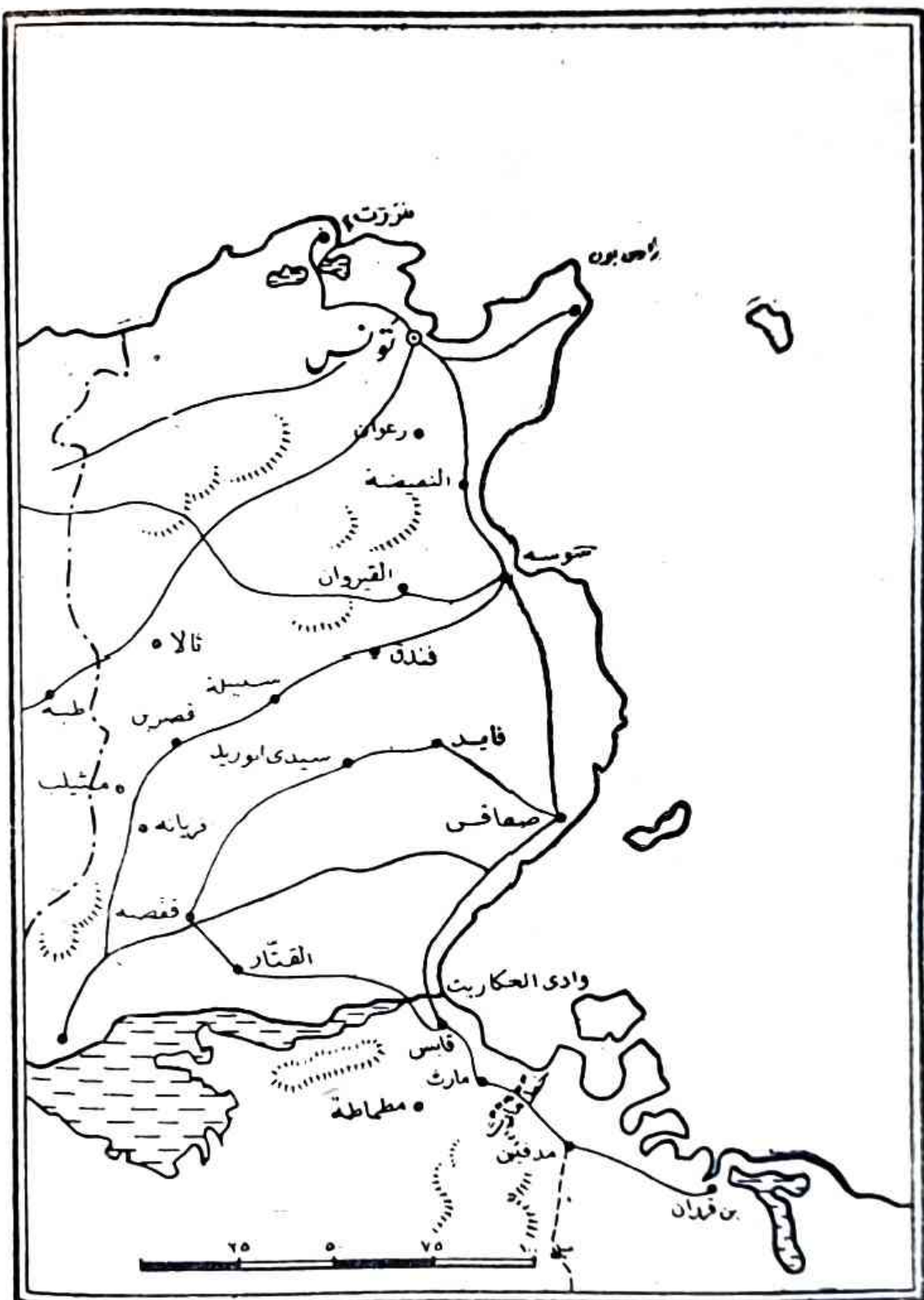
وقد ذكر (الكسندر) بعدئذ في احده تقاريره عن المعركة التي نشبت بعد هذا في الارض المنبسطة « انها كانت عنيفة جداً وسجالا بين الطرفين . وفي ذات مرة استطاعت دبابات المانية قليلة ان تشق طريقها عبر المضيق المنخفض الواقع جنوب قرية ( ناله ) إلا انها مزقت اربا اربا بنيران مدفعية الميدان التي انصبت عليها من مسافة قريبة وكان الموقف على غاية الخطورة ولم يستقر بعد فترات الخطر الشديد إلا بجهود وابداع القطعات القليلة التي قاتلت هناك ببطولة » . وعلى كل حال فقد توقفت الفرقة المدرعة العاشرة التي كانت جديدة نسبيا والتي جعلها رومل تتخلل الفرقة المدرعة الـ ( ٢١ ) للقيام بهذا الهجوم . وعلى طريق (قصرين) — ( طبسه ) اوقفنا الفرقة المدرعة الامريكية الاولى على جبل ( حمرة ) ...



واصبح موضع فوجنا غير قابل للدفاع . فجاءنا أمر بالانسحاب  
بعد الظهر ولكنه كان من المستحيل تنفيذه في وضوح النهار . وعندما  
أرخی علينا الليل سدوله الساترة اخلينا موضعنا على عجل وبانتظام  
وانسحبنا طيلة الليل .

وهكذا تخلى رومل عن جميع الارض التي اكتسبها خلال الايام  
السابقة واستطاع ان يخلص جميع المدبابات التي هجم بها عدا تسع دبابات  
ولم تشجع الالغام والتخريبات العدو على مطاردته ايانا . على ان القوات  
الانكليزية الامريكية استرجعت مع ذلك مضيق (إقصرين) في ٢٥ منه  
وبدأ مونتكري ايضا يهددنا في (مارث) .





خريطة رقم (١٠)





## الباب الحادية والاربعون

### وداع تملب الصحراء

صار اهتمامنا الآن موجهاً نحو خط مارث مرة أخرى ويبدو ان القيادة العليا في برلين كانت تنظر الى الموقف في افريقيا نظرة تفاؤل وبدأت التقويات المتوالية - الى حد قوة سرية - تصل بانتظام . فوجد العقيد ( منتون ) نفسه قادراً على تأليف فوج ثالث في الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) .

وقد عهد الى تشكيل هذا الفوج وتوليت قيادته في ( صفاقس ) فكان ذلك سبباً في قضائنا بضعة ايام مريحة بعيداً عن المعركة .

#### ٢

وعند ما اشتدت الازمة في معركة ( قصرين ) يوم ٢١ شباط أمر ( الكسندر ) ( مونتكري ) بأن يهدد جناحنا الجنوبي اقوى تهديداً ممكن فلم يتمكن ( مونتكري ) ان يفعل شيئاً كبيراً في هذا الصدد لانه لم يكن متهيئاً بعد لانزال ضربته ، إلا انه حرك مع ذلك قوات لا يستهان بها نحو غرب ( مدنين ) وان كانت هذه لم تؤمن التماس معنا . وبعد ان بدأنا نراجع في ( قصرين ) اخبر ( الكسندر ) ( مونتكري ) بأنه بحاجة للمجازفة في شن الهجوم خشية ان يؤثر ذلك في الخطط المقبلة .

ولم يصبح موقف رومل اسوأ مما كان ، كما ادعى ذلك (الكسندر) حينما قال « لقد افراط رومل كثيراً في استثمار فوز اولي كبير - كما فعل في تقدمه نحو (العلمين) - فجعل نفسه في موقف اسوأ من قبل . » غير انك لا تستطيع ان تلومه على محاولته الجريئة لانتزاع النصر ، وقد اوشك على النجاح فعلاً في كلتا المرتين . وعند ما جوبه بمقاومة شديدة واضطر على التوقف بعد ان مزق شمل الامريكيين ، لم يقم بمجازفات أخرى . وكان رومل يعلم حق العلم انه اذا فشل الاحتمال البعيد لنصر واضح فليس في وسعه ان يأمل غير ان يؤخر (مونتكمري) فترة من الزمن . وان خير آماله الآن هي ان يتغدى بمونتكمري قبل ان يتعشى هذا به . وربما كان من الافضل لو انه قد انزل ضربته على (مونتكمري) قبل هذا بقليل . غير انك لا بد وان تتذكر انه وازن الاخطار الناجمة عن وجود الجيش الاول وراه .

### ٣

وبينما كنا ننسحب من (قصرين) هاجم (فون ارنيم) في جبهة الجيش الخامس جيش (اندرسون) . فنتجّم عن ذلك قتال جبلي مرير في جوتنيس استمر اياماً عديدة .

وقرر رومل ان يهجم صباح ٦ مارت . فحشد قطعاته في منطقة خط (مارث) وعزم على تطبيق خطة الهجوم التي سبق ان وضعها الافرنسيون قبل الحرب لتنفيذ عند الحاجة ضد الطليان في طرابلس عند مهاجمتهم لتونس - وتتلخص هذه في : التقدم من الجبال والمجّوم على الجناح الايسر لخط مونتكمري وصدرت اليها الاوامر قبل الهجوم بليلة .

فكان على الفرقتين المدرعتين الـ ( ١٠ ) والـ ( ٢١ ) - اللتين كانتا اقوى  
مالدى رومل - القيام بالصولة التمهيدية . اما نحن المنسوبون الى الفرقة  
الـ ( ١٥ ) فكان علينا ان نتهياً مع الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) لاستئثار  
الفوز او اتقدم الاسناد عندما يتطور الموقف الى غير ذلك .

وقد اوضح رومل لنا في اوامر المعركة التي اصدرها في تلك الليلة  
ان الغرض من التعرض (اعادة احتلال طرابلس) - وهو غرض بنطوي  
على طموح كثير . ووقف في صباح اليوم التالي في سيارته المفتوحة  
في اعلى المضيق في (قصر الحلوف) يراقب الدبابات وهي تفتل نازلة على  
الطريق لتهاجم مستفيدة من غبش الفجر .

وكان رومل مريضاً بداء اليرقان . وكانت رقيبته مضمدة - اذ  
كان مصاباً بقرح من حر الصحراء . وقد قال لصديق له انه اذا لم  
يكسب هذه المعركة فانه سيفقد امله الاخير في افريقيا ، فكان هذه آخر  
معركة خاضها في افريقيا واندحر فيها .

ولاحظت طائرات استطلاع العدو تحشد تشكيلاتنا . فانذر  
(الكسندر) ( مونتكيري ) ان رومل يتحرك للهجوم دون شك .  
فاجابه ( مونتكيري ) انه يتمنى ان يفعل رومل ذلك وان همه الوحيد ان  
لا يقوم رومل بذلك .

وكان ( مونتكيري ) قد جعل اعداءنا القدماء ( نيوزيلندي  
زرايبورغ ولواء الحرس الـ ( ٢١ ) - ينتظروننا جوار ( مدنين ) .  
ركان يعلم انه اذا اخذ رومل ( مدنين ) فسوف يقطع مواصلات الجيش  
لثامن بطرابلس ويحيط القسم الاعظم من القوات البريطانية . ولم يتسع



الوقت لمونتكري لزراع حقول الالغام ، إلا انه كان لديه عددا هائلا من اسلحة ضد الدبابات مستترة في مواضع مخفورة وقد استهدف بها الرمي على الدبابات الهاجمة من الجناح من مديات قصيرة .

ولم يعرف رومل درجة قوة مواضع العدو . وقد قننا باربوع هجمات في ذلك اليوم فقدنا ما يزيد على الخمسين دبابة - وهو عدد لا يمكننا الاستغناء عنه . وفعل ( مونتكري ) هنا ما فعله في معركة (علم الحلفاء) فلم يورط دباباته في المعركة - لم يستخدم منها في الواقع غير سرية واحدة - في حين اننا زججنا جميع قواتنا المدرعة فذهبت طعمة لنيران مدافع ضد الدبابات . وعندما حل الظلام تخلى رومل عن هذه المعركة التي لم يكن ثمة امل فيها ، وشعر في ذلك المساء انه لم تبق لقواته في افريقيا غير فرصة واحدة وهي ان يأخذها الى ايطاليا سالمة ليقا تل بها هناك مرة اخرى . وكان كل ما يستطيع ان يفعله هو ان يستفيد من تأثيره الشخصي على هتلر فيحصل على اذن منه لاخلأ قواته .

وفي ٩ مارت ١٩٤٣ ترك رومل من تلقاء نفسه ساحة حركات افريقيا ، بعد سنتين من وصوله اليها . على ان (الكسندر) يرى انه وان كان ذهابه بسبب المرض حقا إلا ان القيادة الالمانية العليا لم تشأ ان تجازف بقائد شهير مثله فتتركة عرضة لاحتال اسر العدو .

ولم تنتج مهمة رومل لدى هتلر شيئا . وقد احتفظ به ليتولى احدى القيادات في اوربا ومنع من العودة الى افريقيا . فتولى ( فون ارني ) قيادة جحفل الجيش واصبح ( فون فيدرت ) قائدا للجيش الخامس وهو قائدى القديم عندما ما كنت في الكتيبة ال ( ١١٥ ) من الفرقة المدرعة ال ( ١٥ ) . وقد ابرقت براين برقية جفرية الى أعلى

قيادة في تونس مؤداها ( يذبغي كتمان تنحية الفيلد مارشال رومل  
عن القيادة في جميع الظروف ) .  
فكانت تلك ضربة اليمه لفيلق أفريقيا .

٤

ولقد قدر لي ان أرى ( الفيلد مارشال ) مرة أخرى فقط . وكان  
ذلك في ايطاليا الشمالية وفي مؤتمر ار كان انعقد عند بحيرة ( كارداس ) .  
وقد ميزني كالسابق من بين الجماعة الحاضرين ، وفاجأ عدداً كبيراً من  
الضباط الذين كانوا أقدم مني عندما وقف يحدثني حديثاً شخصياً ، وذلك  
خلال الفترة التمهيدية التي سبقت المناقشات المهمة المنوى اجراؤها .

غير ان رومل هذا لم يشبه رئيسي السابق ( نعلب الصمجره ) المترب  
والذي كان يلف حول رقبته ملفحة والذي كانت علامته الفارقة  
نظارات الغبار الموضوعة على قبعته ذات الحافة العالية والذي لم يرافقه  
غير واحد او اثنين من مرافقيه . اما الآن فهو محاط بحاشية من ضباط  
اركن اللامعين . وكانت قبعته جديدة وغريبة عني وكان يحمل عصا  
الارشالية في يده .

وقد سألتني « هل أنت سعيد يا شمت ٢ » ثم أردف قائلاً « آه - اظن  
ان الايام التي قضيناها في افريقيا كانت أحسن من أيامنا هذه ، تلك  
الايام التي كنا نسابق فيها الجيش الثامن في فطنتنا وذكائنا . . . »

## الباب الثاني والاربعون

### جهنم في خط (مارث)

كانت معركة (مارث) هي الثانية من بين معاركنا الكبرى .  
وقد سبقها اشتباك قصير لكنه دموي حدث في ١٠ آذار أي بعد أن  
ترك رومل افريقيا بيوم واحد .

فقد جرت محاولة ، بناء على تعليمات رومل ، للحصول على شيء من  
الانتصارات بغية انعاش المعنويات بعد خيبة (مدنين) ولمنع العدو  
بالفعالية المستمرة من الاستقرار والاستعداد لمعركة حاسمة . فهاجمت  
وحدات استطلاعية من الفرقتين المدرعتين الـ (٢١) والـ (١٥)  
تساندها طائرات (شتوكا) قوة الافرنسيين الاحرار — ابطال التقدم  
الطويل عبر واحات افريقيا من بحيرة (شاد) بقيادة الفريق (ليكلر  
دي هونكلوك) — وذلك في (قصر رجلين) الذي هو نقطة امامية  
في الصحراء غرب جبال (مطاطة) . ولا شك ان مونتكري قد قرر ان  
يمرر قريباً قوة احاطة من هذه المنطقة اذا تمكن من ذلك .

لكن هجومنا مني بالفشل لأن الافرنسيين قاتلوا بشدة كما فعلوا  
تحت قيادة (كونيك) في بئر حكيم كما ان القوتين الجويتين البريطانية  
والافريقية الجنوبية تدخلتا تدخلا عظيما .







كان طول خط مارث نفسه نحو اثنين وعشرين ميلا وكان يمتد من البحر الى جبال ( مطاطة ) ويقع الخط في نهايته الساحلية خلف وادي ( زكزاو ) وهو حفرة طبيعية ضد الدبابات كان الافرنسيون قد عززوها تعزيزاً اصطناعياً . وكانت الدفاعات عبارة عن منظومة نقاط قوية متصلة بعضها ببعض وقد قويت بالسمنت المسلح وانشأ قسم منها تحت الأرض . وكانت الاسلاك والالغام تملأ الثغرات . وعندما شيد الافرنسيون هذا الخط في الايام التي سبقت الحرب ظنوا انها لا يمكن ان تحاط من الصحراء غرب ( مطاطة ) . غير أن جحفل ( مونتكري ) الصحراوي ذا المدى البعيد برهن على خلاف ذلك . وقد اعتبر ( الكسندر ) مع ذلك ان خطنا الدفاعي هنا لا يقل قوة عن خطنا في ( العلمين ) .

وكانت خطة ( مونتكري ) لتحطيم خط ( مارث ) تشتمل على هجوم جبهوي على وادي ( زكزاو ) قرب الساحل . وكانت على قطعاته الحاجة بعد اختراقها الخط ان تستدير يميناً فتكتسح مواضعنا حتى البحر . وقد قرر أيضاً قيام النيوزيلنديين والافرنسيين الاحرار مع لواء دبابات بحركة ( كاشة يسرى ) حول الجبال لقطع طريق ( قابس - مارث ) ليتسنى بذلك حصرنا في المنطقة التي كننا فيها .

واتخذ ( الكسندر ) أيضاً التدابير لقيام الامريكيين بقيادة الفريق ( باتون ) - الذي حل محل ( فريد ندال ) بالضغط على خلف جناحنا



الأيمن . وكان عليهم احتلال ( قفصة ) ثم خانق ( القطار ) فبدأوا يتقدمون في ١٦ آذار وأمنت وحدة استطلاع المانية التماس معهم إلا انها لم تبد أية مقاومة في ( قفصة ) بل انسحبت الى المضيق الواقع شرق قرية ( القطار ) .

وفي الوقت نفسه زادت الفعالية على جهة ( مارث ) نفسها وخرجت القوة النوزيلندية بـ ( ٢٧٠٠٠ ) جندي مندفعة حول جناحنا الأيمن . وكان ( مونتكيري ) قد جعل تأريخ هجومه الرئيسي ٢٠ آذار . وكان واجب اعدائنا القدماء الفيلىق الـ ( ٣٠ ) المؤلف من الفرق الـ ( ٥٠ ) والـ ( ٥١ ) والهندية الرابعة ولواء الحرس الـ ( ٢٠ ) اختراق وادي ( زكزاو ) والخط الصندوقي خلفه . وبعد ان يتم الخرق يجب على الفيلىق العاشر الاندفاع بفرقتين مدرعتين نحو ( قابس ) و ( صفاقس ) .

### ٣

ظلت وحدتي - الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) - مرابطة مدة ثلاثة اسابيع قرب واحة ( قابس ) وخلف خط الجبهة وهي مشغولة في التدريب . وكان واجبي ان اهيأ فوجي الجديد المعركة التي لابد من وقوعها .

وبينا كنت على وشك ان استقر لكي اكتب رسالة طويلة الى خطيبي في صباح يوم ٢٠ منه ، اذا بندااء مستعجل يأتيني من مقر الكتبية . ولما ذهبت الى هناك امرت بتهيئة فوجي للقتال فوراً . وكان علينا ان نضع انفسنا تحت تصرف هيئة ركن الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) ضمن مدة اربع ساعات .

و كان الفيلق الايطالي الـ ( ٢٠ ) يحتل القطاع الساحلي من وادي ( زكزاو ) ، وبامرته الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) مع فرقتين ايطاليتين - وهما فرقة ( الفاشيست الشبان ) وفرقة ( تريست ) . وكانت ثلاث فرق تحتل نهاية الخط في جبال ( مطماطة ) وخلفها الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) كاحتياط فوري . اما الفرقة المدرعة الـ ( ٢٩ ) فقد احتفظ بها على مسافة ابعد في الخلف لكي تكون جاهزة لتدافع عند الحاجة عن الثغرة التي بين جبل ( طباقه ) وجبل ( ملهب ) تلك الثغرة التي كان يسير اليها النيوزيلنديون في نفس ذلك اليوم . وراجعت مع قليل من ضباط فوجي ، مقر الفرقة الخفيفة الـ ( ٩٠ ) في الوقت المعين . وكان تشكيل جوي قاصف امريكي قد هاجم المنطقة قبل دقائق قليلة بالقنابل فكنت نرى الجرحى وهم يخلون عنها .

وزودنا احد ضباط ركن الفرقة بمعلومات مختصرة عن الموقف ، فدركت من الكلمات القلائل الاولى التي فاه بها ان واجبنا سوف لا يكون سيارا بل سيقصر مدة من الزمن على القتال المستمكن المرير . وقد اعتطعنا ان نذمين خطورة الموقف من العبارات العالية التي قلها ضابط الركن .

« ايها السادة ، سررت بوصولكم بهذه السرعة اذ ان كل دقيقة نعطيك فرصة اضافية لتفتيش مواضعكم في الجبهة تعد ثمينة . فقد رددتنا تقارير موثوقة من الوكلاء بأن الجيش الثامن ينوي الهجوم على هذا القاطع في هذه الليلة . » و اشار علينا ضابط الركن ان ندرس خريطة الموقف الكبيرة فدونا منها على ( الباغه ) الشفافة التي على الواح خرائطنا ملحوظات سريعة عن الحدود الفاصلة والقطعات المجاورة ثم

اضاف يقول « انكم ترون من الخريطة ان فرقة ( شباب الفاشيست )  
الايطالية تحتل هذا القاطع لكن القابلية الحربية لهؤلاء واطئة . وقد  
يشجع ذلك قيادة الجيش الثامن على توجيه هجومه نحو هذه النقطة لذاكاته  
من المهم جداً تبديل هذه القطعات فوراً . ويجب ان تنتهوا من تهيئة  
قاطعكم قبل حلول الظلام وان تكونوا مستعدين لدحر اشد هجمات  
العدو .

ولم يستغرق المؤتمر كله اكثر من عشر دقائق ، وفي نهايتها كنت  
قد انتهيت من تقسيم قاطعي وتخصيص المناطق الى السرايا .

وقد قمنا بعملية التبديل بسرعة لم اتوقعها وبدون عراقيل . وفي  
الواقع كان قد جرى سحب جزء غير قليل من القطعات الايطالية قبل  
وصولنا .

واغتبطت بالمنعات التي بناها الافرنسيون على حافة وادي  
( زكزاو ) . وكان بعضها مدرعا بالقولاذ الذي يقيها من تأثير القنابل  
والقنابر . على ان بعض هذه المنعات كان قد شيد اغرض الستراكثر منه  
لتأمين ساحة نار ، كما انه لم تكن للبعض الآخر مراغل ( ١ ) . اصف الى  
ذلك ان معظم هذه المنعات كان مصمما لاستوعب مدافع افرنسية من  
عيار ( ٢٥ ) و ( ٤٧ ) ملم ضد الدبابات ولذلك فلم تكن هذه المستوعب  
مدافعنا ذات ( ٥٠ ) و ( ٧٥ ) ملم ، الأمر الذي اضطرنا الى تركها  
خلف خط المنعات . وكان يوجد عدد من المواضع الجاهزة للرشاشات

---

( ١ ) جمع مرغل وهو فتحة ضيقة في موضع دفاعي محصن لرؤية العدو وجب  
النار عليه .



والهاونات في وسط منظومة الخنادق - ومشيدة في ارض نكثر فيم-  
الصخور الرملية . وكان وادي « زكزاو » الواقع امام منعائنا مغموراً  
بالماء في بعض اقسامه . وكان على بعد بضع مئات من الياردات رابية  
تمنع مجال رؤيتنا إلا انها تحدد في نفس الوقت المسافة التي يستطيع منها  
العدو ان يترصد مواضعنا . وكانت قد هيئت منظومة خنادق منعزلة على  
الرابية كموقع امامي . وبعد تردد اضطررت الى تخصيص قوة سرية  
لاشغال الرابية لاسيما وان امراً مباشراً جاءني بذلك . وفي الساعات  
القلائل الباقيات قبل مغيب الشمس قمت بزيارة سريعة الى اجزاء المقاطع  
المختلفة للاطلاع عليها ، ووزعت اسلحتي توزيعاً منتظماً وخصصت  
الأشخاص المسؤولين عن قيادة نقاط الاسناد .

وقبل المغيب بنحو ساعة واحدة وصلت اليها امدادات اضافية من  
قطعات المانية نزلت في افريقيا من الطائرات قبل ساعات قلائل . ولم  
يصرف الوقت عبثاً في التثبت من تفاصيل القطعات الجديدة بل وزعت  
هذه بصورة مستعجلة على قواطع الخط الامامي .

و كنت قد ارسلت رئيس العرفاء ( فيلد ويبل أمون ) ليقود منعتي  
الواقعة في اقصى الجناح الايسر ، فتعرض الى نار مدفعية شديدة خلال  
الساعة الأخيرة من النهار . فاخبرني انه في وسعه ان يرى تنقلات قطعات  
العدو . كما اخبرني ايضاً بأنه ليست ثمة مواصلات بينه وبين القطعات  
الابطالية التي تجاوره من اليسار في حين ان وجود مثل هذه المواصلات  
الضرورية امر بديهي ، وانه توجد ثغرة واسعة بينه وبينهم ، فاخبرت  
مقر الكتيبة بذلك فوعدوني بتقديم المساعدة .

وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة تسلمت الى سقف المنعة التي كانت مقرى للمعركة . وكان الجو معتدلا في هذه الليلة من ليالي الربيع ذات النجوم الكثيرة والهدوء سائد لدرجة انني سألت نفسي فيما اذا كان وكلاؤنا قد ضلونا - شأنهم في كثير من المرات . فربما لا يهجم الجيش الثامن في هذه الليلة . وكانت طائرة منفردة تطن فوقنا فقدرت من صوت محركها انها مقاتلة ليلية من نوع ( مسر شمت ) . وكنا نرى فوق افق العدو من بعد مشاعل المظلات وهي تهبط ببطء في الظلام . واذن فان قاصفاننا منهمكة في قصف العدو . وفجأة اضي . الافق كله امامي بنور يشبه البرق فقلت لمراسلي الساعي متعجبا : « يالها من نيران هائلة ضد الطائرات يرميها العدو ! » ثم استمر البرق بشكل اوسع مما تستطيع العين ان تراه . وتتابع الوميض من دون انقطاع . فادركت حالا انه ليس ببرق ، بل هو السد الناري لـ ( مونتكري ) .

وبعد ثوان كان هنالك زعيق وصفير وصياح ثم بدأت اصوات انفجارات القنابل حولها . فقفزت بطفرة واحدة من سقف المنعة الى الخندق العميق الواقع اسفله ، ولم تمض لحظة الا وقنابل المهداد البريطانية تغمر الأرض المجاورة لنا .

لقد تلاشى كل ما كان يدور في رأسي من افكار بتأثير السد الناري الهائل ، فلم اشعر إلا واننا ادمدم قائلا « قاتل - قاتل لا نقاذ حياتك ! » . وقدرت باننا سنجابه قريبا هجوم مشاة العدو او دباباته او ربما كليهما معا واننا سنصلى قبل ذلك بنيران مدفعيته . واستمرت طبول النار تدوي ثم تدوي .

وركضت خلال منظومة الخنادق للتأكد من ان كل جندي

حاضر لاطلاق النار وان كل قاطع قد ارسل الى الامام راصداً ليعطي  
الانذار الكافي عن تقدم العدو . فاذا بشكل الخنادق قد تغير تغيراً كبيراً  
وانهارت جوانب كثير منها مع انها مشيدة بالصخور الرملية الصلبة .  
وكنت اتسلق باستمرار على الانقاض الحجرية او اكوام الصخور بل  
وكنت اقفز فوق قتابل العدو غير المنفلقة .

وقد رأيت في بعض الملاجي جنوداً قتلى وجرحى مضطجعين  
جنب اسلحتهم . ولا ريب ان الموقف كان يتطلب شجاعة عظيمة من  
اولئك الذين يحتلون مواقع الرصد الامامية التي هي اقل حماية من  
الملاجي ، ولو لمدة نصف ساعة .

ووصلت الى احدى المنعات السفلى التي كانت في واسط القاطع  
مشيدة على حافة وادي ( زكزاو ) فرأيت بعض جنود مفرزتها  
مقتولين جنب رشاشتهم . وقد وجدت في مدخل المنعة والى احدى  
جوانبها قليلاً ، جنديين في خندق وقد جرحا جرحاً خفيفاً . فصاح بي  
احدهم قائلاً « دبابات في المرتفع امامنا توأ » .

ولم اعرف هذا الجندي فلربما كان احد جنود التقويات . فصاح  
ثانية « لقد حطمت الدبابات درع منعتنا باصابات مباشرة » .

ثم اردف يقول « انه من الانتحار البقاء في المنعة » .

فزجرت به قائلاً « بحق السماء يا هذا ، احتل موضع الرشاشة الواقع  
جنب المنعة مباشرة فمن المحتمل ان يتدفق علينا المشاة البريطانيون في  
كل لحظة . »

لقد كننا مشتركين في قضية موت او حياة فوجب علينا الاستفادة



من كل فرد سواء أكان مجروحاً أم غير مجروح . وتسلقت الى المنعة الخربة فأخرجت منها الرشاشة ، ثم التفت فاذا بالجنديين لا زالامضطجعين في الخندق كما تركتهما . ولم يبدأ حراكاً فقد انفجرت عليهما قبله خلال هذه الثواني القليلة فقتلتهما .

وعدت على عجل الى منعتي الخاصة ، فكان الرجوع اشد صعوبة من الذهاب . وقد اضطررتني انفلاقات القنابل على الامتداد ارضاً مرة بعد اخرى في كل عدة ثوان ، وكانت الخنادق يزداد انهيارها وتمزقها شيئاً فشيئاً .

وعندما وصلت أخيراً الى منعتي ، عيقت ثلاثة جنود لاحتلال موقع الرشاشة وكان بينهم أحسن سعاتي وهو رجل قصير مملوء بروح الدعابة ، وبعد دقائق قليلة عاد لاهثاً وهو يقول :

« يا حضرة الملازم الأول ، الانكليز يهجمون — وهم مرابطون الآن أمام خندقنا تماماً . »

واذن فان اللعبة قد استؤنفت فمضى سعاتي يركضون في الخنادق وينهبون جنود الفوج وهم ينادون « المشاة يهجمون — الاسلحة في الموضع » . وفي ثوان قليلة كانت الرشاشات التي لم يمحها العدو نصب وابل نيرانها على الجهة . وكانت نيراننا المنصبة على الوادي — سواء الجهوية منها أم الجانبيهة — فظيعة ، فكان شريط اثر آخر يمر من الرشاشات .

وسحق العدو السرية التي كانت تحتل الموقع الالامي — وكنا قبل ربع ساعة قد اعترفنا باستلام اشارة السرية القائلة « الدبابات تهجم » .

أما الآن فلم يكن ثمة خبر منها وكانت تنصب علينا نيران دبابات شديدة من المكان الذي كانت فيه السرية .

وارسلت ساعيا الى موضع ( امون ) الجاني ، وكان عليه ان يجتاز ارضا مفتوحة ، فلم يتمكن من الوصول الى هناك ولم استغرب من ذلك ، اذ انه تعثر بالمشاة البريطانيين وقذفوه بقنابر ( ميلس ) . واتضح ان بعض البريطانيين اجتازوا ضفة الوادي بحزم الحطب فكان عملهم هذا ينطوي على شجاعة وجرأة عظيمتين . وكانت نيران مدفعية البريطانيين على أشدها ، وقد وصل جنودهم الى الارض المكشوفة التي لا تزال تحت سدم الناري .

وخصصت جماعة لتطهير الخنادق الامامية في جناحنا اليسر من الغزاة الذين دخلوها فتمكنا من استرداد المنعة الواقعة في نهاية منظومة الخنادق هذه واسرنا ثلاثة جنود من العدو . على ان بعض المهاجمين قاوموا بعزم في مواقع منعزلة وقاتلونا بوابل من القنابر . فلم يتمكن من الوصول اليهم واضطرونا على الاكتفاء بسد الطريق المؤدي الى خنادقنا الرئيسية .

وخبرني موقع اسناد ( امون ) بالاساسي قائلا « المشاة الانكليز يمرون بنا مندفعين من اليمين ومن اليسار - موقع الاسناد لازال يقاوم . » وعندما طلع النهار رأيت بعض دبابات ( فالنتين ) البريطانية على الراية التي كانت ترابط فيها سرية الموقع المتقدم في المساء الماضي . وقد نعدر علينا صب النار عليها لان مدافعنا الثقيلة ضد الدبابات كانت لا تزال خلف خط المنعات اذ لم يتسع الوقت مساء امس لاحتضار مواضع ملائمة لها غير اننا تمكنا بنيران الرشاشات ومدافع الهاون المتمركزة من تطهير

الرابعة بعد الظهر . واستطعنا القضاء على المشاة المتسللين أيضا بالنظر  
لنفاذ عتادهم . واسترجعت خلال النهار جميع الخنادق في قاطعي ماعدا  
تلك التي في الجناح الايسر .

وقبضنا على اسرى من جنود الفرقة الـ ( ٥٠ ) الانكليزية فأقادوا  
بأن وادي ( زكزاو ) المغمور بالماء والذي اجتازوه مشيا على الاقدام  
كان غير صالح لمروور العجلات . ولم يتمكن غير قليل من الدبابات الثقيلة  
ان تشق طريقها عبر الوادي . وقد تعذر تعزيزها بعدئذ .

وضمم طبيبينا ملازماً انكليزيا شابا كان قد جرح فسالنا هذا قائلا  
« علام انتم لازالتم تقاتلون ؟ » ثم اردف يقول « لدينا تفوق ساحق في  
الرجال والمعدات ، وان هي الا أيام وأسابيع ثم تنتهي الحرب بالنسبة  
لنكم على كل حال . »

فلم نعتقد بما قال وضحكنا على تفأؤله .

وسأل الانكليزي الطبيب ( وهو جراح شاب حساس من فينا )  
« هل تحب غوبلز ؟ فسألني هذا « ماعسى ان يكون جواني ؟ » فبرزت  
كتفي ولم أقل شيئا .

وفي اقصى جناحنا الايسر كان جنود الجيش الثامن قد اخترقوا  
خط ( مارث ) الى مسافة أبعد . فشاهدت خلف خط المنعيات مباشرة  
والى مسافة بعيدة خلفنا جماعة صغيرة من الانكليز ير كضون على مرتفع .  
وكننا قد فقدنا الاتصال تماما مع قطعائنا في الخلف فـ هل قضي  
عليها ياترى ؟ وارسلت رسالة لاسلكية استخبر بها عن ذلك فجاءني الجواب  
بعد ساعات قلائل ، « احتفظ بالموضع مهما كلف الامر . ستقوم كتيبة  
التقوية بالهجوم المقابل . »



وكان موضع اسناد ( امون ) يبدو كجزيرة صغيرة في جناحي  
الايسر . فاخبرني هذا بالاسلكي قائلا :

« يحاول العدو ان يحرك الدبابات على الارض التي امامنا . » ثم  
انهالت على مواضعنا أيضا نيران أكثر من ذي قبل كانت تصبها بدقة  
دبابات واقفة خلف الرابية التي امامنا ، فكاد يستحيل على أحدنا أن  
يرفع رأسه فوق الستر .

وحلت الليلة الثانية فتوقعنا ان تزيد فعالية مدفعية العدو . ولكن  
من العجيب ان ذلك لم يحدث . لابل ولم يحدث هجوم آخر بالمشاة كما  
كنت اظن . ومن قبيل الحيلة اتخذت التدابير لاكتساح الوادي بقنابر  
الهاون ونار الرشاشات بين آونة وأخرى . وقد حاولت قطعات صولة  
بريطانية قليلة في اقصى الجناح الايسر ان تتقدم مرة أخرى من الخنادق  
التي استولت عليها قبل ليلة فتمكنت ان تشق طريقها الى الامام على  
الرغم من الخسائر التي تكبدتها مستخدمة القنابر وغدارات ( نومي ) -  
فقدنا المنعة التي في يساري مرة أخرى .

وبدأت الآن اشعر بفداحة خسائري . فبعد ان وضعت في كل  
موضع مهم اثنين من اعداد الرشاشة لم يبق لدى احتياط للقيام  
بهجمات مقابلة محلية . فاضطرت مرة أخرى على سدها نهاية منظومة  
الخنادق والاعتماد على ابعاد العدو بحجاب من نيران الهاونات . ولم يكن  
هنالك أثر لهجوم الكتيبة المقابل ، كما وعدت فصرت اتساءل فيما اذا  
كانت الرسالة الاسلامكية عزاء أ رخيصةا في زمن ربما كان من أشد  
اوقاتنا حراجة .

ولكن لا ! لقد استلطنا بعد الظهر بقليل رسالة اخرى تفيد ان  
« كتيبة البنادق الـ ( ١١٥ ) هجمت . اتخذوا التدابير لعدم الرمي على  
قطعاتنا .

ورأيت بعد ذلك بقليل المشاة الالمان يتقدمون بقفزات دباخية على  
مسافة بعيدة خلفنا . وقد استمروا على ذلك دون هوادة ولا بد  
وانهم كانوا يستردون الارض التي اضعناها . واتجهت انظارنا نحو  
الحركة الجارية في الخلف فاهتمنا بها أكثر من اهتمامنا بجهتنا اذ لم نجد  
ثمة داعيا الى الخوف من هجمات محلية اخرى . وتملكني شيء من الفخر  
في كتيبتي القديمة فشعرت بالامتنان منها ، فقد كان جنودها قادمين  
حقا لنجدتنا .

وبدأت مدفعيتنا تقصف الخنادق التي يحتلها العدو يسارنا .  
وكذلك الرابية التي في الامام . اما المدفعية البريطانية فقد كانت هادئة  
على الرغم من قصفها التمهيدي الهائل . فهل كان سبب ذلك ان الجيش  
الثامن كان يجهل اما كن قطعاته الامامية ، ام ان المدافع قد وجهت الى  
قسم آخر من الجهة ؟

وتقدمنا من خط منعاتنا باندفاعات قصيرة ونحن مفعمون بشجاعة  
جديدة ولم اترك غير قليل من الجنود لادارة اسلحة الاسناد المهمة ،  
واندفع معظمهم نحو اليسار والى وادي ( زكزاو ) نفسه ، فاكشفنا  
بغثة مشاة بريطانيين على مقربة منا كانت بعضهم يزحف على مسافة  
باردات قلائل امام مواضعنا ، وقد حاول العدو ان ينسحب فنجح كثير  
من جنوده في ذلك ولكن الآخرين وقعوا اسرى في ايدينا ، واستطعنا

ان نجمع نحو فصيل من الاسرى عندما وصل اليها المشاة حملة الرمانات  
الذين جاؤا لتقويتنا .

ثم شغلنا بعد قليل خط المنعات بأجمعه مرة اخرى ، فأسست ثانية  
نمسا مباشراً مع ( امون ) الذي كان قد شاركه في خندقه الامامي الغزاة  
البريطانيين لمدة يومين ، وسد المشاة الالمان الجدد الثغرة التي في يساره  
فشعرت ثانية بأن جهتي أصبحت محكمة .

وانسحبت تحت ستر نار المدفعية قطعاً رأس الجسر البريطاني  
عبر الوادي بناء على اوامر ( مونتكري ) . وهكذا فشل الهجوم الجبهوي  
ضد خط ( مارث ) .





## الباب الثالث والاربعون

### جبهة خفيفة ضد الأرميكين

تخلي (مونتكري) عن خطته الأصلية فالغى هجومه الجبهوي وعزز هجوم الاحاطة ، وفي غسق ذلك المساء ارسل فرقة دبابات (١) اخرى ليسند رتل (فرايبورغ) الجبار الذي بدأ الآن يضرب منطقة جبل (ماهب) . فارسلت فرقتا المدرعة الـ (٢١) والمشاة الـ (١٦٤) الى هناك من النهاية الغربية لخط (مارث) بغية صد النيوزيلنديين والـ (٢٠٠) دبابة التي كانت معهم . وتوقع (مونتكري) انه بارسال الفرقة المدرعة الجديدة سيتمكن من ان يهاجمنا من الخلف بـ (٣٠٠) دبابة .

وفي الوقت نفسه امر (الكسندر) الفريق (باتون) ان يدفع فرقة مشاة من قواته الأمريكية على طريق (قفصة) - (قابس) وفرقة من الدبابات على طريق (قفصة) - (مكناسي) . فاضطرت قيادتنا العليا على التخلي عن اقوى خط دفاعي في تونس . وهو كخط «ماجينو» لشمال افريقيا الافرنسية في (مارث) .

فتخلصنا من مواضعنا في تلك الليلة واخذنا في الانسحاب مرة أخرى . وانسحبت قطعات خط (مارث) عبر الممر الذي كان خلفها

الى الموضع الدفاعي التالي في وادي ( العكاريت ) شمال ( قابس ) تحت ستر الفرقة المدرعة الـ ( ١٥ ) ، التي زجت في القتال أيضاً ، والفرقتين المدرعة الـ ( ٢١ ) والمشاة ( ١٦٤ ) اللتين كانتا تحولان دون وصول النوزيلنديين الى ( الحامة ) . واستمر القتال عنيفاً عدة أيام قبل أن يدخل ( فرايبورغ ) ( قابس ) في منتصف يوم ٢٩ آذار . ففقد وقتئذ جيشنا الالماني — الايطالي ( ٧٠٠٠ ) اسير ، معظمهم من الطليان علاوة على كثير من المدافع والدبابات ، وفي الوقت نفسه اشتبك فوجي في قتال جديد ضد الامريكيين في ( القطار ) .

٢

وأمر ( ميس ) القائد الايطالي الذي قادماتبقى من جيشنا بعد العامين ، باخلاء حامية واحدة ( قفصة ) الصغيرة قبل الاوان بكثير وارتجل خطأ دفاعياً جديداً على بعد خمسة اميال شرق ( مكناس ) بوحدة استطلاع المانية وأخرى ايطالية . وعزز هذا الخط بالفرقة المدرعة العاشرة وثلاثة افواج مشاة المانية وبعض الدبابات الايطالية فسكت هذه القوة الموضع ضد الفرقة الأمريكية المدرعة الأولى وامكن توقيف هجوم المشاة الأمريكيين على طريق ( قفصة — قابس ) حتى ٢٥ آذار بسلسلة من الهجمات المقابلة قامت بها الفرقة المدرعة العاشرة .

وبما ان الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) مع مدافعه ضد الدبابات استخدم مراراً ( موقف ناري ) فلم افاجأ البتة بعد انسحابنا من خط ( مارث ) عندما علمت باننا سترج في القتال في وادي ( القطار ) . وقد جئنا مدافع فيلق ( باتون ) الأمريكي بنارها كأننا اصدقاؤه قداما .

وجاءت حاملة قطعاً مدرعة ومسرفة نحوي وهي تحمل قائد الفرقة المدرعة العاشرة . وكنا تحت نار قنابل شديدة ، فوقف بضع لحظات فقط ليحيطني بالموقف . وكان حديثه معي ودياً ، ولم تظهر عليه امارات الخوف طبعاً . وقد اضطر على الصياح خلال الكلام لكي يعلو صوته على ضوضاء القصف . فقال لي « تقدم باسرع مايمكن وبكل مالدبك من الجنود . ينبغي أن يكون في الوادي الذي في الامام - هناك ، وخلف المرتفع الذي تراه قرب الطريق - موضع دفاعي ايطالي . ولكن من المحتمل أن يكون الايطاليون قد ابيدوا ، اذ اننا ترصدنا عدداً كبيراً من الاسرى الايطاليين خلف الجبهة الامريكية . واجبك احتلال موضع ملائم على ابعد مسافة ممكنة في الامام وتأسيس خط دفاعي هناك مع اية قطعاً باقية . »

« امركم ياسيدي القائد » قلت ذلك معترفاً باستلامي الامر . ثم أردف قائد الدبابات يقول « ينبغي توقيف أي تقدم آخر يقوم به الامريكيون مهما كلف الامر . فاذا انكسر هذا الخط فان في ذلك نهاية قوات رومل فعليك اذن ان تبذل كل ما في وسعك » . فتناديت بالايحاز التالي قبل ان ينتهي القائد من كلامه « نزل الاسلحة والعتاد ! العجلات تنسحب » .

وكان القائد يعرف جيداً ، كما كنت اعرف ، باننا في حالة طارئة فلم يزجرتني على مقاطعتي لكلامه بل كرر آخر ماقله بهدوء « ابذل ما في وسعك » ثم مضى بسيارته .

ونفذت للمفازز اوامرها بسرعة تحت وابل من القنابل وابتعدت فوراً العجلات العالية التي كانت كمغناطيس لدفعية العدو وتبعتها القنابل



فحصلنا بذلك على فترة راحة قصيرة . واضطجع جنودي جنوب الطريق  
واسلحتهم بجانبهم . وفي فترة الراحة هذه استطاع الضباط ان يحيطوا  
بالموقف . وكانت اوامري الى الضباط مختصرة وهي « نسق المشاة  
شكل ! تقدم على جهة واسعة - الباقي عقب ! (١) » وكانت خير فرصة  
لنا ان نتقدم باسرع ما يمكن . فركضت الى الامام لاكون في المقدمة .  
وتقدم الفوج مبرعا على يمين خط ( قفصة ) مستفيدا من كل ستر متيسر .  
وبعد دقائق قليلة وصلنا منخفضا عريضا قليل العمق لاستتر فيه وبسطيع  
الأمريكيون أن يروا فيه كل جندي على انفراد . ففكرت ان جهنما من  
النار ستصب علينا في كل دقيقة . ثم اوعزت : « اعبى بأسرع  
ما يمكن . »

وركضت أمام الجنود وكأن جميع شياطين الدنيا تطاردني ، فان  
التزود معناه الدمار . وركض الجنود ورائي . وكنا حقا في قلب جحيم  
من النار ، فكان الجنود يتساقطون هنا وهناك وترتفع صيحة « اسعاف »  
من حين لآخر فيركض الرفاق ليساعدوا المتساقطين بينما يستمر الآخرون  
في الركض قدما ورائي .

وبعد نصف ساعة كان السد الناري للعدو لايزال مستمرا كستار

---

(١) ان هذا مثال للاوامر المختصرة التي يعتمد عليها في الجيش الالماني بكثرة  
في قيادة القطعات في المعركة . وان هذه الاوامر تعني : تقدم سريتين من الفوج  
الى الامام بالنسق المنتشر وعلى جهة واسعة وان باقي الفوج يعقب هاتين السريتين  
بمسافة مناسبة . اما تفاصيل التشكيلات التي تتخذها السرايا والمسافة بين بعضها  
بعضا ومحال مقر الفوج وموضع مقدمة النقلة والخ . . . فكل ذلك معروف  
وبؤلف جزءا من سياق معين للعمل في المعركة يثبت ويجري التدريب عليه منذ  
السلم .

فأثم خلفنا فلم يتمكن غير فصيلين من المرور معي . اما الباقيون فقد حاولوا ذلك مراراً وتكراراً فلم يفلحوا فاضطروا على التستر بالارض متكبدين خسائر فادحة .

وشققنا ، نحن الذين نجونا من أتون النار ، طريقنا الى الأمام بثبات . وكنا نجد احياناً اللحظة من الراحة خلف ستر ما . وكانت القنابل لا تزال تنفلق بيننا وعلى مقربة منا ، الا ان هذه النار لم تكن تقارن بما سبق ان لقيناه .

اجتزنا الرابعة التي اشرها القائد لي الا اننا لم نر شيئاً — فلا امرى كان ولا طليان . وصارت الارض الآن تؤمن ستر اكثر من ذي قبل .

واكتشفت في مرتفع من الارض مدخل كهف وقد وقف امامه جندي ايطالي . فتحر كفاصوبه وطلبت منه معلومات — وماء . فاجابني : « ماء ؟ ليس لدينا ماء . عندنا شراب احمر جيد » وناولني زمرميته مرغماً . فشربت منها جرعة طويلة . وبدأ كأن نشاطاً جديداً دب في جسدي المضني بالتعب . واخرج عدداً كبيراً من الزمرميات الايطالية من الكهف المظلم فنال كل جندي من جنودي جرعة منها . واعتادت عيناى على ظلام المدخل فارسلت نظري الى داخل الكهف فاذا به يحتوي على نحو ستين ايطاليا . فسأتهم بالاطالية « اين هي مواضعكم ؟ » فاجابني ضابط ايطالي من دون مبالاة « ابست لدينا مواضع — الامر — كان مواضع قريبة منا » .

ثم أخذ الطليان يقلقون من نكتلنا امام كهفهم خشية ان نكشفهم . ونشرت جنودي بسرعة وتقدمنا . فاصطدمنا بسد جديد من

نار المدفعية ورأيت أمامنا سفحاً مملوءاً بالحفر والشقوق لكنني لم أجد جندياً واحداً فيها « إلا انني كنت وانقا من ان هذه كانت مواضع الطليان ، وقد صرت اعرف نظامهم الدفاعي المعتاد — فهم يحفرون خنادقهم في مواضع مستورة خلف الذروة ويتركون مواقع قليلة أمام الذروة للسيطرة على ساعات الرمي الحقيقية .

ووزعت جنودي بسرعة على الخنادق الشقية التي تركها الطليان وانا اشعر بشيء من الارتياح ، وقد نشرتهم على منطقة واسعة وخصصت ملازماً ليقود كلا من القاطعين الجانبين الواقعين على طرفي الطريق . واستقرت مقرى في الجانب الجنوبي من الطريق وبينما كنت لاحظ توزيع احدى المجموعات في يسار السفح اكتشفت ملجأً يحتوي على ثلاثة مدافع صولة المانية ذاتية الحركة ووجدت الضباط المسؤولين عنها في منعة ايطالية عميقة محمية حماية قوية بطبقات من الصخر والتراب مما يدل بالتأكيد انها شيدت لضباط ايطالي كبير الرتبة .

وكان يقود مفرزة مدافع الصولة ملازم اول وقد فرح فرحاً شديداً عند ما علم بوصول مشاة المان سائدين له اذ كان هذا القاطع مهجوراً ما خلا جنوده . وكان الامر يكمون قد هجموا ليلاً واسروا جميع الطليان ما عدا الذين هربوا الى الخلف وهم الذين كانوا في الكهف .

وقد قال الملازم الأول « امامنا توأ وعلى هذا السفح يوجد عش للأمرىكان لا يبعد اكثر من اربعين خطوة عنا » وكان ينظر خلال كلامه الى الخارج باستمرار من ثقب المنعة . وكان يبدو حريصاً وجريئاً وقد شعر بأسف شديد عندما علم انه ليست لدى في الامام مدافع



ضد الدبابات اذ كان من المستحيل تقديم هذه المدافع قبل حلول الظلام بوجه القصف الأمريكي .

وصاح الملازم الاول بغتة « دبابات هاجمة » .

واذا بانفتي عشرة دبابة (شيرمان) ضخمة تتدحرج نحونا ، واختفت هذه في منخفض من الأرض ولم تبرز منها غير ابراج منفردة ، ثم رأيت مشاة امريكيين يسندونها - وكانوا بقوة سريتين على ما اظن .

وبدأ القلق على الضابط الذي كان بجاني غير انني اكيدت له « بأن الدبابات نفسها لا يحتمل ان تهجم بل ربما ستكتفي باسناد المشاة بالنار » .

غير انه كان يرى رأياً آخر فقال « لا يستطيع ان انبارى بمدافع الصولة التي عندي مع هذه الدبابات الأمريكية ولا يستطيع المشاة من دون مدافع ضد الدبابات حماية مدافعي هذه ضد هجوم الدبابات » .

وربما كان على حق . غير انني قلت له « انا الامر المسئول في هذا القاطع . ابق مستتراً في هذا المنحدر مع مدافعك واسندنا بنارك ضد المشاة » .

وحان الوقت لأنبه جنودي ، ولم يكن لدى في الامام غير قليل من الرشاشات الثقيلة وخمسة هاونات ومقدار محدود من العتاد لهذه الاسلحة . وبعد دقائق قليلة جاءني التقرير من جميع مواضع الاسلحة « حاضر للرعي » .

وكان الامر « الرمي حر » الذي اصدرته للهاونات كاشارة عامة لجميع الاسلحة وفتحت اسلحتي باجمعها النار في آن واحد ، وبعد رمي

نصف شريط التجأ اعداد الرشاشات الى الستر ثانية . وقد جرى كل شئ بصورة ممتازة - بل وبمهارة تفوق ما شاهدته في التدريب أو في المناورات .

وكانت النتيجة ما اردت . لقد اضطر المشاة الأمريكيون على القستر .

وعندما تقدمت الموجة الأولى ثانية اخرجت اسلحتنا من الستر ووضعت في مواضع الرمي مرة أخرى . ولم اكسد ابتعد غير بضع خطوات عن الرشاشة الثقيلة القريبة من الحفرة التي كانت كموقع قيادة لي إلا وسقطت على موضعها قنبلة صارخة فقضت على مفرزتها المؤلفة من ثلاثة جنود .

وبدأت الدبابات الأمريكية الآن تمر كز نارها على مواضعنا في المرتفع وبعد دقائق قليلة خرجت مدافع الصولة الالمانية الثلاثة من سترها ومرت بنا مسرعة وهي تنسحب . وصاح الضابط المسئول عنها وهو يمر بي - وكأنه يعتذر عن فراره - « الدبابات هجمت ، لا بد من انسحابنا » .

فقلت في نفسي : - كلا ان شيئاً كهذا لم يكن يحدث في فيلق رومل الافريقى القديم . وهو دايمل على اننا نجابه الاندحار في افريقيا .

وقد صدق ظني فلم تأت الدبابات الأمريكية الى الامام . وبقينا وحدنا في الجبهة ولم تكن قوتنا تتجاوز الفصيلين ، اما قوة العدو المحددة بنا قلته يعلم مقدارها .

وفررت اخيراً ان طريقة الطليان في اختيار المواضع معقولة نوطاً ما - فسرنا ان ننسحب من الذروة الى السفح الخلفى تاركين موقع

رصد فقط خلف كومة من الحجر . وظلنا نري بها وناثنا ناراً دفاعية من وراء الستر حتى اوقفنا هجوم العدو . ولكننا لم نتمكن من ذلك إلا بعد ان اوشك عتادنا ان ينفذ . ولم يكن معنا غير جندي اسعاف واحد - وهو قسيس كاثوليكي في الحياة المدنية كان قد درس قبل الحرب في سويسرا بالاستفادة من مساعدات الاحسان الامريكية - فارسلته الى الخارج ليعتني بالجرحى وليجمع اقراص الهوية (١) من القتلى . وعندما انقطع الرمي تسلق الى الذروة معتمداً على علامة الصليب الاحمر في ذراعه وتحرك على مرأى تام من الامريكان فاتجهت اليه افواه مدافع الدبابات مهددة الا ان أمر العدو ميز علامته في ناظوره فترك وشأنه . وكنت احترم الامريكان للشهامة التي يبدونها في جميع معاركنا معهم . ثم التحقت بنا بعد الظلام القطعات التي عجزت قبل هذا ان تمر من السد الناري . فاستطعت ان اوسع جبهتي الى شمال الطريق حيث يربط الرئيس ( مول ) وبقايا فوجه وفي الظلام قدمنا مدافعنا ضد الدبابات الى الامام فوزعتها على الطريق المؤدي الى جناح مواضع مشاتنا في الوادي .

وخصصت جماعة قوية لاحتلال نقطة رصد في الامام كانت ذات شكل مخروطي وجعلتها بقيادة ضابط صف - وهو ضابط منتظر - (٢) كان يحمل اسم ( رومل ) الشهير وان لم تكن له صلة قرابة بالمارشال فاحتل ( رومل ) وجماعته الراية وحفروا موضعهم خلال الليل .

---

(١) وهي اقراص توضع في أيدي الجندي ورقبته لينسب بها تشخيصه بعد موته

(٢) اي انه مرشح لان يكون ضابطاً .



وبعد منتصف الليل بقليل سمعنا صوت الهاونات امامنا . فزحفت دورية الى الامام واخبرتنا بأن الأمريكان يتلقون الذخائر ومواد التموين . وكانوا قريبين منا لدرجة ان دوريتنا استطاعت ان تميز وهج سكايرهم . واستلمنا نحن ايضا ارزاقنا وكذلك العتاد الذي هو اهم منها . وتلطفت مدفعية العدو فتركتنا وشأننا . إلا ان طائرة استطلاع طارت فوقنا في الصباح فسرعان ما انصبت علينا نار المدفعية باستمرار . غير ان معظم القنابل كانت تمر فوق رؤوسنا وهي تصفر وذلك لوجودنا خلف الذروة . واسدل الليل ستاره مرة اخرى . فسمعنا ما بين الساعة الواحدة والثانية مجيء رتل تموين امريكي آخر . ففتح الملازم ( بيكر ) النار بهاونات الستة ورشاشاته الثقيلة الاربع لمدة دقيقة واحدة بالضبط . فاسفت لتجرشه ، اذ سرعان ما فتح علينا الأمريكان ناراً طائشة استمرت طول الليل فكأنهم استأثروا من نقض اتفاقية عقدناها معهم ضمناً . وقد كنا قبل هذا نستطيع ان نمد ارجلنا وان نتجول خارج حفرنا الشقية اما الآن فان الرشقات النارية التي تنصب علينا بغير انتظام والتي يبلغ عدد قنابل كل منها اثنتي عشرة قنبلة تجعل ذلك خطراً علينا .

وعندما طلع النهار عززنا بعد انتظار طويل بسبع دبابات احتلت مواضع في الوادي الكائن خلفنا مباشرة . ولما تقدمت دبابات ( باتون ) ومشاته بعدئذ شعرنا بثقة اعظم .

واختفى عدد من المشاة الأمريكيين في وادي على السفح جنوب الطريق ثم ظهر بعضهم بغتة خلف ظهورنا وفي وادينا ، فصددنا هجومهم بمعونة دباباتنا واخذنا منهم بعض الاسرى . وكان القتال عنيفاً إلا اننا اصبحنا الآن لا نكاد نفرق بين ساعة قتال عنيف واخرى .

وجاءتنا في المساء رسالة من الفيلد مارشال (كسر لنغ) مفادها « اشكركم على دفاعكم الجريء . احتفظوا بالمواضع مهما كلف الأمر » .

فعقدت مؤتمراً مع ( مول ) وقررنا ان نرسل جواباً الى ( الفيلد مارشال ) رأساً ، فوضعتنا صيغته وارسلناه . وكان مفاده : « سنحتفظ بالمواضع ولكن اين المشروبات الروحية ؟ » .

كانت هذه رسالة وقحة من ضابطين ذوي رتبة صغيرة . إلا اننا فوجئنا عند ما أمدت رسالتنا غرضنا المنشود ولم تسبب لنا اي زجر . اذ جاءتنا في المساء عجلة تحمل « اوعية » (١) من الشراب (المشكاتي) (٢) . وللمرة الاولى منذ مجيئي الى افريقيا - اذا استثنينا من ذلك طيراني من ( اسمرة ) - شربت مقداراً كبيراً من الشراب . وكان مفعول هذا الشراب فينا حسناً اذ جعل واجبنا يبدو اسهل من قبل . وصار لسان حالنا يقول « اين هم هؤلاء الأمر يكان ؟ »

### ٣

ولم نتمكن خلال ليلتين من تأمين الاتصال مع موقع رصد ( رومل ) على الراية ذات الرأس المخروطي واخذت تنصب الآن نار قوية على دورياتنا الامامية من تلك النقطة نفسها . . وعاد جنديان جراً فأخبراني بانها الباقيان الوحيدان من جماعة ( رومل ) الصغير . فقد قضى عليهم المشاة الامريكيون المرابطون في اسفل التل بنيران الهاونات .

(١) « جير يكتز » وهي اوعية تستعمل لحفظ الماء او البنزين عادة .

(٢) وهو نوع من الشراب الايطالي .

وقالا ايضا ان ( رومل ) قد سقط . وقد اقيمت ( رومل ) هذا بعد مرور سنة على هذه الحادثة وذلك خلال زيارة قصيرة لالمانية ، فلم يكن قد قتل بل جرح جرحا شديداً وزحف طيلة يوم تعيس وليلة الى ستر واد في السفح الجنوبي حيث اكتشفت وجوده قطعات المظلات الالمانية فنقلته الى مستشفى ميدان . وعندما لقيته كان قد خرج حديثا من المستشفى الذي قضى فيه دور النقاهة في المانية .

وفي اليوم التالي - المصادف ٦ نيسان على ما اظن - حدث اعنف هجوم علينا من المشاة الامريكيين . وقد وصل العدو الى مواضعنا الا انهم دحروا قبل ان يتمكنوا من خرقها .

واعتقدت ان العدو سيقضى علينا في اليوم التالي ان لم يكن في الهجوم التالي . اذ ان الدبابات قد انسحبت فاصبحنا وحيدين مرة اخرى . لكن امرا بالانسحاب قد صدر اليينا فانقذنا للمرة الثانية . فاخلينا موضعنا عند الفجر وكانت المدافع والعجلات قد انسحبت ليلاً . وكنت انا و ( بيكر ) آخر من ترك الموضع . وعندما انجلي ضوء النهار نظرنا الى الخلف فرأينا الدوريات الامريكية الاولى تصل الى حفرةنا الشقية التي قاتلنا فيها مدة طويلة ومن دون فائدة على ما يظهر .



## الباب الرابع والاربعون

### المهركة الأخيرة

ارجوان لا يعتقد القاري انني احاول الادعاء بأن فوجي وحده كان يقاتل في افريقيا . فقد حدث في الحقيقة اعقد نضال بين كتل القوات المتقاتلة هناك .

ففي الشمال أعاد الجيش الاول للعدو تنظيمه بعد مباغته رومل المزعجة في ( قصرين ) . وقد استأنف التعرض ، وقام بعدة حركات محدقة تجاه ( فون ارني ) . كما انه في ٢٧ آذار دخل المشاة الامر يكيون بلدة ( فندق ) بتوجيه من ( الكسندر ) وهددوا بالاندفاع عبر سلسلة ( دورسال ) الشرقية باتجاه ( القيروان ) الامر الذي سيؤدي الى تهديد خط الدفاع الالماني — الايطالي للفريق ( ميس ) على وادي ( العكاريت ) من الخلف .

وتها « مونتكمري » للهجوم على ( وادي العكاريت ) جبهوا بالفرق الثلاث (١) للفيلق ال (٣٠) .

وفي ٦ نيسان اخترق ( مونتكمري ) ( وادي العكاريت ) في معركة دامت يوما واحداً وكانت لانقل دموية ووحشية عن أية معركة

---

(١) وهي الفرقة ال ( ٥٠ ) وفرقة ( تاييه تيس ) والفرقة ال ( ٥١ ) المابلند والفرقة الهندية الرابعة :

خاضها منذ (العلمين) . واصطدم الهجوم البريطاني بهجومنا المقابل في التلال ، وقال (الكسندر) بعدئذ ان كلا من الالمان والايطاليين « اظهروا عزيمة لا يفل ومعنويات لم تضعف » إلا انه تعذر الوقوف بوجه ثلاث فرق بريطانية وهندية حنكتها المعارك ومعها (٤٥٠) مدفعا !

وقد قاتلت الفرقتان المدرعة الـ (١٥) والخفيفة الـ (٩٠) أحسن قتال في تاريخهما المجيد (كما قال ذلك الكسندر) إلا ان النتيجة كانت معروفة . وقد فقد جيشنا المنسحب (٦٠٠٠) جندي آخرين وقعوا أسرى بيد العدو وعندما تركنا خط (القتار) بعد ظهر اليوم التالي اتصل الامر بكيون القادمون من الجزائر بالجنود الانكليز الاتنين من القاهرة للمرة الاولى ، وكان هذا سببا في التخلي عن معركتنا الشاقة في (القتار) اذ لم تبقى ثمرة فائدة منها .

وبناء على الاوامر الصادرة لي فقد انسحبت بفوجي من فصل القتال الأخير ضارباً عبر الاراضي نحو سهل تونس وماراً بمحاذاة (مكناس) و (سيدي ابوزيد) ومبتعداً عن (فندق) حتى وصلت مدينة (القيروان) المقدسة في ١٠ نيسان . فوقفنا هناك بضع دقائق قضيتها في مدرسة اللاهوت العليا التي كان يغشاها السلام الروحاني . وكانت تلك الدقائق القليلة كبلسم لاعصاب المتوترة ، فلقد اجبرنا على الاسراع طيلة انسحابنا من (القتار) واتزلت بنا طائرات الحلفاء ضوابطها المتوالية فقصفتنا ورمتنا بنيران رشاشاتها . وعلاوة على هذا الرعب النازل علينا من السماء كنا قد قاتلنا شهوراً طوالاً . فهل لذلك من نهاية ؟ وباليت السلام يعود ثانية وبحين وقت التأمل !

على ان الوقت كان ضيقا . فتركنا ( القيروان ) ولما حاذيت سور المدينة وكنيت سائراً في ذيل رتلي رأيت المدرعات البريطانية الاولى تدخل المدينة . وهكذا فقد استبدلت المدينة المقدسة ضيوفها خلال دقائق قليلة . فهل سيقف البريطانيون ايضاً لحظة للانعاش الروحي ؟

ولم يكن للفريق ( ميس ) ثمة أمل في الصمود جنوب خط الجبال في ( النفيضة ) فأوعز في جزع مفهوم ، الى قواته الايطالية بالانسحاب الى الخط الدفاعي المحتمل التالي بين ( زغوان ) والبحر ، تاركاً الالمان يقاتلون قتالات المؤخرة كالعادة . وفي ( زغوان ) ترتفع قمم الجبال بغتة من سهل تونس الجنوبي الواسع ، وكانت الصخور الكبيرة والاخاديد العميقة في الوديان الصخرية تؤمن حماية ممتازة ضد نار المدفعية والقصف الجوي ، ولانستطيع هنا كمثل الدبابات المطاردة ان تسحقنا بسرعة . فبدلاً لي اننا قد نتمكن من المقاومة هنا ربمّا تصل التقويات من اوروبا .

غير ان رفاقي كانوا يختلفون معي اختلافاً كبيراً حول المستقبل . فكان بعضهم يعتقد بوجود انسحابنا الى رأس ( بون ) واخلائنا من هناك بالبواخر الى ( صقلية ) حيث نجد القتال بعدئذ . في حين أن البعض الآخر كان يرى ان هتلر سوف لا يتخلى عن شمال افريقيا وان اعداداً كبيرة من دبابات ( النمر ) وانواعاً حديثة من طائرات القوة الجوية الالمانية سترسل الى افريقيا على عجل لتأمين التعادل مع الحلفاء في العدة والعدد . . . وإن معضلة التموين ستحل بواسطة العبارات المسماة ( سبيل فاهرن ) ( تلك التي نستطيع ان تحمل دبابتين وهي مجهزة بمدافع



٨٨. ملم ضد الطيارات ) وبواسطة الطائرات الشراعية الزلازمة المسماة  
( جيكانتن ) وان اسبانيا ستلعب دوراً كبيراً . . .

٢

ومضت الايام بهدوء . فشيئاً فشيئاً الدفاعات وعبأنا الاسلحة خلف  
الملاجي. الصخرية . وكانت مدفعية العدو ترمي ليلاً على عارضة بارزة  
واحدة فقط وهي مرتفع في الشرق قرب الساحل . فلم أحسد اولئك  
الذين كانوا يحتلون هذا الجبل ، وبدأ لي اننا « كنا من ذوي الحظ في  
هذه المرة » . الا اننا امرنا بعد ظهر ذلك اليوم ان نتحرك الى المرتفع  
الذي قصف وان نقوم بهجوم مقابل من هناك . وقمنا بالهجوم ليلاً  
تحت المطر الغزير — وكان صيادو العدو يرابطون أمامنا ويرموننا  
بدقة متناهية ، وكانت القنابل وقنابر الهاونات تمطر علينا .

وكننا جماعة يؤسف عليها . فالتعب والاجهاد العصبي الذي  
اصابنا في الاشهر الماضية قد اصعبت حيويقتنا . وكان عدم المبالاة  
والاجهاد مستوليان على جنودي — فكانوا يعجزون من مغالبة رغبتهم  
الساحقة للنوم عندما يلتجئون الى حفر القنابل الملائة بالطين .

وبدأ الموت ينجم علينا كأخ ، وبدأ من السخافة ان يخاف منه  
الانسان اذ لا بد وانه سيعطف عليه .

وايقظني بعضهم فجأة هازأ ذراعي بقوة . واذا بجندي يغطيه  
الوحل قد نزل الى حفرتي وهو يلث من التعب بعد ان بحث مدة ساعات  
في ميدان المعركة الغامض ، قافزاً من ستر الى آخر فسألني مذكرة مغطاة  
بالوحل قائلاً :

« بحثت عنك عدة ساعات يا حضرة الملازم الاول »

وفكرت انه يحتمل ان تكون المذكرة امرأ احمق آخر يقضي  
بمتابعة الهجوم دون هوادة . ثم قرأتها على بصيص المصباح اليدوي  
للساعي الممتد بجانبى بعد ان اتخذت التدابير لاختفاء الضوء فاذا بها تقول  
« الملازم الاول ( شمت ) الجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) . يراجع الملازم  
الاول ( شمت ) مقر الجيش حالا .

ورأيت تحت هذا تعليقة مقر الجحفل بالقلم الرصاص : سلم الفوج  
حالا الى الملازم ( اينيشير ) .

فماذا يعنى ذلك يا ترى ؟ وهل هو شر ؟ . وبما انه ليس من واجب  
الجندي ان يستجوب الاوامر فقد سلمت القيادة ضمن ساعة واحدة  
ودلفت مبكراً مع الفجر من الجبهة الى سيارتى وانا منهوك القوى  
وملابسى يغطيها الوحل .



## الباب الخامس والاربعون

### ضوك مكتوم بين اشجار القسطل

وصلت الى مقر الجيش وقت الظهر . فافتقدت فيه فعاليتته القديمة وبدا لي انه لم يبق فيه من هيئة ركن رومل غير بقية قليلة ، ولو أن هذا المقر كان يحمل اسم « قيادة الجيش الالماني - الايطالي المدرع » . وكانت هنالك عجلات قيادة المانية قليلة وتكاد ان تكون خالية ، فولدت لدي انطباعا بانها تعود الى هيئة ركن ارتباط صغيرة ترافق القائد الايطالي الفريق ( ميس ) .

واخبرت المقر بحضورى وأنا اسائل نفسي عما ينتظرنى من الأخبار السيئة .

فقال لي رئيس من شعبة ( ٢ آ ) بعد ان بحث في اوراقه :  
« لقد طلبت قبل نحو سنة اجازة بالزواج ، فهاهي ذى قد انت .  
فلقد منحت اجازة خاصة فورية لمدة اربعة عشر يوما . وعند عودتك  
ارجو ان تراجع مقر الجيش لتلقى تعليمات أخرى »  
وبعد بضع ساعات وصلت الى تونس وكنت اسوق فى سيارة  
جيب وأنا فى طريقى الى المطار . وكان ذلك فى يوم عيد الفصح -  
٢٥ نيسان .

فوقف سائقي برهة وبمهارة الجندي القديم حصل على قنبنة شراب  
من مكان ما - وكان شراب الموز - فشربناه معا .



وسأله « هل ترغب في الذهاب الى المانية باجازه أيضاً ؟ »

فاجبني مبتسماً « وهل في وسعي ان لا ارغب في ذلك ؟ »

وكانت في جيبى نسخة من النماذج الاعتيادية التي يمكن بموجبها منح الاجازات الى جنود فوجي للذهاب الى المانية ، وكانت حصّة فوجي من الاجازات لم تنته ، فكان في وسعي ان امنح سائقي اذنأً بالمجيء معي الى الوطن .

وقد دبرت مع الطيار ان يجد اسائقي محلاً في الطائرة . لكن هذا قال لي :

« اريد اولاً ان ازور المستشفى باحضرة الملازم الأول . . . »  
فذهب لقضاء حاجته قائلاً « سأعود بعد قليل » الا انه لم يعد ولم اشاهده بعدئذ . وركبت في ظلام الليل في طائرة نقل مزدحمة . فطارت عبر البحر الأبيض المتوسط ثم هبطت فجراً في ( كتانيا ) في ( صقلية ) .  
وتابعنا الرحلة بعدئذ الى ايطالية ومن ثم الى المانية .

وتزوجت ( هيرتا ) يوم ٢٥ مايس . وبعد ذلك بيومين سقطت تونس بيد البريطانيين و ( بيزرت ) بيد الامريكيين وانهارت المقاومة المنظمة لجيوش المحور . ثم جاءت النهاية سريعة في شبه جزيرة ( رأس بون ) الموحشة .

وبينما كنا نقضي شهر العسل في ( بادن بادن ) بين اشجار القسطل المزهرة في الغابة السوداء يوم ١٣ مايس انتهى الراديو فجأة لحناً موسيقياً هادئاً كان يذيعه فاذاع الخبر التالي « بعد قتال بطولي انتهى الجيش المدرع الالماني الايطالي نضاله في تونس من جراء تفوق العدو الساحق . وبذلك انتهت معركة افريقيا » .

وقد أتي ربع مليون من الجنود أسلحتهم واستطاع ( ٦٦٣ )  
جنديا الفرار .

وهكذا فلم يعد للجحفل الخاص الـ ( ٢٨٨ ) وجود لسكي التحقق  
به ، كما انه ليس ثمة مقر جيش لاراجعه . ولقد خرجت من افريقيا  
بنفس الحظ الحسن غير المنتظر الذي اخرجني من ( اسمره ) بالطائرة  
الاخيرة وانزلني في شمال افريقيا حيث التحقت بهيئة ركن رومل .

لقد كانت ماكنة الجيش الثقيلة الملعع في حركتها التقليدية  
الاعتيادية ، ففكرت حتى في المشاكل العائلية لأمر فوج مغمور وصغير  
الرتبة ونفتها في الوقت اللازم — وبينا كان قسم شهير من هذه الماكنة  
العظيمة في طريقه الى التحطيم في افريقيا ، اذا برسالة تأتي بين لجب  
البرقيات ( السرية للغاية ) و ( الحركات الطارئة ) لتفيد :

( ان الضابط الصغير الذي أراد ان يتزوج سمح له الآن بذلك )

وقد وصلت الرسالة بيد ساعي دراجة جازف بحياته ليوصلها ،  
فأنتشلت الضابط الشاب من معركته الاخيرة في افريقيا من بين مئات  
الالوف .

وفي مكان ما بين اشجار القسطل الهادئة في الغابة السوداء سمع  
عريس وعروسه ضحكة إله الحرب المكتومة فقد لعب ثانية لعبته  
الساخرة بالرجال !

# المحتويات

## الصفحة

٣	الباب ١ — التحاق بهيأة أركان رومل
١٦	« ٢ — البلف في طرابلس
٢٥	« ٣ — مغامرات الواحات
٣٤	« ٤ — مهمة في طائفة القائد
٤٦	« ٥ — على أبواب طبرق
٥٥	« ٦ — قائد على جملة
٦٦	« ٧ — الهجوم على بلاسترينو
٧٣	« ٨ — طائرات هاريكين ترمي رومل
٧٨	« ٩ — باولوس ستاليينغراد وحكايتي عن اريتريا
٨٧	« ١٠ — معركة « الفاس » على الحدود
١٠٢	« ١١ — رسائل القائد
١١٢	« ١٢ — يوم في الجبهة
١٢٠	« ١٣ — تكوين الجحفل المدرع
١٢٦	« ١٤ — كيف أثار رومل على هتلر
١٣٢	« ١٥ — رومل يصطاد غزالا
١٣٧	« ١٦ — رومل في غارة - ينقطع في الارض الحرام
١٤٥	« ١٧ — كيز يفتش عبثاً عن رومل



١٥٠	الباب ١٨ — كروسيدير
١٥٨	١٩ — الهجوم في سيدي رزق
١٧٠	٢٠ — فوزى الصبحراء
١٨٠	٢١ — المؤخرة
١٨٦	٢٢ — العودة الى العقيلة
١٩٢	٢٣ — رومل يضرب ثانية
١٩٦	٢٤ — خطة طبرق
٢٠١	٢٥ — فوجي يباد
٢١٠	٢٦ — في الميزان
٢١٥	٢٧ — على ابواب طبرق
٢٢٠	٢٨ — تمطيم طبرق
٢٣٣	٢٩ — اسباب سقوط طبرق
٢٣٧	٣٠ — في الاجازة
٢٤٩	٣١ — غريب في العلمين
٢٥٩	٣٢ — محاولة رومل الاخيرة
٢٦٨	٣٣ — الاندحار في العلمين
٢٧٤	٣٤ — الانسحاب
٢٨٣	٣٥ — دبابات شيرمان الأمريكية ذات الزوج العالي
٢٩٠	٣٦ — ضياع طرابلس

الصفحة

٢٩٩	الباب ٣٧ — مع الامريكيين لأول مرة
٣١١	« ٣٨ — مضيق قصرين
٣١٥	« ٣٩ — الجسر والرجل من ( بروكلن )
٣٢٦	« ٤٠ — امريكيون في الضباب
٣٣٣	« ٤١ — ودع نعلب الصحراء
٣٣٨	« ٤٢ — جهنم في خط مارث
٣٥٢	« ٤٣ — جبهة خفيفة ضد الامريكيين
٣٦٤	« ٤٤ — المعركة الاخيرة
٣٦٩	« ٤٥ — ضحك مكتوم بين اشجار القسطل

# جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	السطر	المصنف
دخلت	قادخلت	١٤	١
مما	ما	١٢	٢٢
هناك	هنا	٩	٢٥
لمت	لممت	١٠	٢٧
ذلك	لذلك	١١	٢٨
بلغت	بلغت	١١	٣٥
جعل	يجعل	١٦	٣٩
أحداً	أحد	١٥	٤٣
هاوسم	هاوس	١١	٤٤
ققفز	قفز	٩	٤٨
بعد	وبعد	٨	٥٦
حكة	حكة	١٣	٦٢
ثمت	ممت	١	٦٢
خر بطة	خر بطة	٣	٦٢
مقدرته	مقدرته	٤	٦٢
سارت تمرق	تمرق	٧	٦٢
ان ترك	ترك	١٦	٦٢
فون وبكر	فون وبكر	٤	٦٦
غلب	غلب	٣	٦٩
شربلر	شوبلر	١٢	٦٩
الاستراليون	الاستراليين	١٥	٧٣
اكوردان وكيرين	كوردات وكيرين	٢٤	٨٠
الورق	الارض	٨	١١٩
اجتمعا	اجتمعنا	١	١٢١



ثمن النسخة ♦ ♦ ٣٠ فلس

مطبعة النجاح بغداد

١٩٥٣